

رفعه
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

إِغَاثَةُ الْأُمَّةِ بِكَشْفِ الْغَمَةِ

لتقى الدين أبى العباس أحمد بن على المقرئ المتوفى سنة ٨٤٥هـ

دراسة وتحقيق

الدكتور كرم حلمى فرحات

الطبعة الأولى

١٤٢٧هـ / ٢٠٠٧م

عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية
EIN FOR HUMAN AND SOCIAL STUDIES

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

إِغَاثَةُ الْأُمَّةِ بِكَشْفِ الْغُمَةِ

لتقى الدين أبى العباس أحمد بن على المقرئ المتوفى سنة ٨٤٥هـ

دراسة وتحقيق

الدكتور كرم حلمى فرحات

الطبعة الأولى

١٤٢٧هـ / ٢٠٠٧م

عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية

EIN FOR HUMAN AND SOCIAL STUDIES

المشرف العام : نكتور قاسم عبده قاسم

حقوق النشر محفوظة ©

الناشر: عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية

هـ شارع ترمة المربطية - الهرم - ج.م.ع. تليفون وفاكس ٢٨٧١٦٩٢

Publisher: EINH FOR HUMAN AND SOCIAL STUDIES
5, Maryoutia St ., Elharam - A.R.E. Tel : 3871693

E-mail : dar_Ein@hotmail.com

book ein @ yahoo.com

web site: WWW.Dar -Ein.com

الموقع الالكتروني

المستشارون

د . أحمد إبراهيم الهوارى

د . شوقى عبد القوى حبيب

د . قاسم عبده قاسم

المدير التنفيذي :

شريف قاسم

مدير الإنتاج :

جمال عابد

تصميم الغلاف : منى العيسوى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

رفع

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
مقدمة المحقق

الحمد لله وكفى، وسلام على عباده الذين اصطفى .. وبعد

كم أكون سعيداً وأنا أخطئ سواداً فى بياضٍ عن هذا الوطن المفضى الذى إذا ذكر ذكر الأمن والأمان ، وذكر الخير والنماء ، مصر التى أشرقت شمسها على العالم ، ولا توجد مؤسسة علمية أو مركز علمى فى العالم إلا وفيه مصرى يثبت للدنيا أن مصر بلد العلم والعلماء .

فما أسعدنى اليوم وأنا بصدد هذا العمل العلمى ، وهو الدراسة والتحقيق لعالم مصرى جليل هو الإمام أحمد بن على المقرئ ت ٨٤٥هـ ، وكتابه العظيم « إغاثة الأمة بكشف الغمة » . وقبل أن أتناول هذه الدراسة لابد من مداخلتة تبين زعامة مصر للمدارس التاريخية فى عصر هذا العالم الجليل .

فبعد أن كانت بغداد هى القطب الأكبر سياسياً وثقافياً ، فقد انتهى دورها لتراثها القاهرة حتى فى خلافتها العباسية ، كما ورثت القاهرة أيضاً زعامتها للمدارس التاريخية الإسلامية ، وعلى الرغم من التدهور الثقافى العام الذى يعكس حال حضارة وصلت إلى أقصى فوها وتطورها ، وعندما بدأت تستقر لتجنى ثمار انجازاتها الثقافية والفكرية فوجئت بالهجمات الصليبية أولاً ، فالغولية ثانياً ، مما هدد وجودها ذاته ، الأمر الذى جعل النشاط الثقافى موجهاً نحو الحفاظ على التراث الفكرى المجيد أكثر من نحو المشاركة فى إثراء هذا التراث ، فابتعد عن الابتكار والتجديد والإبداع ليصبح التجميع والتأليف الاجترارى والشروح وشروح الشروح هو السمة اللازمة لهذا النشاط ، إلا أن حركة التدوين التاريخى كانت مزدهرة بشكل لاقت للنظر حيث وصلت الكتابة التاريخية فى العصر المملوكى إلى أرقى مستوى وصلت إليه فى تاريخ الفكر العربى الإسلامى ، لقد كان هذا العصر بمثابة المعرض الحى لمدى التنوع والثراء الذى وصل إليه التدوين التاريخى ، ومن بين مؤرخى العصر المملوكى يقف الإمام المقرئ عالى الرأس ، عملاقاً لا يدانيه أى مؤرخ آخر .

لقد ظهر توسع المنظور التاريخى فى مصر المملوكية فى الاتجاه الحضارى ، فإذا كانت كثرة التفاصيل التى يوردها المؤرخون فى تواريخ الأحداث السياسية ، وفى كتب التراجم والرجال قد أدخلت فى التاريخ بصورة غير مباشرة العديد من ملامح التاريخ الحضارى ، فإن ذلك لم يكن المجال الوحيد الذى سجل المؤرخون من خلاله جوانب الحضارة فى عصورهم ، فقد طرخوا مواضيع مختلفة وجوانب شتى من القطاعات الاجتماعية، كانت تصب كلها بصورة مباشرة أو غير مباشرة فى الإطار الحضارى ، وإننا لنجد عدداً واسعاً من المواضيع المطروقة المتنوعة مثل التعليم السياسى والتعليم الديوانى والتعليم العسكرى ، وبعض القطاعات أو الطبقات الاجتماعية ، ومواضيع تتصل بالمواقع وخططها وفضلها ، ومواضيع تتصل ببلاد العالم الأخرى ، ومواضيع تتصل بالحياة العامة للناس مثل ما كتب الإمام المقرئى كتاب " إغاثة الأمة بكشف الغمة " الذى نحن بصدد تحقيقه والحديث عنه وغيره من الكتب .

وما من شك فى أن الإمام المقرئى فى جميع هذه النواحي الحضارية يقف فى طليعة مؤرخى مصر فى العهد المملوكى ، وقد ظهر ذلك فى تراثه التاريخى كله ، فهو عميد لا يدانيه أحد من المؤرخين فى مصر منذ العصور الوسطى حتى الآن ، وكتبه العظيمة التى خلفها لنا تمثل عيوناً بين الكتب التى أخرجت للناس فى التاريخ المصرى ، ونخص من بين هذه الكتب كتاب " إغاثة الأمة بكشف الغمة " الذى يمتاز موضوعه بالتفرد من حيث التناول والتحليل ، مما يدل على تفوق الإمام المقرئى ، إذ يتناول تاريخ المجاعات التى نزلت بمصر منذ أقدم العصور إلى سنة ٨٠٨ هـ وهى السنة التى أُلِفَ فيها هذا الكتاب .

لذلك نستطيع أن نحكم بأن الإمام المقرئى هو المؤرخ المصرى الوحيد الذى تعرض بالبحث لتلك الناحية الاقتصادية الاجتماعية من تاريخ مصر ، فهو فى تدوينه لأخبار المجاعات يحاول أن يتقصى أسبابها ، ويقترح العلاج الاقتصادى الصحيح لدوائها ودوائها ، كما أنه يتناول طبقات المجتمع المصرى فى عهده بالتقسيم والتصنيف ، ويصف كل طبقة من طبقاته بشئ من التفصيل ، مما يعكس لنا مدى أهمية هذا الكتاب التى تقصر عنها الكتب الأخرى الكبيرة منها والصغيرة ، فهو يلتقى الضوء على شئ من هوية صاحبه ، ويوضح الطريق لفهم الحالة الفكرية فى مختلف العصور ، ويحوى بين جنباته جراءة المقرئى على الإدلاء بآرائه فى نظم الحكم وقواعده ، ويحاول أن يعلل بعض الظواهر تعليلاً عقلياً ، وناقش بعض العيوب نقاشاً حراً .

لقد تضمن هذا الكتاب قيمة اقتصادية واجتماعية وذلك من خلال الآراء والنظريات التي سبق بها عصره بكثير ، كحديثه عن المجاعات والأوبئة التي أصابت مصر وأهلها ، والدراسة الناقدة باعتبار هذا الكتاب دراسة ناقدة تحليلية يغلب عليها الطابع الاقتصادي الاجتماعى ، فيرجع الأزمات الاقتصادية التى تحل بالبلاد إلى الأوضاع القائمة فى الدولة والتصرفات السيئة التى تصدر عن الحكام ، فيحللها المقرئى تحليلًا اقتصاديًا يجمع بين العمق والإيجاز ويشرح ما لها من آثار اقتصادية واجتماعية ، مما يجعل من كتابه هذا ظاهرة فكرية لها أهميتها وخطورتها فى عصر سلاطين المماليك .

مازال هذا الكتاب مرجعًا لا غنى عنه لكل من يريد أن يرتاد تلك الفكرة ، وذلك بسبب ندرة هذا الكتاب ، وانفراد الإمام المقرئى بهذا الموضوع والمنهج الذى سلكه فى تأليفه له ، وهذه الندرة هى التى دعتنى إلى الوقوف أمامه وعمل دراسة علمية عنه وعن الإمام المقرئى .

لقد جاء هذا العمل العلمى الذى نحن بصده الآن - الدراسة والتحقيق - مشتملاً على قسمين ، القسم الأول عبارة عن دراسة واقية للإمام المقرئى وكتابه « إغاثة الأمة بكشف الغمة » ، وقد اشتمل هذا القسم على ثمانية مباحث تناول المبحث الأول نشأة الإمام واشتغاله بالعلم ، والثانى عن وظائف الإمام المقرئى ومناصبه ، والثالث عن تقييم مؤلفاته التاريخية ، والرابع عن تسمية الكتاب وأهميته ، والخامس عن مصادر الكتاب وطرق الإسناد إليها ، والسادس عن المنهج التأريخى عند المقرئى ، والسابع عن النقد التأريخى عند الإمام المقرئى ، والثامن عن وصف المخطوطة المعتمدة فى التحقيق وعملى فى هذا التحقيق/.

أما القسم الثانى ، فهو تحقيق كتاب " إغاثة الأمة بكشف الغمة " وفق منهج علمى أجمع عليه كثير من المحققين لكتب التراث . ثم ختمت هذا العمل العلمى بعمل العديد من الفهارس العلمية التى تخدم هذا العمل وتخدم الباحث والقارئ ، فجاءت على النحو التالى : فهرس الآيات القرآنية ، والأحاديث النبوية ، والأعلام ، والأماكن والبلدان ، والأوزان والنقود والمحاصيل ، والكتب المستخدمة فى الدراسة والتحقيق ، وفهرس الموضوعات .

وفى نهاية مقدمتى هذه احتسب هذا العمل عند الله عز وجل ، وأسأله سبحانه وتعالى أن يعلمنى ما ينفعنى ، وأن يتفغننى بما علمنى ، وأسأله سبحانه وتعالى أن يحفظ مصر وأهلها من كل سوء ، وأن يجعلها أمنة مطمئنة وسائر بلاد المسلمين . آمين.

د. كرم حلمى فرحات أحمد

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

القسم الأول

دراسة المؤلف وكتابه

« إغاثة الأمة بكشف الغمة »

المبحث الأول : نشأة المقرئى واشتغاله بالعلم.

المبحث الثانى : وظائف المقرئى ومناصبه .

المبحث الثالث : مؤلفات المقرئى .

المبحث الرابع : تسمية الكتاب وأهميته .

المبحث الخامس : مصادر الكتاب وطرق الإسناد إليها.

المبحث السادس : منهج التأليف التاريخى عند المقرئى .

المبحث السابع : النقد التاريخى عند المقرئى .

المبحث الثامن : وصف المخطوطة والعمل فى التحقيق.

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

المبحث الأول

نشأة المقرئى واشتغاله بالعلم

اسمه وكنيته ونسبته ولقبه :

هو أحمد بن على بن عيد القادر بن محمد بن إبراهيم بن محمد بن قميم بن عبد الصمد بن أبى الحسن بن عبد الصمد التقي بن العلاء بن المحبى الحسينى العبيدى ، ويلقب بتقى الدين ، ويُعرف بالمقرئى ، ويكنى بأبى العباس ، فهو العالم والمؤرخ والفردى والأديب والمحدث والمحتسب ، ويرجع اسم المقرئى الذى يُعرف به ويشتهر به إلى حارة المقارزة ، إحدى حارات مدينة بعلبك ، والتي جاءت منها أسرته إلى مصر حديثاً فى حياة أبيه (على)^(١) .

مولده ونشأته :

وُلد تقى الدين أبو العباس أحمد بن على المقرئى فى القاهرة عام ٧٦٦هـ / ١٣٦٦م فى حارة برجوان ، والمقصود بالحارة الفندق أو الخان أو الوكالة على حد المصطلح المصرى فى العصور الوسطى ، وهى أعظم حارات القاهرة حيوية وامتلاءً بالصخب وضوضاء العمران والحياة^(٢) .

١- انظر ترجمته فى : المنهل الصافى ، لابن تغرى بردى أبو المحاسن جمال الدين يوسف بن الأمير سيف الدين ت ٨٧٤ هـ / ١٣٩٤ ، طبعة القاهرة ١٩٥٦م ، والضوء اللامع فى علماء القرن التاسع ، لشمس الدين أبى الخير محمد بن عبد الرحمن السخاوى ت ٩٠٢ هـ / ٢٢/٢ ، طبعة مصر ١٩٣٦م ، وشذرات الذهب ، لابن العماد الحنبلى ٢٥٥/٧ ، طبعة المكتب التجارى ، بيروت بدون تاريخ ، وحسن المحاضرة فى أخبار مصر والقاهرة للسيوطى جلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر ت ٩١١ هـ / ١٣٢٠ ، طبعة القاهرة ، دار إحياء الكتب العربية ١٩٦٨م ، وتاريخ آداب اللغة العربية لجرى زيدان ١٨٤/٣ - ١٨٦ ، طبعة دار الهلال القاهرة ١٩٥٨م .

٢- انظر الخطط المقرئية ، للإمام المقرئى ٤٠٤/٢ - ٤٠٥ ، طبعة القاهرة ١٣٢٥ هـ ، وطبعة مكتبة العرفان - بيروت ، بدون تاريخ .

لقد نشأ المقرئى نشأة طيبة ، فى بيئة حضارية لها طابعها الذى يختلف كثيراً عن البيئة التى عاش فيها أجداده فى مدينة « بعلبك » ، ولكن الإمام المقرئى كان يعتز دائماً ويفخر بأنه ولد بين جنبات القاهرة ، وفى حى من أكثر أحيائها امتلاءً بالنشاط والحياة ومملوءاً بالنشاط الاجتماعى والاقتصادى المتنوع ، وقد ذكر المقرئى عن سرق حارة برجوان التى ولد ونشأ فيها أنه أعظم أسواق القاهرة " ما برحنا ونحن شباب نفاخر بحارة برجوان سكان جميع حارات القاهرة " (١) .

تلك القاهرة التى كانت مقصد كل معسر أو طموح ، قد وصفها الرحالة ابن بطوطة بأنها " أم البلاد المتناهية فى كثرة العمارة ، المتباهية فى الحسن والنضارة ، مجمع الوارد والصادر ، ومحط الضعيف والقادر " (٢) ، وكان جد المقرئى من كبار المحدثين فى بعلبك ، وقد تحول والده إلى القاهرة ، حيث ولى بعض وظائف القضاء ، وكتب التوقيع بديوان الإنشاء ، ونشأ ابنه أحمد معه فى القاهرة بحارة برجوان ، ومات أبوه وهو صغير فكفله العالم الجليل ابن الصايغ (٣) وكان جده لأمه ، فكفل تعليمه وأشرف على تنشئته وفق مذهبه الحنفى (٤) .

هكذا نشأ المقرئى نشأة دينية علمية ، وأتاحت له ظروفه أن يرضى طموحه العلمى فتتلمذ على مجموعة من كبار علماء وشيوخ عصره الذين عجت بهم القاهرة والتقى بكثير من العلماء ، فنشأ نشأة حسنة ، فحفظ القرآن الكريم ، وسمع جده لأمه ابن الصايغ الحنفى وغيره ، وعرف النحو والفقه والتفسير والحديث وبعض العلوم .

نشأ المقرئى فى أسرة معروفة أجيالها بالاشتغال بالعلم سواء فى الشام أو فى مصر ، أى أنه شهد حوادث عصره من زاوية أبناء الفئة الفكرية من الطبقة الوسطى ؛ هذه الحوادث فى مجموعها نوبات احتضار وأقول فى دولة مملوكية ذات بطولات شامخة سالفة ، وأمجاد ماضية ملأت عين التاريخ فى الشرق والغرب ، ولعشرين سنة ، هى سنوات طفولته ومراهقته وشبابه ، غير أنه توفى سنة ٨٤٥هـ .

١ - الخطط المقرئية ، للمقرئى ٩٥/٢ طبعة بولاق .

٢ - رحلة ابن بطوطة ، لأبى عبد الله اللواتى المعروف بابن بطوطة ص ٣٦ ، طبعة دار صادر بيروت .

٣ - هو تقي الدين عبد الله بن محمد بن الصايغ المتوفى سنة ٧٧٨هـ ، انظر شذرات الذهب لابن العماد ٢٥٧/٦ .

٤ - لغيره اللامع ، للسخاوى ، ٢١/٢ .

مذهب الفقهى :

فى بداية تعليم المقرئى مبادئ وأساسيات العلم ، خاصة قبل وفاة والده سنة ٧٨٦هـ نشأ ومذهب على المذهب الحنفى ، وهو مذهب جده لأمه الذى أشرف على تربيته وتعليمه العالم الجليل ابن الصايغ ، وبعد وفاة والده كان قد جاوز سن العشرين من عمره فتحول إلى المذهب الشافعى ، واستقر منذ ذلك الوقت على مذهب الشافعية ، وكانت ظاهرة التحول من مذهب إلى آخر منتشرة بين المعاصرين ، ولها أهميتها وخطورتها فى حياة الفرد ، وبخاصة إذا كان من المشتغلين بالعلم أو المتولين وظائف الدولة^(١).

شيوخه :

لقد أكثر الإمام المقرئى من الشيوخ الذين سمع منهم ، وأخذ عنهم ، إكثاره من حفظ القرآن والحديث وجمعه وتدوينه وغيرهما من العلوم كالنحو والفقه والتفسير ، والتاريخ وتقويم البلدان والحساب والأدب فأجاد النشر والنظم ، وقد بلغ عدد شيوخه سواء فى القاهرة وغيرها من البلدان التى رحل إليها طلباً للعلم ستمائة شيخ ، مما توفر له التكوين الشافعى اللازم للبروز فى عصره ، وكان أكثر شيوخه تأثيراً فيه أولهم ابن الصايغ فى مرحلة النشأة ، وآخرهم العلامة ابن خلدون الذى عرفه فى مرحلة النضج^(٢).

ومن أهم هؤلاء الشيوخ على سبيل المثال لا الحصر :

* شمس الدين محمد بن محمد المعروف بابن الصايغ ، وهو جد المقرئى لأمه وكافله ومرييه بعد وفاة والده ، كان مبرزاً فى القراءات السبعة وقرأ عليه خلق كثير ورحلوا إليه ، توفى سنة ٧٨٦هـ / ١٣٨٤م^(٣).

* الشيخ برهان الدين أبو إسحاق إبراهيم الأموى الفقيه الحنبلى أحد أصحاب الإمام ابن تيمية ، توفى سنة ٧٩٧هـ^(٤).

١- الضرة اللامع ، للسخاوى ٢١/٢ .

٢- التاريخ العربى والمؤرخون ، لشاكر مصطفى ١٤٠/٣ .

٣- الضرة اللامع ، للسخاوى ٢٢/٢ .

٤- النجوم الزاهرة ، لابن تغرى بردى ١٤٣/١٢ .

* زين الدين العراقي أبو الفضل عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن العراقي الكردي المهراني الشافعي ، ولد سنة ٧٢٥ هـ ، وتوفي سنة ٨٠٦ هـ ، وكان حافظ الوقت ، سكن مصر ورحل إلى دمشق وحلب والحجاز مرات وولى قضاء المدينة ^(١).

* الهيثمي أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الشافعي المعروف بابن حجر الهيثمي المتوفى سنة ٨٠٧ هـ وقد رحل وسمع وحج وصنف ، ومن مصنفاته : ترتيب كتاب الثقات للعجلي على حروف المعجم ^(٢).

* السراج البلقيني ، شيخ الإسلام سراج الدين عمر البلقيني ابن رسلان الكتاني الشافعي ، ولد سنة ٧٢٤ هـ وتوفي سنة ٨٠٥ هـ ، وقد حضر الخليفة المتوكل والقضاة الأربعة جنازته ، وكان عالماً في الأصول والفروع وله مصنفات كثيرة منها : محاسن الاصطلاح في الزيادة على كتاب ابن الصلاح ، ومنها شرح الترمذي وكان علامة القاهرة على الإطلاق ^(٣).

* ابن الملقن : أبو حفص سراج الدين عمر بن أحمد بن محمد الأنصاري الأندلسي الأصل المصري الشافعي ولد سنة ٧٢٣ هـ وتوفي سنة ٨٠٤ هـ ، وكان بارعاً في الفقه والأصول والتاريخ والرجال ^(٤).

* ابن دقماق : صارم الدين إبراهيم بن محمد بن شمس الدين أيذر بن دقماق العلاني الخنفي المصري ولد في حدود سنة ٧٥٠ هـ وتوفي سنة ٨٠٩ هـ ، تخصص في التاريخ وترك فيه عدداً وافراً من المؤلفات عالج فيها التاريخ السياسي والتراجم والسير على السواء ، من كتبه " الانتصار لواسطة عقد الأمصار " الذي يحمل معلومات عامة عن مصر تاريخية وجغرافية معاً ^(٥).

١- الإعلان بالتزوير ، للسخاوي ص ٧٠٢ ، طبعة العلمي بيروت .

٢ - جذرات الذهب لابن العماد الخنفي ٧٠/٧ .

٣ - أبناء الهصر في أبناء العصر ، لابن الصيرفي علي بن أدهم بن إبراهيم ت ٩٠٠ هـ المعروف بابن الخطيب الجوهري ، تحقيق حسن حبشي ، دار الفكر العربي ، مصر ١٩٧٠ م ، والنجوم الزاهرة لابن تغري بردي ١٦٩/١٢ .

٤ - الضوء اللامع ، للسخاوي ١٠٠/٦ - ١٠٥ ، وحسن المحاضرة للسيوطي ٢٤٩/١ .

٥ - التاريخ العربي والمؤرخون ، لشاكر مصطفى ١٣١/٣ - ١٣٣ .

* ابن خلدون : عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن الحسن بن عبد الرحمن بن خلدون وقد عرفه المقرئ في مرحلة النضج وكان أكثر شيوخه تأثيراً فيه ، والحقيقة أن المقرئ تأثر بابن خلدون وبمقدمته تأثراً فاق حد الإعجاب ، إعجاب التلميذ بأستاذه ولا غرابة ، فقد ربطت بين الرجلين صداقة متينة حملت المقرئ على أن يصف المقدمة بأنها : "لم يُعمل مثلها ، وإنه لعزیز أن ينال مجتهد منالها ، إذ هما زبدة المعارف والعلوم ونتيجة العقول السليمة والفهم ، توقف على كنه الأشياء وتعبر عن حال الوجود ، وتنبئ عن أصول كل موجود " (١).

وقد توفر للإمام المقرئ بفضل هؤلاء الأساتذة وغيرهم من الأشياخ الذين بلغ عددهم ستمائة شيخ ، التكوين الثقافي اللازم في عصره ، وقد انكب على الدرس والتحصيل تحت إرشادهم وأظهر نجابة وقدرة كبيرة .

رحلاته العلمية :

سن الصحابة الكرام رضوان الله عليهم ، والتابعون من بعدهم الرحلة في طلب العلم ، اقتداءً برسول الله ﷺ : من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له طريقاً إلى الجنة " فأصبح ذلك من آداب طالب العلم ، ولم يكتف بالأخذ عن شيوخه بالقاهرة ، بل كانت له رحلات علمية بين القاهرة والشام ومكة ، وذلك نظراً لنشأته الدينية والعلمية ، تلك النشأة التي أتاحت له أن يرضى طموحه العلمي في القاهرة فتتلمذ على يد مجموعة من كبار علماء وشيوخ عصره ، ولم يكتف بذلك فتتنقل خارج القاهرة ومصر ، حيث التقى بكثير من العلماء ، يقول السخاوي في ذلك : نشأ المقرئ بالقاهرة نشأة حسنة ، حفظ من خلالها القرآن الكريم ، وسمع جده لأمه ابن الصايغ الحنفى ، والبرهان الأمدى ، والعز بن الكويك ، والنجم المجد ، والبلقيني ، والعراقى ، والهيثمي ، والفرسيسي وغيرهم ، ثم رحل بعد ذلك إلى مكة لأداء فريضة الحج فسمع بمكة من النشاوري والأميوطي ، والشمس بن سكر وأبي الفضل النويري القاضي ، وسعد الدين الأسفراييني ، وأبي العباس بن عبد المعطى ، وأجاز له الأسنوي والأذري ، وأبو البقاء السبكي ، وعلى بن يوسف الزرندى ، وآخرون .

ثم رحل إلى الشام فسمع من الحافظ أبي بكر وأبي العباس بن العز ، وناصر الدين محمد بن محمد بن داود ، وطائفة (١).

١- الضرة اللامع للسخاوي ٢/ ٢٤ ، ٤ / ١٤٤ .

٢ - الضرة اللامع للسخاوي ٢ / ٢١ .

ثم استقر بعد ذلك بالقاهرة ، حيث أمضى بقية حياته الطويلة فى المكان الذى نشأ فيه وتربى فيه وبدأ فيه حياته الدينية والعلمية فى حارة برجوان ، وجعل من بيته مدرسة صغيرة لتلاميذه ، وجعل منها أيضاً مكاناً للتأليف فى مختلف نواحى دراسته ، فأخذ يعلم الناس فنون العلم ، ويشرى المكتبة العلمية بمصنفاته العظيمة .

زواجه :

تزوج الإمام المقرئى زوجة لا تعرف عنها شيئاً ، وأنجب منها ، وكانت له ابنة ، ماتت وهى فى سن السادسة بالطاعون سنة ٨٠٨ هـ ، هذا الطاعون الذى اجتاح القاهرة وسائر البلاد المصرية ، وهو الذى دفع الإمام المقرئى إلى كتابة كتابه « إغاثة الأمة بكشف الغصة » ، وكان ذلك فى أوائل عهده بالتأليف ، كما يبدو من محتوياته مدى تأثير شيخه ابن خلدون فيه خاصة فى التكوين التفكيرى .

وقد أجمع المعاصرون للمقرئى على أنه عاش رجلاً فاضلاً دينياً ، مجدداً أميناً فى عمله حتى أن السخاوى مع شدته فى نقد كتاب المواعظ والاعتبار يقول : إن المقرئى كان على جانب عظيم من حسن الخلق وكرم العهد ، وكثرة التواضع وعلو الهمة لمن يقصد ، والمحبة فى المذاكرة ، والمداومة على التهجد والأوراد وحسن الصلاة ومزيد الطمأنينة والملازمة لبيته^(١) .

اشتغاله بالعلم :

عكف الإمام المقرئى على الدراسة التقليدية لأبناء طبقته ، وهى دراسة علوم الدين وحفظ القرآن ومعرفة النحو ، ودراسة الفقه والتفسير والحديث ، وبعض العلوم الأخرى مثل التاريخ وتكوين البلدان والأدب والحساب .

لقد آثر المقرئى التفرغ للاشتغال بالعلم ، لذلك هجر دمشق بعد أن أقام بها عشر سنوات ، وعاد إلى القاهرة فأقام بها عاكفاً على الاشتغال بالتاريخ ، حتى اشتهر به ذكره وبعُد فيه صيته^(٢) ، وكان يضطرم شغفاً إلى البحث والكتابة ، وأنفق الأعوام فى التنقيب فى مختلف المصادر التى استطاع أن يصل إليها سواء فى القاهرة أو دمشق أو مكة ، وكانت توجهه فى

١- التبر المسبوك ، للسخاوى ص ٢٢ - ٢٣ طبعة مكتبة الكليات الأزهرية - مصر بدون تاريخ .

٢ - الضراء اللامع للسخاوى ٢١/٢ - ٢٢ .

درسه وبحته عاطفة قومية ، ظهر أثرها فيما بعد فيما اختاره ميداناً أساسياً لنشاطه . وهذه الظاهرة كلُّها في الظهور في شغفه باستقصاء ما استقصى عن تاريخ مصر ومجتمعاتها من الحقائق الفريدة (١).

١- مؤرخو مصر الإسلامية ، محمد عبد الله عنان ، ص ٨٨

المبحث الثانى

وظائف المقرئ ومناصبه

مكانته عند السلطان :

حظى الإمام المقرئ بمكانة خاصة عند السلطان الظاهر برفوق (١٣٨٢ - ١٣٩٩م) وابنه السلطان فرج بن برفوق (١٣٩٩ - ١٤٠٥م) من بعده ، وتوثقت الصلة بينه وبين الأمير يشبك الدوادار ، ونال فى ظله جاهًا ومالاً^(١) .

وظائفه ومناصبه:

عُيِّن الإمام المقرئ مرارًا فى وظائف الوعظ ، وقراءة الحديث بالمساجد الجامعة ، وولى الحسبة بالقاهرة غير مرة ، وهى من وظائف القضاء الهامة ، وولى الخطابة بجامع عمرو بن العاص ، وبمدرسة السلطان حسن ، والإمامة بجامع الحاكم الفاطمى ، وقراءة الحديث بالمدرسة المؤيدية وغيرها ، وتقلب فى عدة وظائف قضائية وإدارية سواء فى القاهرة أو دمشق^(٢) .

التحق المقرئ فى بداية حياته بالوظائف العامة ، بعد أن غدا بحكم طبقته وتعليمه من أهل القلم والمعرفة ، وكان أول ما وليه من هذه الوظائف وظيفة موقع - أى كاتب - بديوان الإنشاء بالقلعة ، وهى وظيفة لها أهميتها فى ذلك العصر ، لأنه لا يليها إلا من يتمتع بمواصفات معينة ومستوى راق من العلم والأسلوب ، وظل يعمل موقعًا من سنة ٧٩١هـ / ١٣٨٨م^(٣) ، هذه الوظيفة وقتذاك لا يلقها سوى أصحاب المؤهلات العالية والموهبة والمعرفة والتفوق فى اللغة والأدب والتاريخ وتقويم البلدان والحساب .

ثم عُيِّن المقرئ بعد ذلك نائبًا من نواب الحكم - أى قاضيًا - عند قاضى القضاة الشافعى بسبب ما اشتهر عنه من الحماسة للمذهب الشافعى منذ أيام دراسته وتحوله عن المذهب الحنفى الذى نشأ عليه .

١- الضوء اللامع للسخاوى ٢٢/٢٢ .

٢- مزرخو مصر الإسلامية ، محمد عبد الله عنان ص ٨٨

٣- الخطط المقرئية للمقرئ ١٥٦/٣ طبعة بيروت .

وما لبث أن صار المقرئى إماماً لجامع الحاكم الفاطمى ، وهى وظيفة كبيرة فى ذلك العصر ، وتولى بعد ذلك وظيفة مدرس للحديث بالمدرسة المؤيدية ، وربما كان تعيينه فى تلك الوظيفة التعليمية بتوصية خاصة من أستاذه ابن خلدون لدى السلطان برقوق ، كما تولى الخطابة بجامع عمرو بن العاص ومدرسة السلطان حسن . وما أن جاءت سنة ٨٠١ هـ / ١٣٩٨ م حتى اختاره السلطان برقوق فى وظيفة محتسب القاهرة والوجه البحرى^(١) فيبدو أن المقرئى حظى بمكانة خاصة عند السلطان برقوق وابنه السلطان فرج بن برقوق ، لذلك ولأه هذه الوظيفة بدلاً من شمس الدين البجاسى ، فانتقل بذلك من دائرة المشتغلين بالعلم والتعليم إلى دائرة الإدارة الحكومية ، والاختلاط بمختلف طبقات المجتمع ، لاسيما أرباب الأسواق والمتاجر وأصحاب المهن والصنائع ، ذلك أن وظيفة المحتسب كانت تشمل النظر فى الأسعار الجارية وأحوال النقد ، وضبط الموازين والمكاييل والمقاييس ، ومراقبة الآداب العامة ، ونظافة الشوارع وتنظيم حركة المرور بها مع الإشراف على المدارس والمدرسين والطلاب ، والعناية بالمساجد ، والحمامات والقياس والوكالات ، فضلاً عن مراقبة أصحاب الصناعات العالية من الأطباء والصيدلة والمعلمين أى المهندسين المعماريين ، ويضاف إلى هذه الواجبات الكثيرة الداخلة فى اختصاص المحتسب أحوال الباعة الجواله والمتعشين والمتسولين والمتعطلين الذين كانوا خطراً على الأمن ، ويتضح من ضخامة هذه الوظيفة ومسؤولياتها أن المقرئى الذى تعين بها بأمر من السلطان برقوق لابد أنه اشتهر وقتذاك بالكفاية والدقة فى الإدارة ، والأمانة فى تطبيق الأحكام الشرعية ، وما لبث أن عُزل المقرئى من هذه الوظيفة واستبدل بالقاضى بدر الدين العيىنى ت ٨٥٥ هـ فى مستهل ذى الحجة سنة ٨٠١ هـ ولكنه أعيد إلى هذا المنصب سنة ٨٠٢ هـ^(٢).

لم يستقر المقرئى فى هذا المنصب طويلاً هذه المرة إذ عُزل عنه فى السنة نفسها وولى جمال الدين الطنبندى الذى يصفه المقرئى بالجهل وسوء السيرة والتهافت على الرشوة^(٣) . ولذلك تم عزل جمال الدين الطنبندى وأعيد المقرئى إلى منصبه واستمر به إلى سنة ٨٠٧ هـ / ١٤٠٤ م . حيث استبدل بشمس الدين البجاسى^(٤) ويبدو أن المقرئى نفسه ضاق بمسؤوليات هذا المنصب

١ - السلوك لمعرفة دول الملوك للمقرئى ٩٣/٣ ، ونزهة النفوس والأبدان لابن الصيرفى ٤٨٦/١ .

٢ - نزهة النفوس والأبدان لابن الصيرفى ٢٠/٢ ، ٤٥ .

٣ - الخطط المقرئية للمقرئى ٢٢٧/٣ - ٢٢٨ .

٤ - نزهة النفوس والأبدان لابن الصيرفى ٢٠١/٢ .

التي شغلت وقته ليلاً ونهاراً وصرفته عن القراءة ، وتطلبت منه الجلوس فى دكة المحتسب للفصل فى شكاوى السوق والسوق، وتوقيع العقوبات على المخالفين، وإصدار الأوامر إلى العرفاء والأعوان والنقباء ، وفى ذلك الوقت تزوج المقرئى وأعجب ابنته التى ماتت بالطاعون الذى اجتاح مصر سنة ٨٠٦هـ / ١٤٠٣م^(١). وهذا الطاعون هو الذى أوحى إليه بتأليف كتاب " إغاثة الأمة بكشف الغمة " ، كما دفعه ضيقه بوظيفة المحتسب إلى تأليف كتاب " شذور العقود فى ذكر النقود " وكتاب " الأكيال والأوزان الشرعية " .

وما لبث أن عاد المقرئى فى سنة ٨١١هـ / ١٤٠٨م إلى دائرة المشتغلين بالتدريس مرة أخرى حين عينه السلطان فرج بن برقوق مدرساً للحديث بالمدرستين الإقبالية والأشرفية بدمشق مع النظر على أوقاف البيمارستان النورى فيها، وأوقاف المدرسة القلاسية كذلك ، وما لبث أن عينه السلطان فرج أيضاً نائباً للحكم بدمشق ، أى قاضياً ، استيفاء لشرط الواقف أن يكون المتعينون على الأوقاف الدمشقية قضاة بها ، لكن المقرئى رفض قبول منصب القضاء على الرغم من عرض هذه الوظيفة عليه مراراً ، ويظهر أنه سئم الوظائف الحكومية كلية وضاق بتكاليفها وأعبائها ، وأنه ملك من الأملاك عن جده لأبيه بدمشق ، الأمر الذى أغناه عن تضييع وقته فى كسب العيش عن طريق مجالس الحكم والقضاء ، ومهما يكن فقد كانت هذه السنوات الدمشقية من حياته غنية بالإنتاج العلمى ، حيث كتب وصنف خلالها أول مؤلفاته الطويلة وهو كتاب السيرة الذى عنوانه " إمتاع الأسماع بما للرسول من الأبناء والحفدة والأخوال والأتباع " ، وكذلك كتاب " النزاع والتخاصم فيما بين بنى أمية وبنى هاشم " .

رحل المقرئى عن دمشق بعد إقامته بها نحو عشرين سنوات ورجع إلى القاهرة معتزلاً كل عمل رسمى ليتوفر على الدرس والاشتغال بالعلم ، غير أنه تراءى أن يحج أولاً ، كأنما أراد أن يفصل بين مرحلتين من حياته ، ومن أجل ذلك رحل المقرئى وأسرته حاجاً إلى مكة سنة ٨٣٤هـ / ١٤٣١م التى عرفها قبل ذلك وجاور فيها مدة قصيرة إبان طلبه للعمل ، على أنه ظل مقيماً بمكة هذه المرة نحو خمس سنوات ، وقد اشتغل فى تلك السنوات المكية من حياته بتدريس الحديث ، وربما يرجع إلى هذه الفترة تأليف كتابه الذى عنوانه " الكلام ببناء الكعبة بيت الله الحرام " ، وكتاب " ضوء السارى فى معرفة قيم الدارى " ، وكتاب " التبر المسبوك

فى ذكر من حج من الخلفاء والملوك " ، وكتاب " وصف حضرموت العجيبة " ، وكلها كتب خاصة بمحيط بلاد العرب وأخبارها ، ومن الراجع أيضاً أن الكتاب المسمى " الإعلام بمن فى أرض الحبشة من ملوك الإسلام " يرجع كذلك إلى هذه الفترة المكية .

ثم أراد المقرئى الاستقرار فى مصر مرة أخرى فعاد إلى القاهرة سنة ٨٣٩ هـ / ١٤٣٥م ليستقر بها ، حيث أمضى بقية حياته الطويلة بحارة برجوان التى ما برح منذ شبابه يفاخر بها على غيرها ، ثم إنه جعل من داره بها مكاناً لدراسة تلاميذه وللتأليف الكثير فى مختلف نواحي دراسته^(١) .

لقد بدأ المقرئى نشاطه العلمى بإكمال كتابه " المواعظ والاعتبار يذكر الخطط والآثار " إلى أن توفى سنة ٨٤٥ هـ / ١٤٤١م وهو محمود السيرة فى حياته الشخصية والوظيفية ، فقد عاش رجلاً فاضلاً ديناً ، مجدداً أميناً فى عمله على جانب عظيم من حسن الخلق وكرم العهد ، وكثرة التواضع ، وعلو الهمة لمن يقصد ، والمحبة فى المذاكرة ، والمداومة على التهجيد والأوراد ، وحسن الصلاة ، ومزيد الطمأنينة والملازمة لبيته ، حتى حمدت سيرته فى الوظائف التى تولاها قبل أن ينصرف إلى حياة الدرس الخالية^(٢) .

١ - النجوم الزاهرة لابن تغرى بردى ٢١٨/٨ .

٢ - التبر المسبوك للسخاوى ص ٢٢ - ٢٣ .

المبحث الثالث

تقييم مؤلفات المقرئى

تشهد مؤلفات الإمام المقرئى على عمق معرفته وسعة اطلاعه وإلمامه بعلوم شتى ، فقد برع فى علوم الدين من فقه وحديث وغيرهما براعته فى الأدب من نظم ونثر ، فضلاً عن مدى إحاطته بالخطوط والترجمة والسك والأوزان والمقاييس ومعرفته بعلم الحشرات والمعادن والطب والموسيقى ، ولكن أعظم اهتمامه انصبَّ على التاريخ ، فعرف جزءاً كبيراً منه معرفة تامة ، وحفظ الكثير منه والكثير ، واعتنى بتحقيقه والتصنيف فيه ، حتى زادت مؤلفاته فى التاريخ على نيف وثلاثين عنواناً تراوحت ما بين كتب صغرى هى عبارة عن كتيبات ورسائل ومؤلفات كبرى تنسم بالموسوعية ، الأمر الذى جعل المقرئى يتبوأ مكانة الصدارة بين مؤرخى عصره الذى عاش فيه ، كما قال عنه تلميذه ابن تغرى بردى " وفى الجملة هو أعظم مَنْ رأيناه فى علم التاريخ وضروبه مع معرفتى لمن عاصره من علماء المؤرخين ، والفرق بينهم ظاهر ، وليس فى التعصب فائدة " (١) . فمن المعزوف أن المقرئى اختار تاريخ مصر ميداناً خيراً جهوده وأعظمها ، ومع ذلك لم تُحرم نواح أخرى من أن يكتب فيها عدداً من المؤلفات فى غير التاريخ مثل تاريخ النقود العربية ، والبيان المفيد فى الفرق بين التوحيد والتلحيد ، ونحل عبر النحل ، والمقاصد السننية فى معرفة الأجسام المعدنية . كما كتب فى نواح أخرى من تاريخ الإسلام مثل إمتاع الأسماع فيما للنبى من الحفدة والأتباع ، والإمام بمن فى أرض الحبشة من ملوك الإسلام وغير ذلك .

ولكن تعتبر هذه النواحى وتلك فى الدرجة الثانية أو المحل الثانى من الكتابة عنده ، أما تاريخ مصر وتاريخ نظمها ومجتمعها وتاريخ شعبها قد خصها المقرئى بمجموعة من نفائس الكتب مثل المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ، والسلوك لمعرفة دول الملوك ، وكتاب المقفى وهو سير الأمراء والكبراء الذين عاشوا فى مصر ، واتعاط الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء وغيرهم كثير عن مصر . فهذا التراث العظيم من مؤلفاته تراث حافل من

حيث مداه ، ولكنه حافل بالأخص من حيث نوعه وطاقته ، حيث فطن المقرئ إلى نواح من تاريخ المجتمعات المصرية المتعاقبة لم يفتن إليها أسلافه لأنه أدرك قيمة هذه النواحي في تاريخ مصر الإسلامية ، مثل ما كتب حول الخراب الذى حل بمصر فى عصره وأدى إلى إفقار المجتمع المصرى ، فكتب كتابه المشهور « إغاثة الأمة بكشف الغمة » وقد عالج فيه الظواهر والعوامل التى أدت إلى هذا الخراب ، وشرح وعلل وذكر الأسباب إن مثل هذا الكتاب آية فى الابتكار من حيث محتوياته وتفصيله ،

إن من يتصفح أو يشاهد مؤلفات الإمام المقرئ فإنه يستطيع الحكم بأنها تتسم بسمتين لا ثالث لهما ، الأولى سمة الموسوعية ، والثانية سمة التخصصية .

أما من حيث عرض مؤلفات الإمام المقرئ فسوف أعرضها مرتبة على حروف الأبجدية :

١ - اتعاط الخنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء : يعتبر هذا المؤلف أوفى مصدر فى التاريخ الفاطمى ، وقد طبع هذا الكتاب عدة طبعات ، طبعة نشرها المستشرق بونز سنة ١٩٠٩م وهى ناقصة ، طبعة دار الأيتام بالقدس ، وقدم لها مقدمة باللغة الألمانية وقد طبعها فى " ليبزغ " . وطبعة أخرى بالقاهرة تصحيح وتحقيق الدكتور جمال الدين الشيال سنة ١٩٤٨م وهى طبعة ناقصة من الأصل . وطبعة ثالثة على نسخة كاملة على يد المستشرق كلود كاهن ، ثم أعاد الدكتور جمال الدين الشيال نشر الكتاب على النسخة الكاملة سنة ١٩٦٧م وكان ما أعاد نشره هو الجزء الأول منه ، ثم استكمل هذا العمل بعده الجزء الثانى والجزء الثالث الدكتور محمد حلمى أحمد عامى ١٩٧١ ، ١٩٧٣م .

٢ - إغاثة الأمة بكشف الغمة : وهو كتيب صغير يعتبر من خير ما كتب الإمام المقرئ عمقاً وفهماً ، ويتناول فيه تاريخ المجاعات التى نزلت بمصر منذ أقدم العصور إلى سنة ٨٠٨هـ / ١٤٠٥م ، وهى السنة التى أُلِف فيها الإمام المقرئ هذا الكتاب ، وقد طبع هذا الكتاب فى القاهرة سنة ١٩٤٠م بتحقيق محمد مصطفى زيادة ، وجمال الدين الشيال ، ثم أعيد طبعه سنة ١٩٥٧م ، وطبع طبعة دمشق عن دار ابن الوليد عام ١٩٥٦م بتحقيق الدكتور بدر الدين السباعى ، وعن مؤسسة ناصر للثقافة فى بيروت عام ١٩٨٠م ، ولكن هذه الطبعة المتعددة بالبحث والتحصيل وُجد أنها لم تقدم دراسة وافية عن الإمام المقرئ ومدى تفرد فى حديثه عن الجانب الاقتصادى وأبعاده على الجانب الاجتماعى ، وتحليل الأحداث

والوصول إلى الأسباب التي أدت لمثل هذه المجاعات ، وكذلك لم تقدم دراسة وافية عن الكتاب كما نقدمها نحن خلال هذا العمل العلمى الذى بين أيدينا .

٣ - الإشارة والإعلام ببناء الكعبة والبيت الحرام : ذكر هذا الكتاب الإمام السخاوى ضمن مؤلفات الإمام المقرئى ، وهو مفقود .

٤ - الإمام بن فى أرض الحبشة من ملوك الإسلام : كتبه الإمام المقرئى فى مكة سنة ٨٣٩هـ ، وحرره فى مصر سنة ٨٤١هـ بعد تدقيقه ، وقد طبع فى " بتافيا " مع ترجمة فرنسية سنة ١٧٩٠م ، كما طبع فى القاهرة سنة ١٨٩٥م .

٥ - إمتاع الأسماع فيما للرسول من الحفدة والأتباع: وهو يتحدث عن شمائل النبى ﷺ والنبوات وآل الرسول والسيرة النبوية والهجرة والغزوات ، ومجموعة من الأخبار عن أحوال الرسول وأحكامه وأعماله ودقائق حياته وحديثه ، وتوجد منه نسخة مخطوطة فى كوبرلى باستامبول تحت رقم ١٠٠٤ فى ستة مجلدات ، ومصورة فى دار الكتب المصرية برقم ٨٨٦ تاريخ فى تسعة مجلدات ، وقد قام الأستاذ محمود محمد شاكر بتحقيق الجزء الأول فى سنة ١٩٤١م وطبع بمطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة .

٦ - البيان والإعراب عمّا فى أرض مصر من الأعراب : هذا الكتاب يبحث فى القبائل التى سكنت مصر ، وقد تم ترجمة هذا الكتاب إلى الألمانية على يد " ستنفلد " ونشره فى " غوتنغن " سنة ١٨٤٧م فى ثلاثة أجزاء ، وطبع أيضاً فى مصر بتحقيق إبراهيم رمزى ، طبعة دار المعارف سنة ١٩١٦م ، وطبع فى مصر أيضاً عام ١٩٦١م ، بتحقيق عبد المجيد عابدين ، طبعة عالم الكتب .

٧ - البيان المفيد فى الفرق بين التوحيد والتلحيد : هذا الكتاب غير منشور وتوجد منه نسخ مخطوطة عديدة فى تشيستر بتى رقم ١٤٩٦ ، وفى ليدن رقم ٤٥١ ، وفى باريس رقم ٤٦٥٧ ، وفى دار الكتب بمصر .

٨ - تاريخ الجراكسة : وهو مخطوط فى " أوكسفورد " وقد ذكره جرجى زيدان فى كتابه تاريخ آداب اللغة العربية ١٨٣/٣ ، وهو غير منشور .

٩ - تراجم ملوك الغرب ، وقد ذكر فيه المقرئى أخبار أبى حمو وهو موسى بن يوسف بن عبد الرحمن ، ومن خلفه على تلمسان من بنى زيان ، ومن هذا الكتاب نسخ مخطوطة ، منها فى ليدن ، وفى فيينا .

١٠ - تلخيص كتاب عجائب المقدور فى وقائع تيمور لابن عريشاه شهاب الدين الأنصارى المتوفى سنة ٨٥٤هـ . وهذا الكتاب أى عجائب المقدور لابن عريشاه يندد فيه بتيمور ، وقد نشره أحمد الأنصارى فى " كلكتا " بالهند من ١٨٨٨م .

١١ - جنى الأزهار من الروض المعطار : وهو موجز لكتاب الروض المعطار للحميرى المتوفى سنة ٩٠٠هـ وهو منسوب إلى المقرئى ، وهذا أمر غير مقبول لأن الحميرى توفى سنة ٩٠٠هـ والمقرئى توفى سنة ٨٤٥هـ فكيف يحدث ذلك؟؟ ، ولكن يُقال أن هذا الكتاب منسوب لأحد أحفاد المقرئى الذى يلقب بشهاب الدين المقرئى لا بتقى الدين المقرئى ، وهذا الكتاب توجد منه نسختان مخطوطتان فى باريس برقم ٤٧٩٧ و ٥٩١٠ .

١٢ - الخبر عن البشر : وهو كتاب فى التاريخ ، مكوّن من أربعة مجلدات وعمل له مقدمة فى مجلد ، توجد منه نسخة مخطوطة فى مكتبة فاتح باستامبول فى ٦ أجزاء بخط المؤلف ، ويوجد منها الجزء الأول مصور فى دار الكتب المصرية برقم (٩٤٧ تاريخ) . ونسخة أخرى فى مكتبة الأزهر برقم ٤٣٩ (٦٧٣٣ أباطة) .

١٣ - درر العقود الفريدة فى تراجم الأعمال المفيدة : وهو فى ثلاث مجلدات ، ترجم فيه المقرئى لأعيان عصره البارزين ومنهم علماء اليمن ، ومن هذا الكتاب نسخة مخطوطة فريدة فى مجلدين عن نسخة المؤلف سن ٨٧٨هـ فى مكتبة آل الجليلى فى الموصل .

١٤ - الدرر المضيئة فى تاريخ الدولة الإسلامية أو الخلفاء حتى نهاية العباسيين : وهو من مقتل سيدنا عثمان بن عفان إلى مقتل المستعصم ونهاية الخلافة العباسية سنة ٦٥٦هـ ، ومنها نسخة مخطوطة فى كمبريدج برقم Q94 فى ٢٧٣ ورقة كبيرة ، كتبت هذه النسخة بعد عهد المؤلف بقليل .

١٥ - ذكر بناء الكعبة والبيت الحرام : وهو مخطوط فى دمشق بالمكتبة الظاهرية تحت رقم ٤٨٠٥ ، وعدد أوراقه ٧٨ ورقة .

١٦ - ذكر ما ورد فى بنى أمية وبنى العباس من الأقوال : توجد نسخة من هذه الرسالة مخطوطة فى فيينا .

١٧ - الذهب المسبوك فى ذكر من حج من الخلفاء والملوك : وتوجد من هذا الكتاب عدة نسخ ، منها نسخة فى استامبول فى ولى الدين ضمن مجموع ٣١٩٥ ، ونسخة فى كمبريدج

ضمن مجموعة ، وتوجد نسخة أخرى فى المكتبة الأهلية بباريس ضمن مجموعة رقم ٤٦٥٧ ، وقد نشر جمال الدين الشيال الكتاب سنة ١٩٥٤م بالقاهرة .

١٨ - رسالة فى الغناء بعنوان " إزالة إلتعب والعنا فى معرفة حال الغنا " وهذه الرسالة منها نسخة مخطوطة ذكر جرجى زيدان أنها موجودة فى المكتبة الوطنية فى باريس .

١٩ - رسالة فى الموازين والمكاييل : فى الأوزان والأكيال الشرعية ، ومنها مخطوطة فى " ليدن " ومخطوطة أخرى فى دار الكتب المصرية ، وقد ترجمت إلى الإيطالية وطبعت سنة ١٨٠٠م فى " دوستك " بعناية المستشرق رتك .

٢٠ - سيرة الملك المؤيد ، ذكر السخاوى فى الضوء اللامع أن المقرئى قرض سيرة الملك المؤيد شعراً لمحمد بن ناهض ، وقد عاش ابن ناهض هذا فى مصر وتوفى سنة ٨٤١ هـ / ١٨٤٣م وقد كتب سيرة المؤيد الذى حكم سلطاناً بين (٨١٥ - ٨٢٤ هـ / ١٤١٢ - ١٤٢١م)^(١).

٢١ - السلوك فى معرفة دول الملوك : وهو كتاب من أبرز كتب المقرئى ، ومن أبرز كتب التاريخ المصرى الوسيط ، أتم به المقرئى سلسلة التواريخ المصرية بجمع وتسجيل أوسع ما وجد من المعلومات حول عصرى الدولتين الأيوبيه - والمملوكية من سنة ٥٧٧هـ حتى السنة التى سبقت وفاته سنة ٨٤٥ هـ. وقد طبع هذا كتاب سنة ١٨٣٧ - ١٨٤٥م فى مجلدين بتحقيق كاترير الفرنسى بباريس ، ثم طبع ونشر فى مصر فظهر الجزء الأول منه سنة ١٩٣٤م بتحقيق محمد مصطفى زيادة ، ثم ظهر الجزء الثانى منه سنة ١٩٥٨م ، ثم ظهر الجزء الثالث والرابع بتحقيق سعيد عبد الفتاح عاشور ما بين سنتى ١٩٧٠ - ١٩٧٣م.

٢٢ - شذور العقود فى ذكر النقود : وهى رسالة نفيسة فى تاريخ النقود العربية الإسلامية ، ولعله أول كتاب مفرد كتب فى هذا الموضوع ، وقد طبع وترجم هذا الكتاب عدة طبعات وترجمات ، فقد نقلت هذه الرسالة إلى الإيطالية وطبعت سنة ١٧٩٧م ، وترجمها المستشرق الفرنسى دوساسى إلى الفرنسية ونشرها سنة ١٧٩٧م ، ثم نشرت فى القسطنطينية بعناية أحمد فارس الشدياق سنة ١٢٩٨ هـ / ١٨٨١م بمطبعة الجوائب ، وطبعت فى الإسكندرية سنة ١٩٣٣م بعناية ماير ، ثم طبعت فى النجف الأشرف سنة ١٩٣٨م بعناية

محمد صادق بحر العلوم ، ثم طبعت فى القاهرة سنة ١٩٣٩م بعناية الأب انستاس الكرملى مطبعة إلياس الحديثة . ثم طبع مؤخرًا بتحقيق رَأفت محمد النبراوى - لندن - دار المريخ للنشر سنة ١٩٨٨م .

٢٣ - شارع النجاة : انفرد السخاوى بذكره ، وذكر أنه يشتمل على جميع ما اختلف فيه البشر من أصول ديانتهم وفروعها مع بيان أدلتها ووجه الحق فيها .

٢٤ - الضوء السارى فى خبر تقيم الدارى : وتقيم الدارى هو أحد الصحابة الأولين ، استقر فى أرض الخليل بفلسطين وتوفى سنة ٤٠ هـ ، وقد طُبع هذا الكتاب فى مصر بتحقيق محمد أحمد عاشور - القاهرة - ، دار الاعتصام للطبع والنشر ١٣٩٢ هـ / ١٩٧٢م .

٢٥ - الطرفة الغربية فى أخبار حضرموت العجيبة : وقد كتب هذه الرسالة أثناء مجاورته فى مكة سنة ٨٣٩ هـ ، وقد طبعت مصورة ومشروحة سنة ١٨٦٦م فى " بون " بعناية المستشرق سكوى بالفتين العربية واللاتينية .

٢٦ - عقد جواهر الأسفاط فى أخبار مدينة الفسطاط : وهو فى ذكر ملوك مصر والفسطاط ، ويعتبر أول كتاب كتبه المقرئى فى تاريخ مصر الإسلامى الأول ، ومن هذا الكتاب نسخة مخطوطة فريدة فى برلين ضمن مجموعة خطية تحمل رقم ٩٨٤٥ .

٢٧ - معرفة ما يجب لآل البيت من الحق على من عاداهم : وهى رسالة كتبها سنة ٨٤١ هـ ، ومنها مخطوط فى قيينا ضمن مجموع ، وأخرى فى باريس ضمن مجموع ٤٦٥٧ هـ ، وقد نشره محمد أحمد عاشور عن دار الاعتصام القاهرة ١٩٧٢م .

٢٨ - منتخب التذكرة فى التاريخ : يقول عنه الإمام المقرئى بأنه كتاب عديم المثال فى جمل التاريخ ، انتخبه من كتابه المسمى " التذكرة " وذكر فيه تاريخ الملوك والأعيان ، ومدة كل منهم ووقت انقضائه وأنسابهم وتلخيص أحوالهم ، وقد بقى من هذا الكتاب مجلد واحد مخطوط هو المجلد الأول من آدم إلى سنة ٢٧٠ هـ ، ويقع فى ١٦٦ ورقة ، وهو فى المكتبة الوطنية فى باريس برقم (١٥١٤) .

٢٩ - مختصر الكامل فى الضعفاء : وهو اختصار لكتاب الكامل فى الضعفاء لعبد الله ابن عدى الجرجانى المتوفى سنة ٣٦٥ هـ ، ومنه نسخة بخط المقرئى كتب سنة ٧٩٥ هـ وهى فى مكتبة مراد ملا باستامبول رقم ٥٦٩ فى ٣١٥ ورقة .

٣٠ - مجمع الفرائد ومنبع الفوائد : وهو كالتذكرة تجمع ألواناً من الأخبار والمواضيع ، قال ابن تغرى بردى^(١) " إن الميرزى أكمل منه نحو الثمانين مجلد " ، وقال السخاوى^(٢) " إنه يشتمل على علمى العقل والنقل المحتوى على فنى الجدول والهزل ، وقد بلغت مجلداته نحو المائة .

٣١ - المقفى : وهو كتاب فى تراجم أهل مصر والواردين إليها ، حافل فى تراجم الملوك والأمراء والعلماء المصريين أو من عرفتهم مصر من جميع الأقطار ، وقد طبع ونشر أكثر من طبعة ، فقد حققه سهيل زكار وطبع فى بيروت بدار العلم ١٩٧١م ، وحققه محمد اليعلاوى من تونس حولية الجامعة التونسية - كلية الآداب والعلوم الإنسانية ١٩٨٦م ، وطبع ببيروت اختيار وتحقيق محمد اليعلاوى ، بيروت دار الغرب الإسلامى ١٩٨٧م .

٣٢ - المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار : فى ذكر خطط مصر والقاهرة وقد طبع هذا الكتاب طبعات عديدة مثل طبعة بولاق بالقاهرة سنة ١٨٥٤م ، وطبعة المطبعة الأهلية - مصر سنة ١٩٠٧م ، وطبعة المعهد الفرنسى بالقاهرة ١٩١١ - ١٩٢٨م ، وطبعة بيروت مكتبة إحياء العلوم ١٩٥٩م ، وطبعة دار التحرير بالقاهرة ١٩٦٨م .

٣٣ - النزاع والتخاصم فيما بين بنى أمية وبنى هاشم : وهى رسالة صغيرة يبحث فيها الميرزى أمر الفرقة والتنافس على الخلافة بين الأمويين وبنى الهاشميين وقد طبع فى القاهرة أكثر من مرة بمكتبة الأهرام سنة ١٩٣٧م ، وبالنجف بالمطبعة العلمية ١٩٤٩م ، وطبعة أخرى بالنجف ١٩٦٦م .

٣٤ - نحل عبر النحل وما فيه من غرائب الحكمة : وهو كتاب أو نموذج لاهتمامات الميرزى بالناحية العلمية ، وقد طبع بالقاهرة بتحقيق جمال الدين الشيال سنة ١٩٤٦م .

من خلال ما سبق من عرض لمؤلفات الإمام الميرزى يتبين للقارئ غزارة فى الإنتاج العلمى ، حيث طرق مختلف الأنواع التاريخية على تباين فى الكثرة والقلّة ، كما يتضح لنا من العرض السابق ومن اتجاه مؤلفاته أنه رسم لعمله ترتيباً تاريخياً استهدف به أن يكتب تاريخ الدول الإسلامية فى مصر حتى أيامه ، مما جعله شيخ المؤرخين فى القرن التاسع للهجرة .

١ - المنهل الصافى لابن تغرى بردى ٣٩٨/١ .

٢ - التبر المسبوك للسخاوى ص ٢٣ .

المبحث الرابع

تسمية الكتاب وأهميته

تسمية الكتاب وصحة نسبته للمؤلف :

كتاب "إغاثة الأمة بكشف الغمة" لتقى الدين أحمد بن على المقرئى ، قد كتبه سنة ٨٠٨ هـ / ١٤٠٣ م ، وقد جاء فى الصفحة السابعة والعشرين من النسخة المخطوطة المعتمدة فى التحقيق التصريح بذلك قال : " ونحن الآن فى أوائل سنة ثمان وثمانمائة " مما يدل دلالة واضحة على صحة تاريخ كتابة هذه المخطوطة ^(١) ، وجاء فى الصفحة الأخيرة من المخطوطة ما يدل على صحة تاريخ هذه المخطوطة فقال : " تيسر لى ترتيب هذه المقالة وتهذيبها فى ليلة واحدة من ليالى المحرم سنة ثمان وثمانمائة " ^(٢) .

كما جاء اسم الكتاب واسم المؤلف واضحاً فى الصفحة الأولى من النسخة المعتمدة للتحقيق على النحو التالى : " كتاب إغاثة الأمة بكشف الغمة " تأليف الشيخ الإمام العلامة الموضح تقى الدين أحمد بن على بن عبد القادر المقرئى " مما يدل على مدى صحة نسبة الكتاب له وتسميته بهذا الاسم المعروف به .

ومن خلال دراستى لشخصية الإمام أحمد بن على المقرئى وقراءة وافية لهذا الكتاب وإطلاعى على العديد من المصادر لمراجع تبين لى نسب كتاب "إغاثة الأمة بكشف الغمة" للإمام العلامة أحمد بن على المقرئى ، فقد ذكره جرجى زيدان ضمن مؤلفات المقرئى المهمة والتي هى مرجع الناس فى حالة مصر السياسية والاجتماعية ^(٣) . ومحمد عبد الله عنان فى كتابه " مؤرخو مصر الإسلامية " حيث قال : وما يجدر ذكره أن أثر تفكير ابن خلدون يبدو واضحاً فى رسالة كتبها المقرئى عنوانها " إغاثة الأمة بكشف الغمة " ^(٤) وذكره شاكر

١ - انظر الصفحة (٢٧) من المخطوطة .

٢ - انظر الصفحة الأخيرة من المخطوطة .

٣ - تاريخ آداب اللغة العربية ، جرجى زيدان ٣ / ١٩٩٣ .

٤ - مؤرخو مصر الإسلامية ، محمد عبد الله عنان ص ٩٥ .

مصطفى فى كتابه " التاريخ العربى والمؤرخون " فقال من تراث المقرئزى التاريخى كتاب "إغاثة الأمة بكشف الغمة " ، وهو من خير ما كتب المقرئزى عمقاً وفهماً واستعرض فيه تاريخ المجاعات التى حلت بمصر منذ أقدم العصور حتى مجاعة سنة ٨٠٨هـ والسنة التى كتب فيها الكتاب " (١) .

عندما نقف أمام عنوان هذا الكتاب " إغاثة الأمة بكشف الغمة " نلاحظ أن الإمام المقرئزى يقصد بالغمة أزمة ٨٠٦ - ٨٠٨ هـ ، تلك الأزمة التى تختلف فى أسبابها الجوهرية عن الأزمات التى سبقتها ، تلك الأزمات التى ترتبط أساساً بقصور النيل ، وانخفاض مستوى الفيضان ، أما أزمة ٨٠٦ - ٨٠٨ هـ فى نظر الإمام المقرئزى ليست إلا نتيجة لسبب رئيسى هو " سوء تدبير الزعماء والحكام لشئون البلاد ، وغفلتهم عن النظر فى مصالح البلاد والعباد .

الداعى لتأليف الكتاب :

ألف الإمام المقرئزى كتابه " إغاثة الأمة بكشف الغمة " من منطلق اقتصادى بحث ، وفى ظل ظروف اقتصادية قاسية ، ومن واقع أزمة خانقة عايشها وقاسى منها ، ودفع فيها ثمناً باهظاً ترك أعماق الأثر فى نفسه ووجدانه ، والمقصود بهذه الأزمة تلك المجاعة التى حلت بمصر ، واستمرت بصفة متقطعة بين سنتى ٧٩٦ - ٨٠٨ للهجرة ، وما صحبها من انتشار الطاعون فى البلاد وهو الوباء الذى ذهب ضحيته آلاف الناس ، ومن جملتهم ابنة الإمام المقرئزى ووجدته ، وهكذا عندما عالج سوء الحالة الاقتصادية فى كتابه ، وبحث فى أسباب الداء ، وفتش عن الدواء ، كان يكتب بأحاسيسه ، ويسجل ما رآه بعينه ، وما أحس به بفؤاده ، وليس فقط ما سمعه بأذنيه .

استهدف الإمام المقرئزى من كتابه هذا توضيح حقيقتين هامتين : الأولى ، الأسباب التى نشأ منها هذا الأمر العظيم ، وكيف تقادى بالبلاد والعباد هذا المصاب الشديد الشنيع ، والثانية ، ما يزيل هذا الداء ويرفع هذا البلاء .

هذه الأزمة التى دفعته إلى تأليف هذا الكتاب ليست الأو من نوعها فى تاريخ مصر وأهلها ، وليست أشد وأقسى من غيرها وإن بدت كذلك فى المعاصرين ، يقول الإمام المقرئى فى ذلك : " القليل من المشاهدة أرسخ من الكثير من الخبر ، إذ مقاساة اليسير من الشدة أشق على النفس من تذكر الكثير عما سلف منها " (١) .

لقد استطاع الإمام المقرئى أن يبرهن عن وجهة نظره من خلال تتبعه للأزمات الاقتصادية التى حلت بمصر منذ أقدم العصور ، ويرجع بذلك إلى ما قبل طوفان سيدنا نوح عليه السلام ، ويتدرج إلى أن وصل إلى الأزمة الطاحنة التى حلت بالبلاد زمن سيدنا يوسف الصديق عليه السلام ، وفى ظل الإسلام حدثت أول أزمة اقتصادية بمصر فى سنة سبع وثمانين للهجرة ، ووالى مصر يومئذ هو عبد الله بن عبد الملك بن مروان - الذى وليها من قبل أبيه الخليفة عبد الملك فتشام به الناس ، لأنه أول غلاء وأول شدة رآها المسلمون بمصر .

ومنذ الفتح العربى الإسلامى لمصر حتى أيام المقرئى نفسه ، عدَّ هذا المؤرخ نحو عشرين أزمة اقتصادية ، تفاوتت فى شدتها ، أرجع معظمها إلى قصور نهر النيل وعدم وفائه وانخفاض مستوى الفيضان ، وأرجع القليل منها إلى كثرة الاضطرابات ، وتعدد الفتن ، وعدم الاستقرار والأمن بسبب المصادمات بين طوائف الجند والأمراء ، وما صاحب ذلك من نهب الأسواق واختلال الأوضاع الاقتصادية (٢) .

وصف المقرئى بإيجاز ما كان يحدث فى تلك الأزمان أو الغلوات من ارتفاع فى الأسعار ، ونقص فى الأقوات ، وما كان يصحب ذلك غالباً من انتشار الطاعون والأوبئة الفتاكة ، مما يزيد من وقع البلاء .

أهمية الكتاب :

ترجع إلى أنه دراسة ناقدة تحليلية ، يغلب عليها الطابع الاقتصادى الاجتماعى ، والمتتبع لما كتبه المقرئى يجد أنه ينتقد كثيراً من الأوضاع القائمة فى الدولة وما يرتبط بها من سوء تصرفات الحكام ، كما أنه يرجع تلك الأزمان التى تحل بالبلاد إلى تلك الأوضاع

١ - انظر المخطوطة ، ص ٣٠ .

٢ - انظر المخطوطة ، ص ٨ .

والتصرفات، ونراه يحلل تلك الأزمات تحليلاً اقتصادياً يجمع بين العنق والإيجاز ، ويشرح ما لها من آثار اقتصادية واجتماعية ، مما يجعل من كتابه هذا ظاهرة فكرية لها أهميتها وخطورتها فى عصر سلاطين المماليك .

ورغم أن هذا الكتاب من الكتب الصغيرة فى مؤلفات الإمام المقرئى ، إلا أنه يشغل أهمية خاصة تقصر عنها الكتب الكبرى عنده وعند غيره من المؤرخين ، فبينما توج مؤلفاتهم الضخمة بأخبار الخلفاء والسلاطين والملوك والأمراء ، وتزود بحوادث العزل والولاية ، وتنشع بالتراجم والوفيات والحروب والتجاريد ، حتى تكاد شخصية المؤلف لا توجد أو ترى إلا بمنظار ، إذا بهذه الكتب الصغيرة تلقى كثيراً من الضوء على شئ من هوية مؤلفيها ، وتوضح الطريق لفهم الحالة الفكرية بينهم فى مختلف العصور والعهود ، ذلك لأن المؤلف يعرض فى أمثال تلك الكتب لمسألة معينة ، فيتدخل من قيود تسجيل الحوادث ، ويجرؤ أحياناً على الإدلاء بآرائه فى نظم الحكم وقواعده بل يحاول أن يعلل بعض الظواهر تعليلاً عقلياً ، ويناقش بعض العيوب نقاشاً حراً يوافق العقل والمنطق .

كما تكمن أهمية كتاب " إغاثة الأمة بكشف الغمة " فى أن أحد فصوله أصل لرسالة أخرى من رسالات الإمام المقرئى الصغيرة ، وهى " شذور العقود فى ذكر النقود " فقد كتبها لتكون فصلاً من فصول كتاب " إغاثة الأمة بكشف الغمة " ثم جعلها بعد ذلك كتاباً مستقلاً بعنوان خاص .

كما يتضمن هذا الكتاب ما يذيد أهمية أيضاً وهو إشارات علمية معقولة ذات أهمية للمشتغلين بكتابة التاريخ المصرى فى العصور الوسطى ، منها إرجاع الفتح الفاطمى لمصر إلى عامل اقتصادي فوق العوامل الحربية المعروفة ، ومنها أيضاً أن الخليفة الفاطمى كان يلقب أحياناً بلقب " السلطان " .

فالكتاب يعطينا صورة واضحة ودقيقة وصادقة عن الأسباب والعوامل التى فجرتها ، وعن النكبات والمحن التى حلت بالشعب من جراء استهتار الحكام الغارقين فى الملذات وانصرافهم الكلى عن تدبير شؤون البلاد والاهتمام بمصالح العباد .

محتوى الكتاب وتنظيمه :

يتناول هذا الكتاب تاريخ المجاعات التى نزلت بمصر منذ أقدم العصور إلى سنة ٨٠٨ هـ وهى السنة التى أُلّف فيها ، وعلى حد علمى يعتبر الإمام المقرئى المؤرخ المصرى الوحيد الذى

تعرض بالبحث لتلك الناحية الاقتصادية الاجتماعية من تاريخ مصر ، فهو فى تدوينه لأخبار المجاعات يحاول أن يتقصى أسبابها ، ويقترح العلاج الاقتصادى الصحيح لدرئها ودوائها ، كما أنه يتناول طبقات المجتمع المصرى فى عهده بالتقسيم والتصنيف ، ويصف كل طبقة من طبقاته فى شئ من التفصيل ، مما يدل دلالة حقيقية على أن الإمام المقرئى قد اقتدى فى هذا الكتاب بأستاذه ابن خلدون فى مقدمته فكلاهما كتب فى صميم النواحي الاقتصادية الاجتماعية ، ما عدا أن كتاب " إغاثة الأمة بكشف الغمة " قاصر على مصر الإسلامية ، أما مقدمة أستاذه ابن خلدون شاملة للعالم الإسلامى بوجه عام .

وقد استطاع الإمام المقرئى ترتيب هذا الكتاب وتهذيبه فى ليلة ، هذا فيما يخص الترتيب والتهذيب ، أما ما يخص الكتابة فلعلها قد استغرقت منه فترة سابقة ، مما يدل على أن الإمام المقرئى كان موفور النشاط متحمساً لإنجاز ما فى يده ، حتى ينصرف لغيره من أنواع الإنتاج العلمى .

اشتملت مادة هذا الكتاب على نقول من المصادر والمراجع التى سبقت الإمام المقرئى ، كما اشتملت على عنصر الملاحظة التى شاهدها وعاشها المؤلف ويظهر ذلك فى كثير من عرض لمادته حيث عرض الكتاب على النحو التالى :

اشتمل على مقدمة ثم مقدمة حكيمية تشتمل على قاعدة كلية ، وفصل يتناول فيه إيراد ما حل بمصر من الغلوات وحكايات يسيرة من أبناء تلك السنوات ، وفصل فى بيان الأسباب التى نشأت عنها هذه المحن التى فيها الشعب المصرى حتى استمرت طول هذه الأزمان التى دُفع المصريين إليها ، وفصل يوضح فيه أن معاملة مصر مازالت بالذهب فقط ، وفصل فى ذكر أقسام الناس وأصنافهم ، وبيان جمل من أحوالهم وأوصافهم ، وفصل فى ذكر نبذ من أسعار هذا الزمن وإيراد طرف من أخبار هذه المحن ، وفصل فى ما يزيل عن العباد هذا الداء ويقوم لمرضى الزمان مقام الدواء ، وفصل فى بيان محاسن هذا التدبير العائد نفعه على الجمل الغفير ، ثم الحديث عن سب زوال النعم التى كانت بمصر وتلاشى الأحوال بها ، وذهاب الرفق ، وظهور الحاجة والمسكنة على الجمهور ، وختم كلامه بمثالين فيهما كفاية لمن أزال الله الطمع عن قلبه ، وهده إلى إغاثة العباد وعمارة البلاد .

فمادة هذا الكتاب محلية بمعنى أن المؤلف تناول فى حديثه مصر دون غيرها ، وتوع هذه المادة اقتصادية اجتماعية ، حيث غلب عليها الطابع الاقتصادى الاجتماعى تدويناً لأخبار ما نزل بالشعب المصرى من المجاعات ، متناولاً طبقات المجتمع المصرى بالتقسيم والتصنيف .

كما نلاحظ أن الإمام المقرئ يبدأ كل فصل من فصول كتابه بمخاطبة القارئ والدعاء له ، ثم يعرض لحقائق موضوع الفصل في أسلوب علمي موجز ، تغلب عليه الصيغة الفلسفية ، وتتخلله الاستشهادات التاريخية ، ثم يختم الفصل بآية أو آيتين من القرآن الكريم أو ببيت شعر يناسب المقام .

النسق التعبيري للكتاب :

قبل أن نتناول النسق التعبيري للكتاب يجدر بنا الإشارة إلى مدى براعة الإمام المقرئ في الأدب من نظم ونثر ، مما جعل له الأثر الواضح في أسلوبه التعبيري عند كتابة مؤلفاته العلمية خاصة كتابه " إغاثة الأمة بكشف الغمة " .

والملاحظ في الأسلوب الكتابي للمؤرخين في العصر المملوكي أنه يسير وفق منهجين في الكتابة : الأول ، استخدام السجع في الغالب وإظهار البراعة الكتابية ، والثاني ، استخدام النثر المرسل بأسلوب متصل مباشر مع إقضاء اللحن في بعض المؤلفات .

أما الإمام المقرئ فنظراً لما كان عليه من مكانة عظيمة في العلوم الدينية واللغة والأدب ، فقد كان النسق التعبيري في كتاباته يجري ضمن الأسلوب الأدبي الذي زينه بالسجع في كثير من الأحيان ، والأسلوب الأدبي المرسل في عرض الأخبار والروايات والتعليقات ، وتحليلاته للمواقف التي تحتاج إلى تدخل منه ، فقد اختار العبارة المناسبة للتعبير ، مع تميز أسلوبه بسهولة العرض ، فكانت عنايته بالصيغة اللفظية في أول الكتاب واضحة جلية ، حيث تظهر الموسيقى اللفظية في تعبيره من خلال اعتماده على السجع في التعبير ، بعيداً عن الألفاظ الصعبة ، مما يدل على أن أسلوبه فائق ، يدل على جوهر فكره ، وقدرته على استنباط المحاسن اللفظية من خدرها ، مع تميزه بأنه علمي موجز تغلب عليه الصيغة الفلسفية .

فإذا ما تصفحنا كتاب " إغاثة الأمة بكشف الغمة " لاحظنا الأسلوب الأدبي المستخدم فيه المحسن اللفظي الجميل - السجع - الذي يحسن العبارة ويجعلها تغطي نغماً موسيقياً تطرب له الآذان وتسعد به النفس ، فيقول : " أنعم على قوم فأوقفهم على ما خفى من بديع صنعتهم ، ووفقهم لاتباع ما درس من شريعته ، وآتاهم بياناً وحكماً ، وألهمهم معارف وعلماً ، وأيدهم في أقوالهم ، وسددهم في أفعالهم " (١) .

كما يظهر فى نسقه التعبيرى مدى تأثره بالقرآن الكريم ، واستخدام الاقتباس باللفظ فى أسلوبه وحديثه ليحسن من كلامه ، ويزين عباراته فيقول : " ثم قصر النيل ، فنزعت الأسعار نزوعاً بدد شملهم ، وفرق الفهم ، وشتت كلمتهم ، وأوقع الله العدواة والبغضاء بينهم ، فقتل بعضهم بعضاً حتى أباد خضراءهم وعفى آثارهم ، فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا " (١) اقتباس من سورة النمل من الآية الثانية والخمسين .

ويقول الإمام المقرئى : " فلما ارتفع السعر عما باع به ندم على بيعه الأول حيث لم ينفعه الندم ، فلما صار إليه ثمن الغلال أنفق معظمه فى عمارة دار ، وزخرفتها وبالع فى تحصينها وإجادتها حتى إذا فرغت وطن أنه قادر عليها أتاها أمر ربها فاحترقت بأجمعها ، وأصبحت لا ينتفع بها بشيء " (٢) . وهنا اقتباس من سورة يونس من الآية الرابعة والعشرين .

ويقول الإمام المقرئى : " وستتلوا عليكم من نبأ ذلك ما يوضح لك صحة ما أشرت إليه ، فأقول مستعيناً بالله ربى ، فإنه مولاي وحسبى : اعلم زادك الله علماً وآتاك بياناً وفهماً ... " (٣) ، فقد ظهر الاقتباس فى أول الفقرة من سورة الأنعام الآية الرابعة والثلاثون ، ومن سورة القصص الآية الثالثة .

كما يعتمد الإمام المقرئى على ذكر كثير من الآيات القرآنية الكريمة التى يزين بها أسلوبه الأدبى مستشهداً بها فى مواضع عدة يؤيد بها كلامه ، وكذلك اعتماده على قليل من الأحاديث النبوية الشريفة يستخدمها لمزيد من تحسين وتزيين النسق التعبيرى لكتابه .

كما ألزم الإمام المقرئى نفسه بتفسير بعض الألفاظ التى قد تخفى على كثير من القراء فى كثير من المواضع ، فعلى سبيل المثال يقول : " وكان أهل مكة يتعاملون بأوزان اصطلاحاً عليها فيما بينهم ، وهى الرطل الذى هو اثنتا عشرة أوقية ، والأوقية هى أربعون درهماً ، فيكون الرطل ثمانين وأربعمئة درهم ، والرطل الآن بمصر اثنتا عشرة أوقية ، والأوقية اثنتا عشر درهماً ، فيكون الرطل مائة وأربعة وأربعين درهماً ، أما رطل دمشق فهو اثنتا عشرة

١ - انظر المخطوطة ، ص ١٤ .

٢ - انظر المخطوطة ، ص ٢٣ .

٣ - انظر المخطوطة ، ص ٣٠ .

أوقية ، والأوقية خمسون درهماً ، فيكون الرطل ستمائة درهم ، والنش وهو نصف الأوقية وهو عشرون درهماً ، والنواة وهى خمسة دراهم ^(١).

إن النسق التعبيري الذى عرض به الإمام المقرئى كتابه ، جاء سهلاً ميسوراً مريحاً للقارئ ، لأنه ركز على الموضوع الذى يهدف إليه بعيداً عن الاستطراد والحشو والتكرار ، وبعيداً عن التفرعات والخلافات ، مما يحقق الغاية والمقصد ، ويصل بالقارئ إلى معرفة ما حدث فى مصر من مجاعات قبل عصر الإمام المقرئى ، وخلال عصره أيضاً ، ثم معرفة أسباب تلك المجاعات .

المبحث الخامس

مصادر الكتاب وطرق الإسناد إليها

أولاً : أنواع المصادر :

اعتمد الإمام المقرئى فى بناء مادة كتابه على نوعين من المصادر ، وهما : مصدر المشاركة ، ومصدر النقل من الكتب السابقة .

أ - المشاركة :

وقد اعتمد عليها الإمام المقرئى كثيراً فى كتابه حيث أدرك تلك الأحداث التى تناولها ، فكان الاطلاع عليها اطلاقاً شخصياً مباشراً ، والشهادة المعينة ، وقد استند إليها جميع المؤرخين فى كل ما سجلوا من أمور عصورهم ينصرون على ذلك كلما أوردوا خبراً مما شاهدوا وعرفوا ، وينصون أحياناً عليه فى مقدمة كتبهم .

يقول الإمام المقرئى : وسأذكر إن شاء الله تعالى ، من الغلوات الماضية ما يتضح به أنها كانت أشد وأصعب من هذه المحن التى نزلت بالناس فى هذا الزمان بأضعاف مضاعفة ، وإن كانت هذه المحنة مشاهدة وتلك خبراً " (١) . فنلاحظ ما ذكره المقرئى فى عبارته السابقة من تصريح واضح بأنه شاهد الأحداث التى كتب عنها التى كانت بالنسبة له محنته عظيمة شاهدها وعاشها .

ويقول الإمام المقرئى : " تفاقم الأمر وجل الخطب وعظم الرزء ، وعمت البلية وطمت ، حتى مات من أهل الإقليم بالجوع والبرد ما يثيف عن نصف الناس ، وعم الموتان حتى نفقت الدواب فى سنة ست وسنة سبع ، وعز وجودها ، وبلغت أثمانها إلى حد نستحي من ذكره ، ونحن الآن فى أوائل سنة ثمان وثمانائة " (٢) .

لقد ورد فى العبارة السابقة على لسان المقرئى كلمة " الآن " مما يعنى أن الإمام المقرئى شاهد الأحداث وعاشها وشارك فيها وعانها وهذه دلالة واضحة أن المشاركة والمشاهدة والمعاناة مصدر من مصادر هذا الكتاب .

١ - انظر المخطوطة ، ص ٤ .

٢ - انظر المخطوطة ، ص ٢٦ .

يقول الإمام المقرئى : " الأسعار إذا نسبت إلى الدرهم أو الدينار لا يكاد يوجد فيها تفاوت عما كنا نعهد قبل هذه المحن البتة ، إلا أشياء معدودة سبب غلاتها أحد أمرين : الأول فساد نظر مَنْ أَسَدَ إليه النظر فى ذلك ، وجهله بسياسة الأمور ، وهو الأكثر فى الغالب ، والثانى الحاجة التى أصابت ذلك الشئ حتى قلَّ ، كما حصل فى حوم الأبقار بالموت الذريع الذى نزل بها فى سنة ثمان وثمانمائة " (١) .

من خلال ما ورد ذكره على سبيل المثال لا الحصر دليل واضح على المصدر الأول الذى اعتمد عليه الإمام المقرئى فى بناء مادة كتابه " إغاثة الأمة بكشف الغمة " .

ب - المؤلفات السابقة :

تعتمد المؤلفات السابقة لأى مؤلف تعرض لذكر أمور سابقة عليه البنية الأساسية ، لذلك فالمؤلفات السابقة للإمام المقرئى تعد البنية الأساسية لكتاب " إغاثة الأمة بكشف الغمة " ، والمورد الرئيسى لمادته ، فمن خلال معرفة ثقافة الإمام المقرئى نستشعر مدى سعة اطلاعه وكثرة علومه على الكتب السابقة التى تتصل بموضوع كتابه وغير كتابه أى تشتمل على موضوعات أخرى شتى ، وكان اطلاعه واسعاً وأثره فى كتابه لا يقل عن أثر تحصيله الشخصى من خلال مصدر المشاهدة المعاينة ، وقد اعتمد على العديد من الكتب السابقة منها على سبيل المثال : كتاب أخبار مصر لإبراهيم بن وصيف شاه (٢) ، قال عنه المقرئى : وهو كتاب جليل الفائدة رفيع القدر (٣) ، نقل منه الإمام المقرئى العديد من المواقع والمحن التى نزلت بالمصريين قبل عصره .

كما استخدم الإمام المقرئى القرآن الكريم والتوراة دون تصريح واضح ولكن عن طريق التلميح وهذا واضح فى كلامه إذ يقول : وهذا الغلاء دبر أمر البلاد فيه يوسف عليه السلام ، وقد ذكره الله سبحانه وتعالى فى القرآن العظيم ، وتضمنته التوراة ، واشتهر ذكره فى كتب الأمم الماضية والحالية (٤) .

١ - انظر المخطوطة ، ص ٥١ .

٢ - انظر معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة ٨١/١ ، قال عنه : هو إبراهيم بن وصيف شاه مؤرخ له جواهر البحور ووقائع الدهور ، وأخبار الديار المصرية ، وأخبار مدينة السوس .

٣ - انظر المخطوطة ، ص ٥ .

٤ - انظر المخطوطة ، ص ٦ .

فعلى سبيل المثال يقول : " ثم وقع غلاء وجذب هلكت فيه الزروع والأشجار ، وفقدت فيه الحبوب والثمار ، وعمّ الموت الحيوانات كلها ، وذلك عند ميعث موسى عليه الصلاة والسلام إلى فرعون ، وخبر هذا الغلاء مشهور فى كتب الإسرائيليين وغيرهم ، وكفى إشارة إليه ودلالة عليه قوله سبحانه وتعالى : { وَدَمَرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرُشُونَ } ^(١) ، وقوله تعالى : { وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذْكُرُونَ } ^(٢) ، تلك إشارة واضحة إلى استفادة الإمام المقرئى من القرآن الكريم وما ورد فيه من أخبار عن الغلاء الذى وقع زمن سيدنا يوسف عليه السلام .

كما اعتمد الإمام المقرئى على كتاب تاريخ دمشق للمحافظ ابن عساكر الدمشقى حيث ذكر هذا المصدر فى نهاية نقله منه حيث قال : " ... حتى قيل أن أول من ضرب الدينار والدرهم آدم عليه الصلاة والسلام ، وقيل لا تصلح المعيشة إلا بهما ، رواه الحافظ ابن عساكر فى تاريخ دمشق ^(٣) .

واعتمد الإمام المقرئى أيضاً على كتاب التاريخ الكبير للمسبحى حيث قال : " قال الأمير المختار عز الملك محمد بن عبيد الله بن أحمد المسبحى عفا الله عنه فى تاريخه الكبير : " وفى شهر ربيع الأول من سنة سبع وتسعين وثلاثمائة ، تزايد أمر الدراهم القطع أو المزايدة ، فبيعت أربعة وثلاثون درهماً بدينار ، وتزع الشعر ، اضطربت أمور الناس .. " ^(٤) .

واعتمد الإمام المقرئى على كتاب " جنة النحل وحيا المحل " لحافظ المغرب محمد بن سعيد المغربى حيث قال : " وكتبتُ من خط حافظ المغرب محمد بن سعيد ما نصه : " فأخرج لى أحد هؤلاء التجار - يعنى تجاراً رأهم ببغداد لما رحل إليها - ورقة فيها خطوط بقلم الخطا ، وذكر أنها من ورق التوت فيها لين ونعمة ، وأن هذه الورقة إذا احتاج إنسان فى " خان بالقي " من بلاد الصين لخمسة دراهم دفعها فيها ، وأن ملكها يختم لهم هذه الأوراق ، ويتنفع بما يأخذ بدلاً عنها ^(٥) .

١ - سورة الأعراف الآية (١٣٧) .

٢ - سورة الأعراف الآية (١٣٠) . وانظر المخطوطة ص ٦ ، ٧ .

٣ - انظر المخطوطة ، ص ٣٠ .

٤ - انظر المخطوطة ، ص ٣٧ .

٥ - انظر المخطوطة ، ص ٤٢ .

لقد اتحفتنا الإمام المقرئى بذكر مصادره الغنية التى استوعب منها ما كتبه السابقون له فى مواضيعه ، لكن قضية النقل عن الكتب المؤلفة فى التاريخ شكلت نوعاً من الخلاف بين العاملين فى هذا الميدان ، فأتباع مدرسة الحديث وذوو التكوين الثقافى الدينى من أمثال ابن حجر العسقلانى والسخاوى على سبيل المثال لا الحصر ، لم يكتفوا يستسيغون النقل عن أى مصدر دون سماعه سماعاً مباشراً أو التوثيق منه ، على الأقل حسب طرائق أهل الجرح والتعديل من صحة روايته وصدق حديثه ، فرجال هذه المدرسة يفهمون التاريخ على وجه مخصوص ، هو الذى يفهمه المحدثون والحفاظ وعلماء الرجال ، وعلى أساس من هذا الفهم للتاريخ ندرك السبب الذى من أجله غمز السخاوى من قناة المقرئى ، وعلى الطرف المقابل نجد المقرئى ومؤرخين آخرين يمثل وجهة نظر مدرسة أخرى لم ير أتباعها ضيقاً فى التفتل من قيود رجال الحديث على النقل من المصادر ، وقد دافع المقرئى عن هذه الطريقة فى النقل المباشر عن الكتب دافعاً حاجة إلى سماع ، وقد غدت هذه الطريقة التى كانت قد فشلت بين المؤرخين منذ مطلع العصر المملوكى هى القاعدة المتبعة فى عهده ومن بعده بحجة أن التاريخ قد انفصل عن الشريعة .

ثانياً : طرق الإسناد إلى المصادر :

لم تكن طريقة الإمام المقرئى فى الإسناد إلى المصادر واحدة فى مادة كتابه " إغاثة الأمة بكشف الغمة " ، وإنما كانت متنوعة ، كأن يصرح باسم المؤلف واسم كتابه الذى نقل عنه ، أو يهمل الإسناد إلى المصدر وينقل متتابعاً دون أن يصرح ، أو عن طريق المشافهة على النحو التالى :

أ - الإسناد إلى المصدر مصرحاً باسم المؤلف واسم كتابه كأن يقول : " قد ذكر الأستاذ إبراهيم بن وصيف شاه فى كتاب أخبار مصر لما قيل الإسلام أن أول غلاء وقع بمصر كان فى زمن الملك السابع عشر من ملوك مصر قبل الطوفان ، واسمه أفروس بن مناوش " (١) .
وقوله أيضاً عن مصدر آخر حيث يقول : وكتبتُ من خط حافظ المغرب محمد بن سعيد فى كتابه الذى سماه " جنا النحل وحيا المحل " .. " (٢) .

١ - انظر المخطوطة ، ص ٥ .

٢ - انظر المخطوطة ، ص ٤٢ .

وقوله فى نهاية الخبر الذى نقله من تاريخ دمشق لابن عساكر بعد أن انتهى من ذكر ما نقل قال : ... رواه الحافظ ابن عساكر فى تاريخ دمشق (١).

وقوله : " فقال الأمير المختار عز الملك محمد بن عبيد الله بن أحمد المسبحى ، فى تاريخه الكبير ... " (٢).

من خلال هذا العرض لطريقة نقل الإمام المقرئى من مصادره ذاكراً اسم المؤلف واسم الكتاب يتضح لنا مدى اعتماده على المصادر السابقة فى تكوين المادة العلمية لهذا الكتاب .

ب - إهمال الإسناد إلى المصدر دون ذكر اسم المؤلف أو اسم الكتاب الذى نقل منه كأن يقول على سبيل المثال : " وفى أول شهر رجب سنة ٧٣٦ هـ وقع الغلاء بالديار المصرية فى أيام الملك الناصر محمد بن قلاوون ، وعز القمح ، ووصل كل أردب إلى سبعين درهماً ، والقول إلى خمسين ، والخبز كل خمسة أرتال بدرهم .. " (٣).

ج - طريقة المشاهدة يقول : " وأخبرنى من لا أتهم أنه شاهد فى بعض مدن إقليم الصعيد أهلها يتعاملون فى محقرات المبيعات بالكودة ، وتسمى بمصر الودع ، كما يتعامل أهل مصر الآن بالفلس " .

ويقول أيضاً : " وأخبرنى ثقة أن ببعض بلاد الهند يُشتري الكثير من المأكّل بالعفص والبلح " (٤).

١ - انظر المخطوطة ، ص ٣٠ .

٢ - انظر المخطوطة ، ص ٣٧ .

٣ - انظر المخطوطة ، ص ٢٤ .

٤ - انظر المخطوطة ، ص ٤٢ .

المبحث السادس

المنهج التاريخي عند المقرئى

التأليف التاريخي فى عصر المقرئى :

من المعروف أن بغداد ظلت طيلة خمسة قرون عاصمة تربط عن طريق الخلافة الاسمية الشرق الإسلامى بالحوض الشرقى للبحر المتوسط والبحر الأحمر ، ثقافة وسياسة ومجتمعاً ، واقتصاداً انتهت مهمتها تلك بسقوطها بيد المغول ، فانتهدت كقطب ارتباط سياسى وكمركز لقاء للثقافة الإسلامية ، ولكن هذا المركز غير اتجاهاه من بغداد إلى دمشق والقاهرة فكلاهما ارتبط بنظام سياسى واحد استمر هذا الارتباط قرابة ثلاثة قرون ، فقد تسلم المسالك حكم مصر منذ سنة ٦٥٠هـ / ١٢٥٨م ، ثم أتموا وراثته السلطنة الأيوبية مع إماراتها المتفرقة جميعاً بعد انتصارهم على المغول فى معركة عين جالوت سنة ٦٥٨هـ / ١٢٦٠م فجمعوا بين حلب والجزيرة ، إلى القاهرة ثم إلى الحجاز ، وتقاسمت دمشق والقاهرة مركز بغداد السابق ، كما توزعت هجرة العلماء المسلمين إليهما وتبادلتهما بينهما بشكل مستمر ، وهكذا عرفت دمشق والقاهرة خلال القرنين الثامن والتاسع الهجريين عصرهما من النهضة يمكن أن يعتبر بحق عصر النهضة الإسلامية الثانية، حيث وصلت إلى قمته الثانية بعد القمة الأولى التى حققتها فى القرنين الثالث والرابع ، وإن تكن الثانية على المحافظة والاتباع بعد أن كانت الأولى على الإبداع .

لقد تجمع الفكر الإسلامى مرة أخرى فى مركز حيوى جديد مع وصول الحضارة العربية الإسلامية مرحلة نضجها الأخير ، ومع نكبة بغداد وجد لدى حملة الثقافة العربية الإسلامية نوع من الخوف على الإسلام وثقافته وتراثه ، دفعهم ذلك إلى تناول التراث بالتكرار والتلخيص وجمعه فى مجموعات شاملة واحدة بهدف انقاذه ، ومن هنا حفل هذا العصر بالموسوعات الأدبية ، والموسوعات الجغرافية البشرية والديوانية والتاريخية وموسوعات الرجال، ومن بينها فاز التاريخ بالنصيب الأوفى مما يدل على أن مصر غدت فى عصر علمى واسع، يدل عليه ذلك التراث الضخم سواء الأدىبى أو العلمى أو الدينى، وليس ذلك فحسب بل امتد هذا النشاط العلمى إلى الفنون والصناعات اليدوية التى إن دلت فإنما تدل على الدقة

الفائقة والعبقرية الراقية ، وكذلك تشييد العماائر من مساجد ومدارس وأضرحة وحمامات ووكالات وغير ذلك ^(١)، وفى مجال الرسم والزخرفة على الخزف والمنسوجات والزجاج والبلور فضلاً عن الرسوم النباتية والأشكال الهندسية ^(٢). وكذلك زخرفة المعادن والكتابة الزخرفية عليها مع الرسوم الهندسية وأوراق نباتية للحيوانات والطيور ^(٣). لقد عبر فن الرسم والتصوير عن رقيه أيضاً فى عصر المماليك سواء على الزجاج والبلور أو أغلفة الكتب ^(٤).

وقد ساعد على هذا النشاط الحضارى والعلمى فى عصر سلاطين المماليك توافر المال الذى يعد الدعامة الأساسية لازدهار أى نشاط حضارى، وبجانب هذا المال الذى لا يعتبر الدعامة الوحيدة فى بناء الحضارات بل يوجد مع المال توافر البيئة الحضارية أى الأرض الطيبة ذات الإمكانيات الحضارية الراسخة، ويوجد أيضاً الإنسان المنتج الإنسان الذى لديه الاستعداد ولديه القدرة على الإنتاج والإبداع . ، هذا التوافر المالى حمل عدداً من علماء المسلمين من كل مكان إلى التزوح إلى القاهرة حيث الثروة والحياة الطيبة ، وحيث فرص التدريس فى مدارسها خاصة أن سلاطين المماليك أكثروا من إنشاء المدارس لكى يظهروا شعورهم بالتقوى وتقربهم من العلماء والشعب ، ولكى يتخذوا من المدرسة أداة تضمن بقاء الحكم فى أيديهم وتساعدهم على دعم مركزهم فى أعين الشعب من ناحية أخرى ^(٥) ، وحيث المكتبات الزاخرة بالآلاف الكتب والمخطوطات ، مع تحقيق عامل الأمن وتوافر الأمان فى ظل قوة المماليك ^(٦) .

فى هذا الجو العظيم الطيب حظى علم التاريخ بمكانة مرموقة خاصة أن عصر المماليك كان حافلاً بالحوادث الداخلية والخارجية ، غنياً برجاله وأبطاله ، وهذا وذاك من الحوادث وسير الأبطال كان بحاجة إلى تسجيل وليس هناك أجدر من التاريخ لتسجيل عظيم هذه الأعمال من

- فنون الإسلام ، زكى محمد حسن ، ص ٧١ .

2 - Hobson : A guide to the Islamic Pottery of the Near East, p. 65 .

3 - Wiet : Objets en Cuivres, p. 272 .

4 - Wiet : Lampes en Verre Emaill, pp. 67 - 100 .

5 - Ibrahim Salama : L'Enseignement Islamique en Egypte, p. 60 - 64 .

- انظر الحديث باستفاضة عن المدارس والمكتبات عند المقرئى فى كتاب المواعظ والاعتبار ٢ / ٣٩٥ -

انتصارات على الأعداء ورد هجماتهم وتسجيل الاصلاحات والأعمال والمنشآت ، مما أدى إلى تنشيط كتابة التاريخ وظهور مجموعة كبيرة من المؤرخين ، ولم يكن المماليك أنفسهم بعيدين عن هذا النشاط الحضارى والعلمى ، فكان من بينهم من يميل إلى التاريخ وأهله مثل الظاهر بيبرس^(١) ، وكذلك السلطان الغورى (ت : ٩٢٢ هـ) صاحب المجالس العلمية والدينية التى كان يعقدها بقلعة الجبل ، وكان لعلم التاريخ فيها نصيب وافر^(٢) . بل نستطيع أن نقول : إن دراسة التاريخ كوّنت جزءاً أساسياً من ثقافة المماليك المصريين وتغلغلت فى كياناتهم وحاولوا التأليف فيه حتى نبغوا فى مجال التاريخ ودفعوا بلواء الكتابة التاريخية إلى مجالات التقدم والازدهار مثل : سيف الدين أبو بكر الدوادارى (ت ما بعد ٧٣٦ هـ) ، وابن دقماق (٨٠٩ هـ) ، وابن تغرى بردى (ت ٨٧٤ هـ)^(٣) . ويمثل القرن التاسع الهجرى ذروة الازدهار بالنسبة للكتابة التاريخية فى عصر سلاطين المماليك ، ففيه نضجت الحاسة التاريخية عند مؤرخى ذلك العصر ، واتضحت رؤيتهم للأحداث ، واتسعت آفاق الدراسة والبحث والمقارنة أمامهم ، واكتملت الصورة لأقصى ما بلغه مجتمعهم من تطور سياسى وحضارى ، وقد بلغت فلسفة التاريخ ، فى هذا القرن قمته على يد العالم الجليل ابن خلدون ، معاصر المقرئى وأستاذه ، وقد صلب فلسفة التاريخ تيار النقد التاريخى فى صورة جديدة مقاييرة للصورة المألوفة ، كما شهد هذا العصر عصر المقرئى هذا تتابع سلسلة من أبرز المؤرخين الذين يعتز بهم علم التاريخ على المستوى العالمى أمثال ابن حجر العسقلانى (٧٧٣ - ٨٥٢ هـ) ، ويدر الدين العينى (ت ٨٥٥ هـ) ، وأبو المحاسن بن تغرى بردى (٨١٢ - ٨٧٤ هـ) ، وأبو الخير محمد السخاوى (٨٣١ - ٩٠٢ هـ) ، ومحمد بن إياس (٨٥٢ - ٩٣٠ هـ) ، وجلال الدين السيوطى (٨١٢ - ٨٧٤ هـ) ، وشيخ المؤرخين الإمام المقرئى (٧٦٦ - ٨٤٥ هـ) الذى لا يدانيه مؤرخ معاصر آخر .

١ - النجوم الزاهرة ، لابن تغرى بردى ١٨٢/٧ .

٢ - مجالس الغورى ، لعبد الوهاب عزام ، ص ٤٩ .

٣ - انظر المماليك المصريين الذين لمعوا فى ميدان الفكر ، رسالة دكتوراه ، محمد محمد محمود ، بقسم التاريخ ، كلية دار العلم جامعة القاهرة لعام ١٩٧٩ م ، ص ٢٥٥ ، ٢٦٣ ، ٢٨٠ ، ٢٨٩ .

لكل هذه الأسباب السابقة ورثت القاهرة بغداد زعامتها للمدارس التاريخية الإسلامية فى العصر المملوكى وكان لها تميزها الإقليمى بالإضافة إلى مشاركتها المدارس الإقليمية الأخرى لهذا العصر فى الملامح العامة ، وقد عمل فى التأريخ فى العهد المملوكى موظفو الدواوين الذين اهتموا بسير الحكام والسلاطين وتعليم ناشئة الديوان صناعة الكتابة وأدواتها الثقافية ، والتي يشكل التاريخ جانباً منها ، فى حين اتجه علماء الدين إلى التراجم وعلم الرجال . وقد عنى المؤرخون المصريون عناية واضحة بتاريخ مصر حتى أولئك الذين كان محتوى كتبهم التاريخية إسلامياً عاماً ، فقد انطلقوا إلى البلاد الإسلامية من خلال مصر ومن زوايتها الإقليمية ، وبجانب تاريخ مصر ومن خلاله ومعنى المؤرخون المصريون فى هذا العصر بكتابة التاريخ الإسلامى والعالمى على السواء ، كما برزت بوضوح عناية المؤرخين فى مصر بالتراجم أكثر بكثير من ذى قبل ، وأصبح علم الرجال الأكثر شأناً فى التاريخ .

وإذا كانت كثرة التفاصيل التى يتناولها المؤرخون ويوردونها فى تواريخ الأحداث السياسية ، وفى كتب التراجم والرجال قد أدخلت فى التاريخ بصورة غير مباشرة العديد من ملامح التاريخ الحضارى ، فإن ذلك لم يكن المجال الوحيد الذى سجل المؤرخون من خلاله جوانب الحضارة فى عصورهم ، فإنهم قد طرقت مواضع مختلفة وجوانب شتى من القطاعات الاجتماعية ، كانت تصب كلها بصورة مباشرة أو غير مباشرة فى الإطار الحضارى .

فهناك عدد من المواضيع المطروقة المتنوعة تتعلق بالتعليم السياسى التى تقدم النماذج المثلى لسياسة الرعية ضمن إطار الشرع الإسلامى ، ومنها ما يتعلق بالتعليم الديوانى كمؤلفات التويرى (ت ٧٣٢ هـ) ، وابن فضل الله العمرى (ت ٧٤٩ هـ) ، والقلقشندي (ت ٨٢١ هـ) ، ومنها ما يتعلق بالأقاليم والممالك ، وطرق البريد ووسائله ومراكزه مثل زبدة كشف الممالك لابن شاهين الظاهرى^(١) ، ومنها ما يتعلق بالتعليم العسكرى حيث ظهرت كتب عديدة فى الخيل وعدة السلاح ومعرفة الحروب وتدبرها ، كما تألفت كتب تتناول الطبقات الاجتماعية ، وأخرى حول أهل الذمة ، وحول الجوارى ، والحمقى ، والفلمان والمتصرفة والزهاد^(٢) .

- هو خليل بن شاهين السيخى الصفوى الظاهرى ت ٨٧٣ هـ ، فقيه ومفسر ومؤرخ وأديب وشاعر . انظر

معجم المؤلفين لكحالة ٦٨٤/١ .

- انظر العصر الماليكى فى مصر والشام ، سعيد عبد الفتاح عاشور ، ص ٣٤٢ .

كما توجد مواضيع تتعلق بالمواقع وخططها وفضلها ككتاب الإمام المقرئى " المواظ والاعتبار فى ذكر الخطط والآثار " حول خطط القاهرة ، وهناك مواضيع تتصل بالحياة العامة للناس ، ويتبين من ذلك أن الإمام المقرئى قد طرق فى مؤلفاته معظم هذه النواحي ، مما جعله يتبوأ مرتبة الصدارة فى العصر المملوكى .

المقرئى وكتابة التاريخ :

من المعروف أن عظمة الإمام المقرئى وشهرته وزعامته لمؤرخى العصر المملوكى لا تنبع من كثرة مؤلفاته العلمية فى التاريخ وتنوع مواضيعها ، بقدر ما تنبع من منهجه فى كتابة التاريخ . خاصة وقد بلغت معه المدرسة التاريخية المصرية فى العصر المملوكى أوج عطائها فى القرن التاسع الهجرى ، حيث أقام منهجه على مجموعة من الأسس جاءت على النحو التالى :

أولاً : الأمانة العلمية فى عرض المادة العلمية : فالأمانة صفة لازمة للمؤرخ وهى ألزم له دون غيره من العلماء ، تتمثل هذه الأمانة فى المحافظة على الرواية التى يروىها عن الغير فيروىها كما هى ، وأن يكون دقيقاً فيما يسجله عندما يروى بعض مشاهداته ، لأن هذه الرواية أو تلك ستكون مع الأيام سجلاً ومرجعاً يعتمد عليه اللاحقون ، وربما ضاع الأصل الذى استقى منه المؤرخ روايته ، وعندئذ تبقى العبارات التى سجلها المؤرخ مصدراً وشاهداً على التاريخ ، فالمؤرخ شاهد على الناس - الموتى والأحياء ، شاهد على الماضى والحاضر ، والشهادة فى الإسلام لها أصولها وآدابها ، كما أثبت ذلك القرآن الكريم ، يقول الله تعالى : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدِينٍ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُب بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا بَيِّنْ مِنْهُ شَيْئاً فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهاً أَوْ ضَعِيفاً أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى وَلَا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا وَلَا تَسْأَلُوا أَنْ تَكْتُبَهُ صَغِيراً أَوْ كَبِيراً إِلَى أَجَلِهِ ذَلِكَمْ أَفْسَطَ عِنْدَ اللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشُّهَادَةِ وَأَدْنَى أَلَّا تَرْتَابُوا إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا وَأَشْهِدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ وَإِنْ تَفَلَّلُوا فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ } سورة البقرة الآية (٢٨٢) ، ويقول الله تعالى : { ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يَأْتُوا بِالشُّهَادَةِ عَلَى وَجْهِهَا أَوْ يَخَافُوا أَنْ تُرَدَّ أَيْمَانٌ بَعْدَ أَيْمَانِهِمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاسْمَعُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ } سورة المائدة الآية (٨ - ١) .

ثانيًا : التجرد من الأهواء : فبمقارنة كتابات الإمام المقرئى بكتابات غيره من المؤرخين المعاصرين له ، نجد أنه أكثر اعتدالاً ، وأوفرهم دقة ، وأبعدهم عن الاستجابة للأهواء والميول والنزوات ، هذا بالإضافة إلى أنه فى كتابته للتراجم والسير نراه دائماً متحكماً فى قلمه ، محترماً للصغير والكبير ، عفيفاً فى اللفظ والكلمة ، حتى فى نقده منضبطاً يخشى الله فيما يقول ، ولا يتخذ من التاريخ أداة لتجريح الناس .

ثالثاً : عدم التمسك لرأى أو التحيز لفكر : من المعروف أن العصر الذى عاش فيه المقرئى كثر فيه التحاسد بين العلماء وتعرض بعضهم لبعض الذم والإساءة ، ولكن المقرئى ظل بعيداً عن الخوض فى أعراض الناس مكتفياً عند شروعه فى تأليف كتاب بأن يدعو الله " أن يحلى هذا الكتاب بالقبول عند المجلة والعلماء ، كما أعوذ من تطرق أيدي الحساد إليه والجهلاء ، وأن يهدبنى فيه - وفيما سواه من الأقوال والأفعال - إلى سواء السبيل " (١) وأحياناً يدعو بالتوفيق والصلاح لكل من تحمل المسؤولية وتولى قيادة الأمور فى البلاد فيقول : " راجباً من الله سبحانه أن يوفق من أسند إليه أمور عبادته ، وملكه مقاليد أرضه وبلاده إلى ما فيه سداد الأمور ، وصلاح الجمهور ... وبالله المستعان على كل ما عز وهان وهو يقول الحق ويهدى إلى سواء السبيل " (٢).

رابعاً : التدقيق وحب الاستقصاء والرغبة فى معرفة أسباب الظواهر وعلل الأحداث : فيقول المقرئى عن نفسه بخصوص هذا الأساس الرابع من أسس منهجه فى كتابة التاريخ عند ذكره بعض الأحداث : " فكثرت تعجيبى من ذلك ، ومازلت أفحص عنه على عادتى فى الفحص عن أحوال العالم ، حتى وقفت على ... " (٣) ، إنها صفة متصلة فى الإمام المقرئى ندر وجودها عند غيره من المؤرخين ، فغيره من المؤرخين يسرد أحداث التاريخ مكتفياً بما يصل إلى علمه عن طريق النقل والسماع ، وإذا كان المؤرخ أميناً أسند الرواية إلى مَنْ نقلها عنه ، أما المقرئى فزيادة على ذلك يحرص على أن يقف أمام الرواية التاريخية ليناقشها ويفندها ،

١- المواظ والاعتبار ، للمقرئى ٣/١ طبعة بولاق .

٢ - إغاثة الأئمة بكشف الغمة ، للمقرئى الصفحة (٣) المخطوط .

٣- كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك للمقرئى الجزء الرابع حوادث سنة ٨٢٦هـ .

مقارنًا إياها بغيرها ، مستقصيًا أسبابها ، محاولاً تعليلها ، وفي هذا كله تظهر الحاسة التاريخية الموهبة لدى المقرئ ، وقدرته على الاستيعاب وحسن العرض والتحليل والتفنيد والتعليل ، ويتضح هذا المنهج في كافة مؤلفات المقرئ كبريها وصغيرها ، خاصة كتاب «إغاثة الأمة بكشف الغمة»^(١) .

خامساً : عدم الإسراف في الاستطراد : أى الانتقال من موضوع إلى موضوع ثان ثم إلى ثالث لأتفه الأسباب وأوهى المناسبات ، في حين أن منهج البحث العلمى السليم يتطلب من الباحث تركيز الفكر فى موضوع معين ، والوصول إلى الحقائق والنتائج عن أقصر الطرق ، وعدم تشتيت الذهن بمسائل أخرى بعيدة عن موضوع البحث الأساسى ، مهما تكن هذه المسائل على درجة من الأهمية والخطورة . إننا نلمس استقامة منهج الإمام المقرئ وعزوفه عن الاستطراد فى جميع مؤلفاته الكبيرة والصغيرة ، ويبدو أنه أدرك ما تعاني منه الكتابة التاريخية من تطويل يفسد صورة التاريخ ، لذلك فالتزم الاعتدال والتمسك بالطريق الوسط ، فلا إطالة واستطراد ولا إيجاز ولا اختصار ، وهذا ما التزم به المقرئ فى كتابه « إغاثة الأمة بكشف الغمة » والكتب الأخرى .

سادساً : العناية بمختلف طبقات الشعب وفتاته : من حيث أخبارهم فى الرقت الذى يؤخذ على المؤرخين أنهم يتمشون مع الأوضاع التى تعتبر التاريخ ربيب الحكام والخلفاء والسلطين والملوك والأمراء والأعيان والمروقيين ، أما المقرئ فلم يكن باستطاعته أن ينزع نفسه عن عصر نشأ وعاش فيه حيث يذكر فى كتابته للتاريخ الحكام والسلطين والأمراء ولا يهمل الإشارة إلى عامة الناس والشعب ، فلم يكن يكتب للخاصة وحدهم ، وإنما كان يكتب للعامة أيضاً ، خاصة أنه قد قسم المجتمع المصرى فى العصر المملوكى إلى عدة أقسام ولم يهمل فيها العامة^(٢) .

سابعاً : الابتعاد عن مهادنة الحكام : لقد ابتلى كثير من الكُتَّاب بمهادنة الحكام والسلطين والملوك حتى أصبحت هذه المهادنة آفة خطيرة ابتلى بها التاريخ على مرِّ العصور ،

١- انظر المخطوطة ص ٩ ، ٢٥ ، حيث يعمل فيها المعن التى نزلت بالناس ، وانتقاده لسوء الأوضاع الاجتماعية .

٢ - انظر المخطوطة ، ص ٤٤ .

ما يجعل بعضهم يقلب الحق باطلاً والباطل حقاً ، وقد عاش المقرئى فى عصر اختلت فيه أمور طبقة الماليك الحاكمة ، واهتز نظامهم ، وقسدت أحوالهم ، وبدت صورتهم غير ما كانت عليه فى القرنين السابقين ، ولكنه لم يضعف أمام بريق الجاه ، ولم يصغر أمام السلاطين الذين عاصروهم والذين عرضوا عليه الوظائف والمناصب ، وقد أثر فى مرحلة معينة أن يعتزل وابتعد عن الخدمة الحكومية ويترك المناصب للراغبين فيها ، واختار المقرئى أن يقضى المرحلة الأخيرة فى حياته عاكفاً فى بيته بالقاهرة على الاشتغال بالعلم والتأليف ^(١) فلم يترك داره إلا ليتجه إلى مكة حيث أقام مجاوراً بضع سنوات قليلة ، واصل خلالها الكتابة والتأليف ، وعاد بعدها إلى القاهرة مكباً على حياته العلمية .

وبذلك لم يسمح المقرئى لنفسه أن يكون عبداً للسلطان أو أسيراً للوظيفة ، الأمر الذى جعله حراً فيما يكتبه ، وبالتالي فإنه لم يكن يتحرج من نقد الأوضاع القائمة ، وكشف النقاب عن أوجه الفساد فى جهاز الدولة ، وإلقاء المسئولية على عاتق السلاطين والحكام ، من ذلك إنه فى حوادث سنة ٨٣٢ هـ يتحدث عن جشع السلطان برسباى وتطرفه فى سياسة الاحتكار وإنزال المظالم بالتجار حتى حل بالناس بلاء لا يمكن حكايته ^(٢) .

وفى حوادث سنة ٨٣٤ هـ ينتقد بشدة الخلل الذى أصاب نظام الحكم وجهاز الحكومة فتزايدت المضرة لكثرة التناقض وعدم الثبات على الأمر واستخفاف العامة براعيها ^(٣) ، وهكذا نلمس فى الإمام المقرئى قلماً منطلقاً وفكراً حراً .

إن أهم ما امتاز به منهج المقرئى فى كتابة التاريخ هو عنايته بالظواهر الاجتماعية والاقتصادية ، بحيث يستطيع أن يتذوق القارئ اللامح فى كتاباته طعماً جديداً ليس له نظير فى كتابات كثيرين من مؤرخى العصور الوسطى بوجه عام . ومع ذلك فالإمام المقرئى لديه نفسه الاستعداد والحاسة التى جعلته يطور تلك الجوانب ويجيد تطبيقها فى تسجيل الأحداث التاريخية ، كما نلمس عنده حاسة تاريخية مرهفة نابعة من داخله مكتنه من ربط الأسباب بالنتائج ، ومن تفسير الروابط بين الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والتطورات السياسية والإدارية .

١ - الضوء اللامع ، للسخاوى ٢ / ٢١ .

٢ - كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك ، للمقرئى الجزء الرابع حوادث سنة ٨٣٢ هـ .

٣ - المراعظ والاعتبار ، للمقرئى ١ / ٥ - طبعة بولاق .

الموسوعية والتخصصية عند المقرئى :

كان الإمام المقرئى عميق الثقافة ، متسع المدارك ، أكثر من الكتابة والتصنيف حتى نال مكانة عظيمة بين علماء عصره ، مما جعل الكثير من الباحثين يصفونه من حيث مصنفاته العلمية بالموسوعية والتخصصية ، أي أن مؤلفاته منها كتب موسوعية ضخمة وأخرى تخصصية صغيرة .

أما الكتب التى تتسم بالموسوعية فقد عثى فيها بالتاريخ العام ، وعثى فيها بتاريخ مصر الإسلامى والسياسى ، فمن الكتب التى صنفها فى ثوب الموسوعية فى التاريخ العام كتاب "الخبر عن البشر" ^(١)، وكتاب "الدرر المضيئة فى تاريخ الدول الإسلامية" ^(٢)، وكتاب "إمتاع الأسماع بما للرسول من الأنباء والأحوال والحفدة والمتاع" ^(٣)، والبعض الآخر ركز فيه المقرئى على تاريخ مصر الإسلامية ، وتراجم المشاهير من أهلها وأبنائها ، ومن هذا البعض كتاب "المقفى الكبير" ^(٤) فى تراجم أهل مصر والوافدين عليها ، وكتاب "درر العقود فى

١- كتاب "الخبر عن البشر" كتاب فى التاريخ العام ، قالت المصادر أن المقرئى جعله كالمدخل لكتابه "إمتاع الأسماع فيما للرسول من الحفدة والأنباء" ويذكر ابن تغرى بردى فى "المهمل الصافى" أنه فى أربعة مجلدات وعمل له مقدمة فى مجلد ، منه ستة أجزاء مخطوطة فى مكتبة أحمد الثالث برقم ٢٩٢٦ / ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥ ، ٦ من ٨٥٨٩٩ إلى ٨٥٩٠٤ ، وهناك نسخة فى مكتبة فاتح باستامبول فى ستة أجزاء بخط المؤلف ، مصورة فى دار الكتب بمصر تحت رقم (٩٤٧ تاريخ) فى ١٦ مجلداً . ونسخة ثالثة فى الأزهر رقم تاريخ ٤٣٩ (٦٧٣٣) أباطة الجزء الثانى فقط . انظر فى ذلك التاريخ العربى والمؤرخون ، شاكر مصطفى ١٤٦/٣ .

٢ - وهو كتاب يضم بين دفتيه من مقتل عثمان بن عفان إلى مقتل المستعصم ونهاية الخلافة العباسية سنة (٦٥٦هـ) ، وهو مخطوط فى كمبريدج رقم ٤٩ فى ٢٧٣ ورقة كبيرة كتب بعد عهد المؤلف بقليل دون خاتمة وبه تزيينات .

٣ - وهو يتحدث فى شمائل النبى ﷺ والنبيات وآل الرسول والسيرة النبوية والهجرة والغزوات ، ومجموعة من الأخبار عن أحوال الرسول وأحكامه وأعماله ودقائق حياته وحديثه ، قد طبع فى مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر عام ١٩٤١م بتحقيق محمود محمد شاكر ، وانظر التاريخ العربى والمؤرخون شاكر مصطفى ١٤٦/٣ ، والمعجم الشامل للتراث العربى المطبوع محمد صالحية ١٤٠/٥ .

٤ - وهو كتاب حافل فى تراجم الملوك والأمراء والعلماء المصريين أو من عرفتهم مصر من جميع الأقطار ، وقد جعله المقرئى على حروف المعجم ، وقد طبع ببيروت بدار العلم عام ١٩٧١م بتحقيق سهيل زكار ، وطبعة تونس عام ١٩٨٦م بتحقيق محمد اليعلاوى ، وطبعة بيروت دار المغرب الإسلامى عام ١٩٨٧م ، انظر التاريخ العربى والمؤرخون شاكر مصطفى ١٤٥/٣ ، والمعجم الشامل للتراث العربى المطبوع محمد صالحية ١٤٥/٥ .

تراجم الأعيان المفيدة" ^(١)، وهذان الكتابان فى التراجم ، خصص أولهما لتراجم البارزين من أهل مصر ، والذين وفدوا عليها وأقاموا فيها منذ الفتح العربى الإسلامى ، والثانى خصصه المقرئى لتراجم المشاهير من معاصريه .

أما فى تاريخ مصر السياسى فنلاحظ أن الإمام المقرئى قد كتب فى تاريخ مصر السياسى ثلاثة كتب تغطى تاريخها منذ الفتح العربى حتى أيامه ، مثل كتاب " عقد جواهر الأسفاط فى تاريخ مدينة الفسطاط " ^(٢) ، ويعالج تاريخ مصر الإسلامية حتى بداية العصر الفاطمى ، والثانى كتاب " اتعاظ الحنفا بذكر الأئمة الفاطميين الخلفاء " ^(٣) وقد عالج فيه تاريخ مصر الفاطمية ، أما الثالث فهو كتاب " السلوك لمعرفة دول الملوك " ، وقد أرخ فيه الإمام المقرئى لمصر منذ بداية الدولة الأيوبية حتى قبيل وفاته فى سنة ٨٤٥هـ ، وهذه الكتب الثلاثة الأخيرة التى خصصها المقرئى لعلاج تاريخ مصر السياسى فى العصور الإسلامية يكملها الكتاب الذى أفرده لعلاج تاريخ مصر العمرانى ، وتنعنى به كتابه " المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار " ^(٤) وهو موسوعة تاريخية سياسية ، اقتصادية ، اجتماعية ثقافية فنية .

١ - كتاب " درر العقود الفريدة فى تراجم الأعيان المفيدة " ثلاث مجلدات ، ترجم فيه لأعيان عصره البارزين منهم علماء اليمن ، وقد نقل عنه السخاوى فى الضوء اللامع عدداً من التراجم وبخاصة المتصورة من أهل اليمن وعدد تراجمه ٥٥٦ ترجمة ، ومن هذا الكتاب نسخة مخطوطة فى مجلدين نقلت عن نسخة بخط المؤلف سنة ٨٧٨هـ وتقع فى ٢٩٢ ورقة وهى فى مكتبة آل الجليلى الخاصة فى الموصل ، انظر التاريخ العربى والمؤرخون شاكر مصطفى ٣ / ١٤٨ .

٢ - وهو أول كتاب كتبه المقرئى فى تاريخ مصر الإسلامى الأول ، ثم أتبعه بكتاب " اتعاظ الحنفا " فى تاريخ مصر زمن الفاطميين لياتى من بعدهما " كتاب السلوك " فيفطى العهدين الأيوبرى والملوكى . ومنه نسخة مخطوطة فى برلين ضمن مجموعة خطية تحمل رقم ٩٨٤٥ . انظر التاريخ العربى والمؤرخون ، شاكر مصطفى ٣ / ١٤٨ .

٣ - وهو أوفى مصدر فى التاريخ الفاطمى ، يؤرخ أولاً للنسب الفاطمى ثم عن الفتح الفاطمى لمصر ثم خلفاء الفاطميين الواحد بعد الآخر حتى نهاية الدولة ، وقد طبع عدة طبعات منها طبعة مطبعة دار الأيتام الإسلامية - القدس - عام ١٩٠٩م ، وطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر عام ١٩٤٨م . القاهرة ، بتحقيق جمال الدين الشبال - وطبعة أخرى له بدار التحرير للطباعة والنشر عام ١٩٦٧م . انظر التاريخ العربى والمؤرخون شاكر مصطفى ٣ / ١٤٤ ، والمعجم الشامل للتراث العربى المطبوع محمد صالحية ١٣٧/٥ ، ١٣٨ .

٤ - وهو موسوعة تاريخية مشهورة طبعت أكثر من طبعة بباريس عام ١٨٢٦م ، وطبعة بولاق ١٨٥٣م وطبعة 'نيل' ١٩٠٦م ، وطبعة المعهد الفرنسى بالقاهرة ١٩١١ - ١٩٢٨م ، وطبعة بيروت ١٩٥٩م ، وطبعة دار 'لتحرير بالقاهرة ١٩٦٧م ، انظر المعجم الشامل للتراث العربى المطبوع محمد صالحية ١٤٥/٥ - ١٤٦ .

أما الكتب التى تتسم بالتخصصية الصغيرة ، فإنها رغم صغر حجمها كبيرة القيمة ، لأن كلاً منها عبارة عن رسالة قيّمة عالج فيها الإمام المقرئى مشكلة من مشاكل التاريخ ، أو جانباً مهماً من جوانبه أو طريقة من طرف المعرفة ، بحيث يسد كل منها ثغرة أحس بوجودها فى عالم الفكر والمعرفة ، وتتصف هذه الكتب الصغيرة بالتركيز والإيجاز ، ويغلب عليها أن يتعرض كل كتاب منها لمشكلة معينة فى التاريخ الإسلامى فمن بين هذه الكتب كتاب "النزاع والتخاصم فيما بين بنى أمية وبنى هاشم" ^(١) يعالج فيه مشكلة قديمة فى التاريخ ، وكتاب "الإمام بأخبار مَنْ بأرض الحبشة من ملوك الإسلام" ^(٢) ، وكذلك كتاب "الطرفة الغربية من أخبار حضرموت العجيبة" ^(٣) يعالجان بعض الجوانب المهملة فى التاريخ الإسلامى ، أما كتاب "الذهب المسبوك بذكر من حج من الخلفاء والملوك" ^(٤) ، وكتاب "تراجم ملوك الغرب" ^(٥) فيعبرُان بمجموعة من ملوك الإسلام ، ربط بينهم نشاط واحد أو ركن واحد من أركان الدولة الإسلامية البعيدة .

١ - هو رسالة صغيرة طبعت أكثر من طبعة ، طبعة ليدن عام ١٨٨٨م بعناية جيراردوس ، وطبعة مكتبة الأهرام - القاهرة عام ١٩٣٧م بعناية وتصحيح محمود عرنوس ، وطبعة النجف عام ١٩٤٩م بتحقيق على بن حسين الهاشمى ، وطبعة المكتبة الحيدرية بالنجف عام ١٩٦٦م بتقديم محمد بحر العلوم ، انظر المعجم الشامل للتراث العربى المطبوع ، محمد عيسى صالحية - القاهرة ١٩٩٥م ٥ / ١٤٧ .

٢ - كتب المقرئى هذا الكتاب فى مكة عام ٨٣٩ هـ ، وحرره فى مصر عام ٨٤١ هـ بعد تدقيقه ، وقد تم طبعة أكثر من مرة ، طبعة القاهرة ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر لعام ١٨٩٥م ، وطبعة القاهرة ، مطبعة الموسوعات لعام ١٩٠٠م ، انظر ذلك فى المعجم الشامل للتراث العربى المطبوع ، محمد عيسى صالحية ٥ / ١٣٩ - ١٤٠ .

٣ - هى رسالة كتبها وهو مجاور فى مكة سنة ٨٣٩ هـ وقد طبعت مشروحة مصورة سنة ١٨٦٦م فى بون بعناية المستشرق سكوى باللغتين العربية واللاتينية ، انظر التاريخ العربى والمؤرخون ، لشاكر مصطفى ١٤٧/٣ .

٤ - كتبه المقرئى سنة ٨٤١ هـ وذكر فيه ٢٦ من هؤلاء الحجاج بدأهم بالرسول ﷺ ثم الخلفاء الراشدين ومن بعدهم إلى أيامه فى خمسة أجزاء ، قد طبع بلجنة التأليف والترجمة ، والنشر بالقاهرة ١٩٩٥م ، تحقيق جمال الدين الشيال ، انظر المعجم الشامل للتراث العربى المطبوع ، محمد عيسى صالحية ٥ / ١٤١ .

٥ - من هذا الكتاب نسخ مخطوطة عديدة فى ليدن وفيينا ، انظر التاريخ العربى والمؤرخون ، شاكر مصطفى ١٤٩/٣ .

وهناك من هذه الكتب الصغيرة ما قصد به المقرئ إلقاء الضوء على بعض الأوضاع المعاصرة مثل كتاب " البيان والإعراب بمن نزل أرض مصر من الأعراب " (١) وهو يعرف بالقبائل العربية المنتشرة في مصر على أيام المؤلف ، كما تناول الإمام المقرئ في بعض كتبه الصغيرة جوانب من العلوم البحتة ، مثل كتابه " المقاصد السنية لمعرفة الأجسام المعدنية " ، فهو يتكلم عن المعادن والأجسام المتولدة من الأبخرة والأدخنة المحتبسة في الأرض ، ويفرق بين المعادن القابلة للطرق - وهي الذهب والفضة والنحاس والرصاص والحديد والأسراب والخاصين ، والمعادن غير القابلة للطرق بسبب ليونتها كالكزئبق ، أو الأجسام الصلبة التي تتعرض للكسر في حالة الطرق ، مثل اليواقيت والشب والنوشار .

كما يتعرض الإمام المقرئ لبعض الكتب الصغيرة والتي تتناول في حديثها النحل وأنواعه ومراحل نموه وطباعه وألوانه وأحجامه ، ثم عن بيوت النحل أو خلاياه في الجبال والسهول وأنواعها مثل كتاب " نحل عبر النحل " (٢).

كما تعرض أيضاً في كتبه الصغيرة عن ربط الحياة الواقعية والاقتصادية بكلامه ، فإنه عندما يتحدث عن النحل فإنه يوضح القيمة الاقتصادية للنحل وللعليل كمورد هام من موارد الدولة ، وعن الشمع الذي يخرج من بيوت النحل الذي يستخدم في الإضاءة . وهناك من الكتب الصغيرة ذات قيمة اقتصادية واجتماعية كبيرة مثل كتاب " إغاثة الأمة بكشف الغمة " (٣) حيث تضمنه المقرئ كثيراً من الآراء والنظريات التي سبق بها عصره بكثير ، كما يتعرض فيه لتاريخ المجاعات والأوبئة التي أصابت مصر وأهلها منذ القدم ، مما يدل على مدى عناية منهجه التاريخي بالظواهر الاقتصادية والاجتماعية هذه العناية أكسبت كتابته طعماً جديداً ليس له نظير .

١ - وقد طبع هذا الكتاب أكثر من طبعة ، فقد طبع بعناية فرديناندو ستنفلد طبعة أجنبية ١٨٤٧م ، وطبعة القاهرة مطبعة المعارف لعام ١٩١٥م . وطبعة مكتبة عالم الكتب - القاهرة لعام ١٩٦١م تحقيق عبدالمجيد عابدين ، انظر في ذلك المعجم الشامل للتراث العربى المطبوع ، محمد عيسى صالحية ٥ / ١٤٠ - ١٤١ .

٢ - وقد طبع هذا الكتاب في مكتبة الخانجي - بالقاهرة عام ١٩٤٦م . انظر المعجم الشامل للتراث العربى المطبوع ، محمد عيسى صالحية ٥ / ١٤٦ - ١٤٧ .

٣ - وهو الكتاب الذي نحن بصدد تحقيقه وعمل هذه الدراسة .

المقرئى وتحليل الظواهر الاقتصادية والربط بينها :

المتبع لكتابات الإمام المقرئى من خلال كتاب " إغاثة الأمة بكشف الغمة " ، يلاحظ أنه يسرد أخبار الأزمات الاقتصادية والغلوات التى حلت بمصر ، ومن خلال هذا السرد ومن بين سطره نلاحظ مدى ما يتمتع به الإمام المقرئى من حاسة تاريخية مرهفة ، وقدرة عالية على تلمس الظواهر الاقتصادية وتحليلها والربط بينها ، فالإمام المقرئى لا يقتصر على السرد ، ولم يقف عند هذا الحد وإنما انتقد كثيراً من الأوضاع الاقتصادية التى التمسها فى عصره ، والتى لم يرض عنها واقنع بأنها سبب الفساد والتردى ، هذه الحاسة الاقتصادية بدت واضحة فى كتابه « إغاثة الأمة بكشف الغمة » الذى دونه من منطلق اقتصادى بحث وفى ظل ظروف اقتصادية قاسية ، وإنما يعلق بقدر ما يسمح به حجم كتابه الموجز على الأحداث مبدئياً ما يرتبط بها من مؤشرات اقتصادية متنوعة ، ومن بين هذه التحليلات والتعليقات التى أبداهها الإمام المقرئى على سبيل المثال لا الحصر :

* عندما يقصر ماء النيل يصحبه مباشرة الغلاء وارتفاع الأسعار ، وكانت أسعار صرف العملة أول ما يتأثر بهذه التطورات ، ويحدثنا المقرئى عن الغلاء الذى حدث سنة ٣٨٧هـ فيقول : " فارتفعت الأسعار ، ووقفت الأحوال فى الصرف ، فإن الدراهم المعاملة كانت تسمى يومئذ بالدراهم المزايدة والقطع ، فتعنت الناس فيها ، وكان صرف الدينار ستة وعشرين درهماً منها ، فتزايد سعر الدينار إلى أن كان فى سنة ٣٩٧هـ كل أربعة وثلاثين درهماً بدينار ، وارتفع السعر وزاد اضطراب الناس ، وكثر عنتهم فى الصرف " (١١) .

* كما نلاحظ من العادة فى كل زمان ومكان ، أن التجار والباعة يستغلون فرصة الغلاء لتحقيق مكاسب ضخمة ، والمقرئى يصف لنا الغلاء الذى حدث فى سنة ٦٩٦هـ فى أيام السلطان العادل كتبغا (١٢٩٤ - ١٢٩٦ م) فيقول : " وكثرت أرباح التجار والباعة ، وازدادت فوائدهم ، فكان الواحد من الباعة يستفيد فى اليوم المائة والمائتين ويصيب الأقل من السوقه ربحاً فى اليوم ثلاثين درهماً ، وكذلك كانت مكاسب أرباب الصنائع ، واكتفوا بذلك ،

طول الغلاء " (١) فلم يفت المقرئ أن يوضح مدى ما أصاب هؤلاء المستغلين من بلاء أنزله الله بهم - عقوبة لهم - حتى " أصيب جماعة كثيرة من ربح فى الغلال من الأمراء والجند وغيرهم فى مدة الغلاء ، إما فى نفسه بأفة من الآفات ، أو بإتلاف ماله الإتلاف الشنيع ، حتى لم ينتفع به " (٢).

* إن المتتبع لهذه الغلوات يجد أنها بلغت درجة من القسوة والشدة حتى جعلت الناس يأكلون القطط والكلاب ، ويذكر الإمام المقرئ ذلك فيقول : " قُلْتُ الكلاب ، فيبيع الكلب ليؤكل بخمسة دنانير " (٣)، ثم يقول : " أكل الناس بعضهم بعضاً ، وتحرز الناس ، فكانت طرائف تجلس بأعلى بيوتها ، ومعهم سلب ورجال فيها كلاب ، فإذا مرَّ بهم أحد ألغوا عليه ونشلوه فى أسرع وقت وشرحو لحمه وأكلوه " (٤)، ثم يصف المقرئ الغلاء الذى حدث فى سنة ٥٩٦ هـ فيقول : " وعُدَّ القوت حتى أكل الناس صغار بنى آدم من الجوع ، فكان الأب يأكل ابنه مشوياً ومطبوخاً ، والمرأة تأكل ولدها " (٥). ولكن أقول إن فى كلام الإمام المقرئ هذا مبالغة ، ومبالغة غير مقبولة ، فلعله يريد أن يبين لنا مدى قسوة تلك الأزمان ، ومدى ما أحدثته الغلوات بالناس .

* فى نفس الوقت يبين الإمام المقرئ أن هذه النكبات الاقتصادية لا بد وأن تكون آفات سماوية ، بمثابة عقوبة إلهية للبشر بسبب بعدهم عن الله عز وجل ، وعدم التزامهم بشرعه وإتيان فرائضه فيقول : " إنما تحدث من آفات سماوية ، إذا خالفوا أمره ، وأتوا محارمه ، أن يصيبهم بذلك جزاء بما كسبت أيديهم " (٦)، ويبدو أن هذا التعليل كان بمثابة التفسير الأول والأولى الذى حاول به المعاصرون - حكماً ومحكومين - تعليل المحن التى نزلت بهم ، ولذلك

١- انظر المخطوطة ، ص ٢٢ .

٢ - انظر المخطوطة ، ص ٢٣ .

٣ - انظر المخطوطة ، ص ١٥ .

٤ - انظر المخطوطة ، ص ١٥ .

٥ - انظر المخطوطة ، ص ١٧ ، ١٨ .

٦- انظر المخطوطة ، ص ٢٥ .

كثيراً ما كان الناس فى تلك الأزمات يعلنون توبتهم ، فيكثرون من الصلاة ، كما يلجأ الحكام إلى إصدار الأوامر بإراقة الخمر وتحرير تعاطيها فى مختلف أنحاء البلاد ، إظهاراً للتوبة^(١).

* إن المسئول الأول عن هذه المحن هم الحكام ، فالشعب لم يعفهم من المسئولية ، والدليل على ذلك أنه فى كثير من الأحيان والحالات تشور الرعية^(٢) كما حدث فى أيام الغلاء سنة ٧٩٨هـ أن هدد العوام المحتسب وكانت السلاطين تخشى غضبتهم ، فقد لجأ بعض السلاطين عند حدوث غلاء إلى الأمر بجمع الفقراء وذوى الحاجات وتوزيعهم على الأغنياء والأمراء ، بحيث يلتزم كل غنى وكل أمير بإطعام عدد منهم معين^(٣) ، وفى الغلاء الذى حدث سنة ٧٧٦هـ أمر السلطان الأشرف شعبان ، بجمع الفقراء ، ووزعهم على الأمراء ومياسير التجار^(٤) . ولا شك فى أن احتكار سلاطين المصاليك لبعض السلع والغلات الهامة مثل التوابل والبخور أدى إلى ارتفاع أثمانها ارتفاعاً فاحشاً ، وقد بلغت سياسة الاحتكار هذه أشدها على عهد السلطان الأشرف برسباى (٨٢٥ هـ / ١٤٢٢م - ٨٤١ هـ / ١٤٣٨م)^(٥).

* لقد كان المقرئى شديد الإيمان بأن الكوارث الاقتصادية هى عادة الله عز وجل فى الخلق إذا خالفوا أمره وأتوا محارمه ، ومع ذلك ذكر أن كل أزمة من الأزمات وكل كارثة من الكوارث كان وراء حدوثها نقص النيل وعدم وفائه ومع ذلك أرجع الأمر أيضاً فساد الخطط السلطانية ، وغلاء الأتبان ورواج الفلوس وطفغان العملة النحاسية على العملة الذهبية ، مما جعل الإمام المقرئى يكتب كتابه " إغاثة الأمة بكشف الغمة " .

إذا كان الجانب الاقتصادى قد ظهر جلياً فى كتابات الإمام المقرئى فإن الجانب الاجتماعى فى كتاباته لا يقل شأنًا ولا أهمية ، ولما كانت الأوضاع الاجتماعية مرتبطة بأحكام الدين وآدابه من ناحية ، وبالظروف الاقتصادية من ناحية أخرى ، فإننا نجد الإمام المقرئى ينتقد

١ - انظر كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك للمقرئى ، حوادث ٧٠٩ هـ ، ٧٨١ هـ ، ٨٣١ هـ .

٢ - انظر المخطوطة ، ص ٧ .

٣ - انظر كتاب السلوك للمقرئى ، ٢٤٢/٣ - ٢٤٣ .

٤ - انظر المخطوطة ، ص ٢٥ .

سوء أوضاع المجتمع من خلال سرده التاريخي ، ومن خلال معالجته للجوانب الاقتصادية .
لذلك وضع الإمام المقرئ تقسيماً للمجتمع المصري في عصر الماليك فجعل أهل مصر سبعة
أقسام : الماليك وهم أهل الدولة ، وأهل اليسار من التجار ، وأولى النعمة من ذوى
الرفاهية ، والباعة ومتوسطو الحال من التجار ، ويلحق بهم أصحاب المعاش وهم السوق وأهل
الفلح ، والفقراء وهم جلّ الفقهاء وطلاب العلم ، والكثير من أجناد الحلقة وأرباب الصنائع
والأجراء أصحاب المهن ، وأخيراً ذوو الحاجة والمسكنة وهم : " السوّال الذين يتكفّفون الناس
ويعيشون منهم " (١) .

المبحث السابع

النقد التأريخي عند الإمام المقرئزى

لم يكن الإمام المقرئزى فى مادته التأريخية مجرد ناقل عن مصادره ، أو راصداً لها من خلال مشاهداته وما سمعه ، وإنما كان إلى جانب ذلك مؤرخاً ناقداً ، تنوعت جوانب النقد لديه ، لتتمثل فى كشفه عن العامل الرئيسى والهدف الحقيقى من كتابة هذا الكتاب ، ووصفه للحوادث بتفرد عظيم له السبق فى هذا العمل ، وتفسير الحوادث بالكشف عن علتها وبيان أسبابها ، وتهكمه وسخريته على التصرف فى بعض الحوادث ، والإقصاد عن عاطفته تجاه بعض الأحداث ، ومواطن العبر والعظة فى الأحداث ، وذلك على النحو التالى :

أولاً : الكشف عن العامل الرئيسى والهدف الحقيقى من الكتاب :

يمثل هذا العامل ما له من قيمة اقتصادية واجتماعية كبيرة ، حيث ضمنه الإمام المقرئزى كثيراً من الآراء والنظريات التى سبق بها عصره بكثير ، وفى هذا الكتاب يتعرض المقرئزى لتاريخ المجاعات والأوبئة التى أصابت مصر وأهلها منذ القدم ، وحتى المجاعة الشديدة التى عاصرها (٧٩٦ - ٨٠٨ هـ) والتى فقد فى الطاعون الذى صحبها ابتته الوحيدة سنة ٨٠٦ هـ ، ويبدو أن هذه المحنة التى ابتلى بها المقرئزى جعلته يتحمس لتأليف الكتاب المذكور "إغاثة الأمة بكشف الغمة" إذ يقول عن نفسه : " تيسر لى ترتيب هذه المقالة وتهذيبها فى ليلة واحدة من ليالى المحرم سنة ثمان وثمانمائة " (١) .

فهو دراسة ناقدة تحليلية ، يغلب عليها الطابع الاقتصادى الاجتماعى ، ومن خلال هذه الدراسة ينتقد المقرئزى كثيراً من الأوضاع القائمة فى الدولة وما يرتبط بها من سوء تصرفات الحكام ، ويرجع الأزمات الاقتصادية التى تحمل بالبلاد إلى تلك الأوضاع والتصرفات ، وفى الوقت نفسه نرى المقرئزى يحلل تلك الأزمات تحليلاً اقتصادياً يجمع بين العمق والإيجاز ، ويشرح ما لها من آثار اقتصادية واجتماعية ، مما يجعل من كتابه هذا ظاهرة فكرية لها أهميتها وخطورتها فى عصر سلاطين المماليك .

لقد استهدف الإمام المقرئى من هذا الكتاب توضيح حقيقتين كبيرتين ، الأولى : بيان الأسباب التى نشأ منها كل المصائب والكوارث ، وكيف تمادى بالبلاد والعباد هذا المصاب الشنيع ، والثانية : بيان ما يزيل ويقضى على هذا الداء ويرفع هذا البلاء عن مصر والمصريين.

هذه الأزمة التى دفعته إلى الكتابة ليست الأولى من نوعها فى تاريخ مصر وأهلها ، وليست بحالة من الأحوال أشد وأقصى من غيرها ، وإن بدت فى نظر المعاصرين إذ يقول : "القليل من المشاهدة أرسخ من الكثير من الخبر ، إذ مقاساة البسير من الشدة أشق على النفس من تذكر الكثير مما سلف منها .. " (١).

ثانياً : وصف الحوادث بالتفرد فيها :

يلمس الباحث صفة متأصلة فى الإمام المقرئى عندما يكتب وهى التدقيق والرغبة فى معرفة أسباب الظواهر وعلل الأحداث ، لذلك يسمو الإمام المقرئى فوق مستوى كثيرين غيره من المؤرخين السابقين والمعاصرين ، فكثيراً ما يقف أمام الرواية أو الخبر ليناقش ويفتد ، مستقصياً أسبابها ، محاولاً تعليلها .

لقد تفرّد الإمام المقرئى وقّعت بحاسة اقتصادية اجتماعية ظهرت واضحة من خلال كتابه هذا ، وتفسيره للروابط بين الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والتطورات السياسية والإدارية ، من يقظة وسرعة بديهة ، وقدرة فائقة على الالتقاط والربط والتعليل ، فكان الإمام المقرئى متفرداً فى ذلك إذ يقول : " أفرد كتاباً يتضمن ما حلّ بهذا النوع الإنسانى من المحن والكوائن المجيحة ، منذ آدم عليه السلام ، وإلى هذا الزمن الحاضر ، فإنى لم أر لأحد فى ذلك شيئاً مفرداً " (٢).

ثالثاً : تفسير الحوادث بالكشف عن العلة :

استطاع الإمام المقرئى أن يكشف عن السبب أو الأسباب من خلال تفسيره للأزمات التى وقعت وأحدثت المجاعات بمصر وأهلها ، ومع أنه يؤمن بأن المحن والكوارث الاقتصادية هى "سنة الله تعالى فى الخلق ، إذا خالفوا أمره وأتوا محارمه ، ومن خان عهد الله وأمانته فيما

انظر المخطوطة ، ص ٣ .

انظر المخطوطة ، ص ٥ .

استرعاه من أمور عبادته بإظهار الفساد وإهلاك العباد ، ولم يصغ إلى الحق ، وفساد نظر من أسند إليه النظر فى ذلك ، وجهله بسياسة الأمور " (١) ، وقد أرجع الإمام المقرئى حدوث الأزمة فى مصر وأهلها إلى ثلاث علل هى :

العللة الأولى : انتشار الرشوة فى ولاية الخطط السلطانية والمناصب العامة ، ومن هذه المناصب ما هو عظيم القدر كبير المقام كالوزارة والقضاء ، وتولى نيابة الأقاليم وولاية الحسبة ، الأمر الذى جعل ولايتها " لكل جاهل ومفسد وظالم وباغ " وكان يكفى أن يتوصل أحد هؤلاء إلى بعض رجال حاشية السلطان ويعدده بمال للسلطان على ما يريد من الأعمال ، حتى يتسلم ما كان يرغب فيه من منصب عظيم على وجه السرعة ، وغالبًا ما يتولى منصبه الجديد وليس معه من المال ما يؤديه للسلطان وحاشيته وقاءً لوعده ، فيضطر إلى الاستدانة ، ويمد يده إلى أموال الرعية ، ويتعسف فى أثقالها بالالتزامات ليحصل على ما يريد ، فإذا كان صاحب الوظيفة متوليًا عملاً من أعمال الريف ، فإنه يشغل كواهل الفلاحين بما يفرضه عليهم من ضيافات سنية وتقادم جليلة من الخيول والرقيق وغير ذلك ، ثم يضى الإمام المقرئى فى تفسيره وتعليله فيقول : " إنه لما دهى أهل الريف بكثرة المغارم وتنوع المظالم ، اختلت أحوالهم وهجروا الأرض ، فقلت مجابى البلاد ومتحصلها لقلّة ما يزرع بها ، ولخلو أهلها ورحيلهم عنها ، لشدة الوطأة من الولاة عليهم ، لذلك يعتبر المقرئى هذا السبب أصل الفساد " (٢) .

العللة الثانية : اعتبر المقرئى غلاء الأتبان هو السبب الثانى لهذه الأزمة التى عاصرها سنة ٨٠٦ هـ حيث أن خدم الأمراء ووكلائهم " أحبوا مزيد القرية منهم ، ولا وسيلة أقرب إليهم من المال ، فاستحضروا مستأجرى أراضى الأمراء من الفلاحين وضاعفوا عليهم قيمة الإيجارات عتاً بعد عام ، حتى أن إيجار العزاق - بعد حوادث هذه الأزمة - صار عشرة أمثال ما كان عليه قبلها ، وهكذا تضاعفت تكاليف الزراعة فى الوقت الذى اشتدت وطأة الأمراء وأصحاب الاقطاعات على أهل الفلح وكثرت المغارم فى عمل الجسور وغيرها فخرّب بما ذكرنا معظم القرى وتعطلت أكثر الأراضى من الزراعة ، فقلت الغلال وغيرها مما تخرجه الأرض ، لموت أكثر الفلاحين وتشردهم فى البلاد من شدة السنين وهلاك الدواب " (٣) .

١ - انظر المخطوطة ، ص ٥٠ ، ٥١ .

٢ - انظر المخطوطة ، ص ٢٧ .

٣ - انظر المخطوطة ، ص ٢٨ ، ٢٩ .

العملة الثالثة : رواج الفلوس ، ويعنى بالفلوس هنا العملة النحاسية الصغيرة التى كثر استخدامها فى ذلك العصر حتى طغت على غيرها من الدنانير الذهبية والدرهم الفضية ، يقول الإمام المقرئى : "سنة الله فى خلقه وعاداته المستمرة منذ كانت الخليفة إلى أن حدثت هذه الحوادث " (١) ، هى أن يكون الذهب والفضة فقط قاعدة التعامل بين الناس ، وبعد دراسة مفصلة يأتى بها الإمام المقرئى عن أصل النقود وتطورها قبل الإسلام ، وفى ظل الإسلام (٢) يختص مصر بفصل خاص ، يستهله بالقول بأن الذهب ظل قاعدة التعامل الاقتصادى فى مصر (٣) ، وأما الفضة فكانت تستخدم فى مصر حلياً وأوانى ، وقد يضرب منها الشيء القليل للمعاملات اليومية المحدودة التى تحتاج إليها البيوت وقد تزايد أمر الدرهم الفضية منذ أيام الخليفة الفاطمى الحاكم بأمر الله ، ومنذ ذلك الوقت ضربت الفضة نقوداً فى مصر ، وازداد تداول الدرهم الفضية ، وهكذا حتى عهد السلطان الكامل محمد الأيوبي ، ف ضرب سنة ٦٢٢هـ دراهم مستديرة أطلق عليها اسم الكاملية ثلثاها فضة وثلث نحاس ، ولم تلبث هذه الدراهم أن حلت محل الذهب فى التعامل ، وانتشر استعمالها فى مصر والشام بقية العصر الأيوبي ، ثم فى عصر المماليك ، وصارت المبيعات الجليلة تباع وتقرم بها وإليها تنسب عامة أثمان المبيعات وقيم الأعمال ، وبها يؤخذ خراج الأرضين وأجرة المساكن وغير ذلك (٤) .

وأما الفلوس النحاسية فيذكر الإمام المقرئى أنها خصصت للمحقرات من الأشياء ، أى للتعامل فى الأشياء التافهة التى لا تسمر فى قيمتها إلى أن تباع بدرهم أو بجزء منه ، وقد كثر ضرب الفلوس منذ أيام الكامل الأيوبي ، بحيث كان الدرهم الكاملى يصرف بشمانية وأربعين فلساً ، ومع تتابع الأزمات ، أكثر سلاطين المماليك من ضرب الفلوس ، فكثرت وخف وزنها حتى صار التعامل بها منذ سنة ٦٩٥هـ يتم بالميزان ، بحيث يكون الرطل منها بدرهمين ، وكان هذا أول ما عُرف بمصر من وزن الفلوس والمعاملة بها وزناً لا عدداً (٥) .

١ - انظر المخطوطة ، ص ٢٩ .

٢ - انظر المخطوطة ، ص ٣٨ ، ٤٥ .

٣ - انظر المخطوطة ، ص ٣٨ .

٤ - انظر المخطوطة ، ص ٤٠ .

٥ - انظر المخطوطة ، ص ٤٣ .

وهكذا حتى كانت أيام السلطان الظاهر بريقوق ، فأكثر من ضرب الفلوس النحاسية ، وبعث إلى بلاد الفرنجة لجلب النحاس الأحمر لضربها ، واتخذ الإسكندرية دار ضرب لعمل الفلوس ، فكثر الفلوس بأيدي الناس كثرة بالغة ، وراجت رواجاً صارت من أجله هي النقد الغالب في البلد .

هذه هي العلل الثلاث التي علل بها المقرئ للأزمة الاقتصادية التي تعرضت لها مصر ، والتي دُون كتابه " إغاثة الأمة بكشف الغمة " تحت وطأتها ، وتحليل الأسباب التي ذكرها الإمام المقرئ في كتابه لتلك الأمة ، نجد أنه جمع بين أمرين هما : الأزمة الاقتصادية التي تعرضت لها البلاد سنة ٨٠٦ هـ ، أما الأمر الثاني فهو اختلال أوضاع الدولة إدارياً واقتصادياً الأمر الذي جعل الأزمة لا تنفجر رغم زوال سببها الطبيعي المرتبط بنهر النيل .

أما العلل الثلاث التي ذكرها المقرئ ، وفسر في ضوءها سوء الأوضاع سنة ٨٠٨ هـ ، فترجع في جوهرها إلى الفساد الذي أخذ يدب في جسم الدولة بعد أن انحل نظامها ، وفقدت اتزانها ودبت الشيخوخة المبكرة في جسمها . فيقول المقرئ ما نصه : " وبعد ، فإنه لما طال أمد هذا البلاء المبين - يعنى أزمة ٨٠٦ - ٨٠٨ هـ وصل فيه بالخلق أنواع العذاب المبين ، ظن كثير من الناس أن هذه المحن لم يكن فيما مضى مثلها ، ولا مرَّ على زمن شبهها ، ومن تأمل هذا الحادث من بدايته إلى نهايته ، وعرفه من أوله إلى غايته ، علم أن ما بالناس سوى تدبير الزعماء والحكام ، وغفلتهم عن النظر في مصالح العباد ، لا أنه كما مرَّ من الغلوات وانتضى من السنوات المهلكات ، إلا أن ذلك يحتاج إلى إيضاح وبيان ويقتضى إلى شرح وتبيين ^(١) .

رابعاً : التهكم من التصرف في الأحداث :

من خلال كتاب إغاثة الأمة للإمام المقرئ نلاحظ في كثير من المواضع والصفحات تهكمه على بعض الأمور والأحداث ، وذلك على النحو التالي : يقول الإمام المقرئ : " لما طال أمد هذا البلاء المبين ، وحل فيه بالخلق أنواع العذاب المبين ، ظن كثير من الناس أن هذه المحن لم يكن فيما مضى مثلها ولا مرَّ في زمن شبهها ، وتجاوزوا الحد فقالوا لا يمكن زوالها ، ولا

يكون أبداً عن الخلق انفصالها وذلك أنهم قوم لا يفقهون ، وبأسباب الحوادث جاهلون ، ومع العوائد واقفون ، ومن روح الله آيسون ^(١) .

نلاحظ من خلال الفقرة السابقة مجموعة كلمات تدل على تهكم الإمام المقریزی من تصرف بعض الناس مثل كلمة " لا يفقهون ، جاهلون ، واقفون ، آيسون " .

ويقول : فأهل الدولة لو ألهموا رشدهم ، ونصحوا أنفسهم ، لعلموا أنهم لم ينلهم ربح البتة بزيادة الأتبان ، ولا بغلاء سعر الذهب الذي كان أصل هذا البلاء ، وسبب هذه المحن ، بل هم خاسرون " .

ويقول : " فالبائس لغياوته يزعم أنه استفاد ، وفي الحقيقة إنما خسر " ^(٢) .

ويقول : " وأما باعتبار ما دهم الناس من كثرة الفلوس فأمر لا أشنع من ذكره ، ولا أفتح من هوله ، فسدت به الأمور ، واختلت به الأحوال ، وآل أمر الناس بسببه إلى العدم والزوال ، وأشرف من أجله الإقليم على الدمار والاضمحلال " ^(٣) .

خامساً : الإنصاح عن عاطفته تجاه بعض الأحداث :

نلاحظ من خلال هذا الكتاب عاطفة الإمام المقریزی الدينية القوية ، والمجلة لمصر وأهلها ، ومدى خوفه عليها وشفقته عليها وعلى أهلها ، وتظهر هذه العاطفة من خلال أقواله التالية : " أعلم زيدك الله بروح منه ووفقك إلى الفهم عنه ، أنه لم تزل الأمور السالفة كلما كانت أصعب على من شاهدها ، كانت أظرف عند من سمعها " ^(٤) ، ويقول : " أعلم حاط الله نعمتك وتولى عصمتك ، أن الغلاء والرخاء مازالا يتعاقبان في عالم الكون والفساد ، منذ برأ الله الخليقة في سائر الأقطار وجميع البلدان والأمصار " ^(٥) .

١ - انظر المخطوطة ، ص ٢ .

٢ - انظر المخطوطة ، ص ٤٢ .

٣ - انظر المخطوطة ، ص ٤٩ .

٤ - انظر المخطوطة ، ص ٣ .

٥ - انظر المخطوطة ، ص ٤ ، ٥ .

ويقول : " اعلم تولى الله أمرك بالحياطة والهداية ، ولا أخلاك من الكفاية والعناية أن الغلاء الذى حلّ بالخلق منذ كانت الخليقة ، فيما ثقل من أخبارها بسائر البلاد فى قديم الزمان وحديثه ، على ما عُرِف من أحوال الوجود وطبيعة العمران ، وعُلم من أخبار البشر ، إنما يحدث من آفات سماوية فى غالب الأمر ، مثل قصر جرى النيل بمصر ، وعدم نزول المطر ، أو آفة تصيب الغلال من سمائم تحرقها أو رياح تهيفها ، أو جراد يأكلها ، وما شابه ذلك ، هذا عادة الله تعالى فى الخلق ، إذا خالفوا أمره وأتوا محارمه ، أن يصيبهم بذلك جزاء بما كسبت أيديهم " (١).

ويقول : " لعمري لا يبجل قدر هاتين الفائدتين الجليلتين ، ويجحد حق هاتين النعمتين العظيمتين ، من له أقل حظ من تمييز ، وأنزى نزر من شعور ، إلا مَنْ قصد أن يخون عهد الله وأمانته فيما استرعاه من أمور عبادته ، بإظهار الفساد ، وإهلاك العباد ، والله لا يهدى كيد الخائنين " (٢).

سادساً : مواطن العبر والعظات فى الأحداث :

يقول الإمام المقرئ : " لا تزال الحال المستقبلية تُتصور فى الوهم خيراً من الحالة الحاضرة ، لأن ملالة الحالة الحاضرة تزيّن فى الوهم الحالة المستقبلية ، فلذلك لا يزال الحاضر أبداً منقوصاً حقه مجحوداً قدره ، لأن القليل من شره يرى كثيراً ، إذ القليل من المشاهدة أرسخ من الكثير من الخير ، وإذا مقاساة اليسير من الشدة أشق على النفس من تذكر الكثير مما سلف منها " (٣).

ويقول : واعلم أن المسموع الماضى لا يكون أبداً موقعه من القلوب موقع الموجود الحاضر فى شيء من الأشياء ، وإن كان الماضى كبيراً والحاضر صغيراً ، لأن القليل من المشاهدة أكثر من الكثير بالسماع " (٤).

١ - انظر المخطوطة ، ص ٢٥ .

٢ - انظر المخطوطة ، ص ٥٠ .

٣ - انظر المخطوطة ، ص ٣ .

٤ - انظر المخطوطة ، ص ٤ .

ويقول : " اعلم أن من ملكته العوائد واسترقتة المألوفات ، وقيدته رعونات نفسه حتى وقف على ما عهد ، ولم يتراء إلى معرفة ما غاب عنه ، ولا تصور سوى ما أحس " (١).

ويقول عما ينزل بالناس من البلاء أنه : " سوء التدبير من الحكام ، وأن الله ابتلاهم بالقلة والذلة جزاء بما كسبت أيديهم وليذيقهم بعض الذى عملوا ولعلهم يرجعون " (٢).

نخلص مما سبق من دراسة المقرئى وكتابه إلى النتائج التالية :

١ - النهضة التى حدثت فى العصر المملوكى وطرقت جميع جوانب النشاط الحضارى وأسهمت فيه كان السبب فيها ثلاثة عناصر تضامنت مع بعضها البعض ، عنصر المال الذى مكن الممالك من إقامة المنشآت والمؤسسات والمشاريع ، وتشجيع العلماء ، وعنصر البيئة الحضارية ، ويقصد بها الأرض الطيبة ذات الإمكانات الحضارية الراسخة وذات المناخ المناسب الذى يساعد على الإنتاج والموقع الوسط الذى يجعل منها باباً مفتوحاً على الحضارات الأخرى ، وعنصر الإنسان ، وهذا العنصر البشرى البناء هو الذى يملك الاستعدادات والقدرة على الإنتاج والإبداع .

٢ - موسوعية وتخصصية المقرئى ، أما كتبه التى تتسم بالموسوعية فإنها تموج بتفاصيل التاريخ وأعمال الخلفاء والسلطين والملوك وتراجم المشاهير من الحكام والأمراء والعلماء والتجار ، أما كتبه التى تتسم بالتخصصية فإنها تتصف بالتركيز والإيجاز ، وأن كل كتاب منها يشتمل على موضوع محدد أو مشكلة بعينها فى التاريخ الإسلامى أو فى الأوضاع المعاصرة اقتصادية كانت أو اجتماعية أو غير ذلك .

٣ - سبق المقرئى عصره بتضمن كتابه " إغاثة الأمة " كثيراً من الآراء والنظريات التى تتعلق بالناحية الاقتصادية أو الاجتماعية ، أو بسوء تصرف الحكام .

٤ - يحلل المقرئى الأزمات الاقتصادية التى حلت بمصر تحليلاً اقتصادياً يجمع بين العمق والإيجاز ويشرح ما لها من آثار اقتصادية واجتماعية .

١ - انظر المخطوطة ، ص ٥٠ .

٢ - انظر المخطوطة ، ص ٥٣ .

٥ - لم تنبع زعامة المقریزی لمؤرخی عصره من كثرة مؤلفاته وإنما نبعت هذه الزعامة من خلال المنهج التاریخی الذی سلكه وألزم نفسه به من أمانة علمية وتجرد من الهوى وعدم التعصب ، كما ألزم نفسه بالدقة والرغبة فی معرفة أسباب الظواهر وعلل الأحداث ، وأن كتاباته تشمل الخاصة والعامة دون أى مDAHنة للحكام .

٦ - أعتنى المقریزی فی منهجه التاریخی بالظواهر الاجتماعية والاقتصادية لما لديه من حاسة تاريخية واستعداد عقلى ونفسى نابع من داخله مكنته هذا الإحساس وهذا الاستعداد من ربط الأسباب بالنتائج ، ومن تفسير الروابط بین الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والتطورات السياسية والإدارية فی البلاد .

المبحث الثامن

وصف المخطوطة والعمل فى التحقيق

وصف المخطوطة :

اعتمدت فى تحقيق هذا الكتاب ونشره على ثلاث نسخ مخطوطة من مؤلفات الإمام المقرئى الصفري ، النسخة الأولى : نسخة مكتبة ولى الدين بجامع بايزيد باستانبول (رقم ٣١٩٥) وقد كتبت فى سنة (١١٠١ هـ) وقد جعلتها النسخة الأم - الأصلية - للنشر والتحقيق ، ذلك لحسن خطها ووضوحه ، وقد رمزت إليها بالحرف « أ » فى هامش التحقيق .

أما النسخة الثانية : فهى نسخة دار الكتب المصرية برقم (٧٧ مجاميع) ومن حيث تاريخ كتابتها فهو غير مذكور ، ولم يعلم متى كتبت أو نسخت ، وخطها غير واضح ، رديئة الكتابة ، غامضة القراءة أحياناً ، ولكن بهوامشها تعليقات وفيها سقطات من المتن ، أدخلتها فى المتن بين معقوفتين وقد رمزت إليها بالحرف « ب » فى هامش التحقيق .

وأما النسخة الثالثة : فهى نسخة مكتبة الجامعة بكامبردج بانجلترا تحت رقم (٧٤٦) ، وقد كتبت فى سنة (١١١٢ هـ) ، وهى من حيث القيمة والدرجة أقل من سابقتها من جميع الوجوه ، وقد رمزت إليها بالحرف (ج) فى هامش التحقيق .

فمن حيث النسخة الأولى التى اعتمدت عليها فى التحقيق فقد جاء عدد صفحاتها ٥٣ صفحة من المقدمة إلى الخاتمة ، وعدد سطور الصفحة الواحدة (٢١) سطراً ، وكل سطر يحتوى على (١٠ - ١٢ كلمة) ، وقد جاء فى الصفحة الأولى صفحة العنوان ختم كبير مكتوب به "وقف شيخ الإسلام ولى الدين أفندى بن المرحوم الحاج مصطفى أغا بن المرحوم الحاج حسين أغا" .

وجاء بالصفحة الأخيرة من هذه النسخة " ووافق الفراغ من تسويدها فى اليوم التاسع عشر من شعبان المكرم سنة (١١٠١ هـ) على يد أفقر العباد محمد الشهير بالقطرى ، إمام جامع الوزير وخطيبه ، ببندر جدة المحروس .

عملى فى التحقيق :

نظراً لما سبق بيانه عن أهمية هذا الكتاب وتفرد موضوعه ، ومدى ما حققه الإمام المقرئى من فائدة فى هذا الكتاب سواء من الناحية الاقتصادية أو الناحية الاجتماعية ، أو من ناحية ما زينه بتعليقاته وتحليلاته ، فقد استخرت الله عز وجل فى تحقيقه ونشره ، وقيامى بعمل دراسة علمية حول الإمام المقرئى ، وحول هذا الكتاب على نحو ما سبق بيانه ، ولست أدعى الكمال فى هذا العمل ، ولكنه جهد المقل ، وما كان فيه من خير فالحمد والشكر لله رب العالمين وحده على توفيقه ، وما كان فيه من خلل أو نقص فمنى ومن الشيطان . واستغفر الله العظيم من هذا وذاك ، وجاء هذا العمل على النحو التالى :

١ - قمت بدراسة نسخ المخطوطة دراسة متأنية وقراءتها من المقدمة إلى الخاتمة ثم قمت بتحديد النسخة الأم المعتمدة فى التحقيق وهى النسخة « أ » نسخة استانبول التى هى برقم (٣١٩٥) .

٢ - قمت بنسخ النسخة الأم التى جعلتها موضع النظر فى التحقيق ، مع الالتزام بقواعد الرسم الإملائى ، وتوضيح معالم النص ، فكتبت بحسب معانيه ، وذلك بأن أوقفت الكتابة عند انتهاء المعنى أو النقل ، ثم بدأت بسطر مستقل منفصل عنه إلى آخر النص .

٣ - استعملت النقط والفواصل والخطوط والشارات ، وعلامة التعجب وعلامة الاستفهام والأقواس المزهرة للآيات القرآنية ، والأقواس العادية وغير ذلك من علامات الترقيم .

٤ - أشرت فى بداية صفحات المخطوطة بوضع رقم الصفحة داخل المتن بين معقوفتين .

٥ - المقابلة بين النسخ المخطوطة الثلاث ، حتى أصل إلى اختيار الصيغة الصحيحة ما أمكن ذلك وإثبات الفروق التى تظهر بهامش الصفحات مع وضع رموز النسخ الخطية التى استخدمتها فى التحقيق .

٦ - بيان مواضع الآيات القرآنية من السور والآيات فى الحاشية ووضع الآيات داخل المتن بين القوسين المزهرين ، مع مراعاة طبع الآيات القرآنية برسم المصحف .

٧ - إضافة بعض الألفاظ فى بعض المواضع التى يقتضيها السياق وجعلته بين معقوفتين ، وأشرت إلى ذلك فى الحاشية .

- ٨ - إذا وجدت اختلافاً بين النسخ فى بعض الألفاظ أشرت إلى هذا الاختلاف إذا كان له أهمية .
- ٩ - شرحت المفردات العربية الواردة فى النص شرحاً موجزاً مستعيناً بمعجم لسان العرب أو مختار الصحاح ، أو الوافى للشيخ البستانى .
- ١٠ - علقت باختصار على بعض الأسماء والنسب والألقاب التى أتوقع أنها تحتاج إلى بيان .
- ١١ - ضبطت الأسماء والنسب التى يخشى على كثير من القراء قراءتها غير سليمة .
- ١٢ - خرجت الأحاديث النبوية من خلال كتب الحديث ، وعزوت كل حديث إلى الكتاب الذى يتضمنه .
- ١٣ - علقت على كثير من الأخبار والمواقف التى تحتاج إلى ذلك ولا يصح السكوت عنها .
- ١٤ - بينت موقع البلدان والأماكن ما أمكن ذلك من خلال معجم البلدان لياقوت الحموى وعزوت ذلك برقم الجزء ورقم الصفحة .
- ١٥ - قمت بعمل الفهارس اللازمة التى تخدم الدراسة والتحقيق كفهرس لآيات القرآن الكريم ، والأحاديث النبوية والأعلام والبلدان وغير ذلك .
- لقد بذلت فى هذا العمل أقصى ما استطعت من جهد ، وأرجو الله أن ينفع به الإسلام والمسلمين ، والله الموفق للصواب لا شريك له ولا رب سواه ولا حول ولا قوة إلا بالله ، عليه توكلت وإليه أنيب .



الصفحة الأولى - صفحة العنوان - نسخة مكتبة
 ولي الدين بجامع بايزيد - باستامبول (٣١٩٥)

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

القسم الثاني

تحقيق

كتاب « إغاثة الأمة بكشف الغمة »

للتقى الدين أحمد بن علي المقرئ

ت ٨٤٥ هـ

مقدمة

رفع

بسم الله الرحمن الرحيم

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

[ص / ٢] وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم ، الحمد لله ، مصرف الأمور بحكمته ، ومجريها كيف يشاء بقدرته ، أنعم على قوم فأوقفهم على ما خفى من بديع صنعته ، ووقفهم لاتباع ما درس من شريعته ، وآتاهم بياناً وحكماً ، وألهمهم معارف وعلماً ، وأيدهم فى أقوالهم ، وسددهم فى أفعالهم ، حتى بينوا للناس أسباب ما نزل من المحن ، وعرفهم كيف الخلاص مما حل بهم من جليل الفتن ، وأضل آخرين فأكثروا فى الأرض الفساد ، وأملى لهم^(١) حتى أهلكوا بطغيانهم العباد والبلاد ، واستدرجهم من حيث لا يشعرون ، فهم فى ضلالهم يعمهون ، وبباطلهم يفرحون ، ولعباد الله يذلون ، وعن عبادة ربهم يستكبرون^(٢) .

أحمدُ حد عبدٍ قدَّر أنعم الله عليه فعجز عن شكرها ، وعلم أن الأمور من الله ومرجعها إلى الله ، فاعتمد عليه فى تيسير عسرها .

وصلى الله على نبينا محمد الذى هدى الله به العباد ، وأزال بشرعته الجور والفساد ، وعلى آله وأصحابه ، وأوليائه وأحبابه ، صلاة لا ينقطع مددها ولا يُحصى عددها .

وبعد فإنه لما طال أمر^(٣) هذا البلاء المبين ، وحلَّ فيه بالخلق أنواع العذاب المهيّن ، ظن كثير من الناس أن هذه المحن لم يكن فيما مضى مثلها ولا مرّ فى زمن شبهها . وتجاوزوا الحد فقالوا لا يمكن زوالها ولا يكون أبداً عن الحق انفصالها ، وذلك أنهم قوم لا يفقهون ، وبأسباب

١ - أملى لهم : أى أملئ الله لهم أمهلهم وطوّل لهم . مختار الصحاح لمحمد بن أبى بكر الرازى (ملى) .

٢ - لجأ المقرئ إلى الاقتباس من ألفاظ القرآن ومعانيه ، وزين أسلوبه وحسنه بذلك كما فى الآيات الآتية : قال تعالى : " فنزّينى ومن يكذب بهذا الحديث سنستدرجهم من حيث لا يعلمون ، وأملئ لهم إن كيدى متين " سورة القلم الآيتان (٤٤ - ٤٥) ؛ وقال تعالى : " ... فنذر الذين لا يرجون لقاءنا فى طغيانهم يعمهون " سورة يونس الآية (١١) ؛ وقال تعالى : " ... حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فإذا هم مبلسون " سورة الأنعام آية (٤٤) ؛ وقال تعالى : " إنهم كانوا إذا قيل لهم لا إله إلا الله يستكبرون " سورة الصافات آية (٣٥) .

٣ - فى نسخة (ب) : أمَدٌ ، وما أثبتته من نسخة «أ» الأصل ، ونسخة «ج» .

الحوادث جاهلون ، ومع العوائد واقفون ، ومن روح الله آيسون . ومن تأمل هذا الحادث من بدايته إلى نهايته ، وعرفه^(١) من أوله إلى غايته ، علم أن ما بالناس سوى سوء تدبير الزعماء والحكام [ص / ٣] وغفلتهم عن النظر في مصالح العباد ، إلا أنه كما مر من الفلوات^(٢) ، وانقضى من السنوات^(٣) المهلكات . إلا أن ذلك يحتاج إلى إيضاح وبيان ، ويقتضى إلى شرح وتبيان . فعزمت على ذكر الأسباب التي نشأ منها هذا الأمر الفظيع ، وكيف تمادى بالبلاء والعباد هذا المصاب الشنيع ، وأختم القول بذكر ما يزيل هذا الداء ويرفع البلاء . مع الإلماع بطرف من أعمار هذا الزمن ، وإيراد نيد مما غبر عن الغلاء والمحن ، راجياً من الله سبحانه أن يوفق من أسند إليه أمور عبادته ، وملكه مقاليد أرضه وبلاده ، إلى ما فيه سداد الأمور ، وصلاح الجمهور ، إذ [الأمور]^(٤) كلها - [قلها]^(٥) وجلها - إذا عزفت أسبابها سهّل على الخبير صلاحها . وبالله المستعان على كل ما عزّ وهان ، [وهو يقول الحق ويهدى إلى سواء السبيل]^(٦).

-
- ١ - ما أثبتته من نسختي « ب » و « ج » ، أما نسخة « أ » فكان نصّها : " وعرف أوله غايته " . وهو كلام ناقص غير مفهوم .
 - ٢ - الفلوات : مفردا الغلاء والغالي ، والغلاء تقيض الرخص . انظر لسان العرب لابن منظور " غلا " .
 - ٣ - في نسخة « أ » السنون . وهو خطأ نحويّ ، ولعله تحريف من الناسخ وما تم إثباته من نسختي « ب » ، « ج » .
 - ٤ - ما بين المعقوفتين زيادة يقتضيها السياق من نسختي « ب » و « ج » .
 - ٥ - ما بين المعقوفتين زيادة من نسخة « ب » و « ج » وهى : " إذ الأمور قلها وجلها " .
 - ٦ - ما بين المعقوفتين زيادة من نسخة « ج » ، وهو غير موجود في نسختي « أ » و « ب » .

مقدمة حكيمية تشتمل على قاعدة كلية

اعلم ، أيُّدك الله بروح منه ، ووفقك إلى الفهم عنه ، أنه لم تول الأمور السَّالفة كلها كانت أصعب على من شاهدها ، كانت أطرف عند [من] ^(١) سمعها . وكذلك لا تزال الحال المستقبلية تُتصوَّر في الوهم خيراً من الحالة الحاضرة ، لأنَّ مَلالة الحالة الحاضرة تزيّن في الوهم الحالة المستقبلية . فلذلك لا يزال الحاضر أبداً منقوصاً حقه ، مجحوداً قدره ، لأنَّ القليل من شرِّه يُرى كثيراً ، إذ القليل من المشاهدة أرسخ من الكثير من الخبر ، وإذا مقاساة السير من الشدة أشق على النفس من تذكُّر الكثير مما سلف منها . مثال ذلك شخص أرقته البراغيث ليلة ، فتذكر بذلك ليالي ماضية أرقته فيها حرارة الحمى ؛ فغير ذى شك أن توهّم تلك الحمى ، وتذكُّر تلك الأيام الماضية ، أخفَّ عليه من ديبب البراغيث على جسمه في وقته ذلك . ولا جرم أن هذا الحال ، وإن كان هكذا موقعه في ^(٢) الوقت الحاضر من الحس ، فليس كذلك حكمه في الحقيقة ، لأنه لا يقدر أحد أن يثبت القول بأن ديبب البراغيث على الجسم وقرصها أنكى من حرارة الحمى ، وأن السَّهر في حال الصحة أشد من السَّهر على [ص / ٤] أسباب المنية .

ولما كانت الحالتان هكذا في التمثيل ، وجب علينا أن نسلّم للقائلين الذين ضاقوا ذرعاً بحوادث زمنهم على ما زعموه من أن هذه الحوادث صعبة عليهم ، ولا نسلّم [لهم] ^(٣) ما جاوزوا به الحد ^(٤) ، من [ادعائهم أنها في المقارنة والقياس أصعب من التي مضت ، مثاله] ^(٥) لو أن رجلاً قام من فراشه ، وهو بمصر في أيام الشتاء سحرًا ، وبرز ^(٦) إلى رحاب داره ، فرأى الأمطار نازلة ، والأرض بالماء قد امتلأت ، فقال هذا يوم شديد البرد ، لكان ذلك من قوله غير مردود ولا مُنكر ، لأنه قال بما وجد في نفسه ، وبما جرت عادة الناس أن يقولوه ،

١ - ما بين المعرفتين زيادة من نسخة « ب » ونسخة « ج » .

٢ - في نسخة « أ » و « ج » " من " ، وما أثبتته من نسخة « ب » وهو ما يتناسب مع السياق ويتفق مع اللغة .

٣ - ما بين المعرفتين زيادة من نسخة « ب » ونسخة « ج » .

٤ - في نسخة « أ » " الحق " ، وما أثبتته من نسخة « ب » ، ونسخة « ج » .

٥ - ما بين المعرفتين زيادة من نسخة « ب » ونسخة « ج » ، وهذه الزيادة ليست موجودة بنسخة « أ » .

٦ - في نسخة « أ » و « ج » " م " ، وما أثبتته من نسخة « ب » .

فإن عجز عن احتمال ما وصل إلى جسمه من البرد ، ورجع إلى فراشه فالتحف ، وقال هذا اليوم برده أشد من البرد الواقع ببلاد الروم والترك ، لم تجزُ هذه المقالة ، وعُدَّ قائلها فى الضعف واللين والغرارة^(١) بمنزلة بُنَيَات الخُدُور^(٢) ، وريات الحَجُول^(٣) . بل نخرجه عن لحافه^(٤) ، ونزله الأطفال وكيف يمرون فى تلك المياه ويلعبون بها ، فيعلم إذا رأى ذلك أن الذى أطنب فيه من الشكاية لزمانه ليس لإفراط شدة الزمان ، لكنه لضعف صبره وقلة احتماله .

وسأذكر ، إن شاء الله تعالى ، من الغلوات الماضية ما يتضح به أنها كانت أشد وأصعب من هذه المحن التى^(٥) نزلت بالناس فى هذا الزمان بأضعاف مضاعفة ، وإن كانت هذه المحنة مشاهدة ، وتلك خبراً .

واعلم أن المسموع الماضى لا يكون أبداً موقعه من القلب موقع الموجود الحاضر فى شىء من الأشياء ، وإن كان الماضى كبيراً والحاضر صغيراً ، لأن القليل من المشاهدة أكثر من الكثير بالسماع . والله يؤتى الحكمة من يشاء ، ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيراً كثيراً ، وما يذكر إلا أولو الأبواب ، [والله يقول الحق وهو يهدى السبيل]^(٦) .

١ - الغرارة : بفتح الغين - الفعلة . لسان العرب لابن منظور " غرر " .

٢ - بُنَيَات : مفرداها " بُنْيَة " وهى تصغير لكلمة « ابنة » فجاءت كلمة " بُنَيَات " جمع لكلمة " بُنْيَة " ، وكلمة " الخُدُور " جمع مفرداها " الخِدرُ " . وهو السُّرَّ الذى يُعدُّ للجارية فى ناحية البيت ، لسان العرب لابن منظور " خدر " .

٣ - الحَجُول : جمع مفرداها " الحَجْل " وهو القيد ، فالمتصور هريّات الحَجُول أى صاحبات القيود ، أى التى تمشى فى القيد ببطء شديد ، انظر لسان العرب لابن منظور " حجل " .

٤ - فى نسخة « أ » : " بل يخرج من لحافه وزينه بالأطفال ... " وما أثبتته من نسخة « ب » وما يتفق مع السياق .

٥ - فى نسخة « أ » " الذى " وما أثبتته من نسختى « ب » و « ج » وهو الصحيح .

٦ - ما بين المعقوفتين زيادة من نسخة « ج » ، وهو غير موجود بنسختى « أ » و « ب » . وانظر سورة الأحزاب الآية (٤) .

الفصل الأول

فى إيراد ما حل بمصر من الغلات

وهكايات يسيرة من أنباء تلك السنوات

اعلم [حاط]^(١) الله نعمتك وتولى عصمتك ، أن الغلاء والرخاء مازالا يتعاقبان فى عالم الكون والفساد ، منذ [ص / ٥] برأ الله الخليفة فى سائر الأقطار وجميع البلدان والأمصار ، وقد دون نقلة الأخبار ذلك ، وسطوا خبره فى كتب التاريخ ، وعزى إن شاء الله تعالى ، أن أفرد كتاباً يتضمن ما حل بهذا النوع الإنسانى من المحن والكوارث المجيحة^(٢) ، منذ آدم عليه السلام ، وإلى هذا الزمن الحاضر ، فإننى لم أر لأحد فى ذلك شيئاً مفرداً^(٣) . وأذكرُ هنا جليل ما حل بمصر خاصة من الغلاء فقط ، على سبيل الاختصار ، والإضراب عن التطويل والإكثار^(٤) ، فأقول وبالله أستعين فهو المعين :

" غلاء فى زمن أفروس بن مناوش " ^(٥)

قد ذكر الأستاذ إبراهيم بن وصيف شاه فى كتاب " أخبار مصر " ^(٦) لما قبل الإسلام - وهو كتاب جليل الفائدة رفيع القدر - أن أول غلاء وقع بمصر كان فى زمن الملك السابع عشر من

١ - ما بين المعرفتين أثبتته من نسخة « ج » وهو غير موجود فى نسختى « أ » و « ب » . و " حاط الله نعمتك " : أى حفظها وتمهدها . لسان العرب لابن منظور " حوط " .

٢ - المجيحة : المهلكة ، وجاح : بمعنى أهلك ، جاح الله ماله : أهلكه بالجانحة ، والجانحة : المصيبة العظمى . لسان العرب لابن منظور " جوح " .

٣ - فى نسخة « أ » " مفرداً " ، وما أثبتته من نسخة « ب » وهو الأفضل .

٤ - فى نسخة « أ » " الإكرار " ، وما أثبتته من نسخة « ب » ونسخة « ج » .

٥ - انظر الحديث عنه فى صبح الأعشى للقلقشندي ٣ / ٤٠٨ ، ٤٠٩ .

٦ - يوجد فى هامش الصفحة بنسخة « أ » مقابل هذا الاسم بنفس خط المتن ما نصه : " لإبراهيم بن وصيف شاه كتاب جليل كثير الفوائد فى أخبار مصر " . ولعل المقصود بهذا الكتاب المذكور هو كتاب " جواهر البحور ووقائع الأمور وعجائب الدهور " وقد ظهر هذا الكتاب إلى النور مطبوعاً ومحققاً ، وقد نشرته مكتبة الدار الشافعية للنشر فى عام ٢٠٠٤ م ، انظر شيئاً من ترجمته فى معجم المؤلفين لعمر كحالة

ملوك مصر قبل الطوفان ، [واسمه أفروس بن مناوش الذى كان طوفان]^(١) نوح عليه الصلاة والسلام فى زمنه ، على قول^(٢) ابن هرجيب بن شهلوف^(٣) . وكان سبب الغلاء ارتفاع الأمطار ، وقلة ماء النيل ، فعقمت أرحام^(٤) البهائم ، ووقع الموت فيها لما أراد الله سبحانه وتعالى من هلاك العالم بالطوفان .

« غلاء فى زمن فرعان بن مسور »

ثم وقع فى زمن فرعان بن مسور^(٥) ، وهو التاسع عشر من ملوك مصر قبل الطوفان . وسببه أن الظلم والهرج^(٦) كثيرا حتى لم ينكرهما أحد ، فأجذبت الأرض ، وفستدت الزروع ، وجاء بعقب ذلك الطوفان ، قهلك الملك فرعان وهو سكران . وهو أول من يسمى [باسم]^(٧) فرعان^(٨) .

١ - ما بين المعقوفتين زيادة من نسخة « ب » ونسخة « ج » وقد عُرف عن أفروس بن مناوش أنه كان عالما فاضلا فى علم السحر والطلسمات عادة فى حق الرعية ، حسن السيرة ، وكان له أعاجيب فى كل فن ، قيل : إنه بنى قبة على شاطئ النيل من نحاس أصفر ، طولها خمسون ذراعاً وعرضها مثل ذلك ، وجعل حولها أطياراً من ذهب وقضه إذا دخل الريح فى جوفها صُفرت بأصوات مطربة بلفات شتى ، واستمر أفروس فى الملك حتى هلك . انظر جواهر البحور ووقائع الأمور وعجائب الدهور لابن وصيف شاه ، ص ١٩ ، ٢٠ .

يقول القلقشندي : ملك أفروس بن مناوش أربعاً وستين سنة ، وفى أيامه حصل القحط العظيم ، وسلطت الوحوش والتماشيع على الناس ، وأعقمت الأرحام حتى يُقال إن الملك تزوج لثلاثمائة امرأة يبنى الولد فلم يُولد له ، وذلك مقدمة الطوفان . انظر كتاب صبح الأعشى للقلقشندي ٤٠٨/٣ .

٢ - أى أن أفروس بن مناوش بن هرجيب بن شهلوف ، وقيل : سهلوق . انظر صبح الأعشى للقلقشندي ٤٠٨/٣ .

٣ - فى نسخة « ب » : شهلوق .

٤ - عقمت الأرحام : أى لا تلد ، ومصدره : العَمَمُ والعُمَمُ بفتح العين وضمها . انظر لسان العرب لابن منظور " عقم " .

٥ - فى نسخة « ب » فرعان بن مسود . وقال القلقشندي فى صبح الأعشى ٤٠٨/٣ : وفى زمنه كان الطوفان وهلك فيمن هلك .

٦ - الهرج : أى الفتنة ، وهذا ما يتناسب مع الموقف .

٧ - فى هامش الصفة بنسخة « أ » مقابل هذه الكلمة مكتوب : " أول من يُسمى فرعان " .

٨ - ذكر القلقشندي : وهو أول من لُقّب بلقب القراعنة ، انظر صبح الأعشى ٤٠٨/٣ .

"غلاء فى زمن أتريب بن مصرم"

ثم وقع غلاء فى زمن أتريب بن مصرم^(١) ، ثالث عشر ملوك مصر بعد الطوفان . وكان سببه أن ماء النيل توقف جريه مدة [مائة]^(٢) وأربعين سنة ، فأكل الناس البيهائم حتى فئيت كلها ، وصار الملك " أتريب " ماشياً ، ثم أضعفه الجوع حتى لم يبق به حركة سوى أن يبسط كفيه ويقبضهما من الجوع . فلما اشتد الأمر عليه ، وطال احتباس النيل ، وشمل الموت أهل الإقليم ، كتب " أتريب " إلى " لاؤو"^(٣) بن سام بن نوح عليه السلام " بذلك ، فكتب " لاؤو " إلى أخيه " أرفخشذ بن سام"^(٤) فلم يجبه بشيء ، حتى بعث الله " هوداً عليه السلام " [ص/٦] ، فكتب إليه " أتريب " يلتصم منه الدعاء برفع ما نزل بأرض " مصر " . فأجابه " هود عليه السلام " : إني أدعو لكم فى يوم كذا فانتظروا فيه جرى النيل . فلما كان ذلك اليوم جمع " أتريب " من بقى بمصر من الرجال والنساء ، وهم قليل عددهم ، فدعوا الله تعالى ، وضجوا واستغاثوا إليه ، وكان ذلك عند انتصاف النهار فى يوم الجمعة . فأجرى الله سبحانه وتعالى النيل فى تلك الساعة ، إلا أنه لم يكن عندهم ما يزرعونه ، فأوحى الله سبحانه وتعالى إلى " هود عليه السلام " أن ابعث إلى " أتريب " بمصر أن يأتى لحف جيلها^(٥) ، وليحفر بكان كذا . فكتب " هود " إلى " أتريب " بعمله ، فجمع قومه وحفروا ، فإذا عقود قد عقدت بالرصاص ، وتحتها غلال كأنها وضعت حينئذ ، وهى باقية فى سنبليها لم تدرس . فمكثوا ثمانية شهور فى نقلها ، وزرعوا منها وتقوتوا نحو خمس سنين ، فأخبره أخوه

١ - تنسب إليه مدينة " أتريب " القديمة وهى على القرب من بنها العسل من أعمال الشرقية بالوجه البحرى ، وهو الذى بناها . انظر صبح الأعشى للقلقشندي ٣/٣٨١ ، ٤٠٩ ، والمواظ والاعتبار للمقريزى ٢٨٣/١ ، ٢٨٤ .

٢ - ما بين المعرفتين أثبتتها من نسخة « ب » كما يوجد بهامش الصفحة فى نسخة « أ » العبارة التالية : " علم جريان النيل أربعين سنة " .

٣ - فى نسختي « ب » و « ج » : " لاؤو " وما أثبتته من نسخة « أ » .

٤ - انظر شيئاً من ترجمة : لاؤو بن سام وأخيه أرفخشذ بن سام فى مروج الذهب للمسعودى ١/٣٧ - ٣٩ .

٥ - يوجد بهامش الصفحة فى نسخة « أ » فقط هذه العبارة ونصها : " غريبة جداً تذكر " .

"صا^(١) بن مصرم^(٢) " أن أولاد قابيل بن آدم عليه السلام لما انتشروا فى الأرض وملكوها ، علموا أن حادثة ستحدث فى الأرض ، فبنوا هذا البناء ، ووضعوا فيه هذه الغلال ، فزرعت مصر وأخصبت حتى بيع كل أردب بدانق^(٣) ، ودام الرخاء مدة مائتى سنة .

غلاء فى زمن نهرأوس ... وقيل اسمه

الريان بن الوليد بن درمع العمليقي

ثم وقع الغلاء فى زمن الملك الثانى والثلاثين من ملوك مصر بعد الطوفان . وهو الثانى من ملوك العمالقة ، والثالث من الفراعنة فى قول مؤرخى القبط . واختلف فى اسم الملك ، فقيل أن اسمه نهرأوس ، وقيل : بل اسمه الريان بن الوليد بن درمع العمليقي^(٤) ، وهذا الغلاء دبر أمر البلاد فيه يوسف عليه السلام . وقد ذكره الله سبحانه وتعالى فى القرآن العظيم ، وتضمنته التوراة ، واشتهر ذكره فى كتب الأمم الماضية والحالية ، فأغنى عن ذكره .

- فى نسخة «أ» : صابر بن مصرم ، ولعله تحريف من الناسخ وما أثبت من نسخة «ب» وقد ذكره القلقشندي "صا" ضمن الملوك الذين ملكوا البلاد بعد الطوفان . انظر صبح الأعشى ٤٠٩/٣ ، وذكر المقرئى : أنه " صار" الذى تنسب إليه مدينة " صا " شرقى الفرقة الغربية من النيل وبها الآثار العظيمة . انظر المواعظ والاعتبار ٢٩٤/١ .

- قال القلقشندي : صا بن قبطيم بن مصر بن بيسر بن حام بن نوح عليه السلام ، أحد ملوك مصر بعد الطوفان ، وهو الذى بنى مدينة «صا» بالبر الغربى من النيل . صبح الأعشى ٣٨٥/٣ .

- الدائق : لفظ قديم فى اللغة الفارسية القديمة ، واللغة الإرمينية أيضاً وقد أبقي عليه العرب فى الجاهلية واستعملوه للدلالة على وزن معين ، وفى النقد أيضاً ، وقد استعمل فى العصر الإسلامى كوحدة نقدية قيمتها تساوى سدس الدرهم والدرهم فى حينه وحدة من الفضة قيمته تساوى ١٠,٧ من الدينار الإسلامى العربى الذى يزن ٤,٢٥ جرام ذهب . انظر فى ذلك : القاموس الإسلامى لأحمد عطية الله ، مكتبة النهضة المصرية - القاهرة ١٩٦٣ ، ٣٣٢/٢ . وانظر معجم المصطلحات والألفاظ التاريخية لمصطفى عبدالكريم الخطيب - مؤسسة الرسالة - بيروت ١٩٩٦ م ، ص ١٧٥ .

- قال القلقشندي : ثم ملكها " الريان بن الوليد بن درمع ، والقبط تسمية «نهرأوس» وهو الفرعون الثالث عند القبط ، ونزل مدينة عين شمس ، وكانت الملوك قبله تنزل مدينة منف ، وفى أيامه وصل سيدنا يوسف عليه السلام إلى مصر . انظر صبح الأعشى ٤١١/٣ .

"غلاء عند مبعث موسى عليه السلام إلى فرعون"

ثم وقع غلاء وجذب^(١) هلكت فيه الزروع والأشجار ، وفقدت فيه الحبوب^(٢) والثمار ، وعمّ الموت الحيوانات كلها ، وذلك عند مبعث موسى عليه الصلاة والسلام إلى فرعون . وخبر هذا الغلاء مشهور فى كتب الإسرائيليين وغيرهم ، وكفى إشارة إليه ، ودلالة عليه ، قوله سبحانه وتعالى [ص / ٧] : { وَدَمَرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ }^(٣) ، وقوله { وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذْكُرُونَ }^(٤) .

ثم وقع بالأرض ، قبل مبعث النبى ﷺ ، أنواع من البلاء والمحن^(٥) عمت المعصورة من الأرض ، وخص مصر منها كثير من الغلاء ، ذكرناه فى موضعه .

"غلاء فى زمن إمارة عبد الله بن عبد الملك بن مروان"

ثم جاء الله سبحانه بالإسلام ، فكان أول غلاء وقع بمصر فى سنة سبع وثمانين من الهجرة . والأمير يومئذ بمصر عبد الله بن عبد الملك بن مروان^(٦) ، من قبل أبيه ، فتشام به الناس ، لأنه أول غلاء ، وأول شدة رآها المسلمون بمصر^(٧) .

١ - فى نسخة « أ » : " الغلا والجذب " ، وما أثبتته من نسخة « ب » وهو الأصح والذي يتفق مع السياق اللغوى .

٢ - فى نسخة « أ » : الحيوانات ، وما أثبتته من « ب » وهو المقصود لآتساقه مع لفظ " الثمار " التالى له ، وبديل ورد لفظ " الحيوانات " فى آخر الجملة .

٣ - سورة الأعراف ، آية (١٣٧) .

٤ - سورة الأعراف ، آية (١٣٠) .

٥ - فى « أ » من أنواع البلاد والمحن عمت المعمور ... ، وما أثبتته من نسخة « ب » وهو الأصح .

٦ - وهو أول من أمر بالدواوين فتسخت بالعربية ، وكانت قبل ذلك تكتب بالقبطية . انظر ولاية مصر لمحمد بن يوسف الكندى ، تحقيق حسين نصار ، طبعة الهيئة العامة لقصور الثقافة ٢٠٠١ ، ص ٨٠ .

٧ - قال محمد بن يوسف الكندى : وفى ولايته غلت الأسعار بمصر وترعت فتشام به المصريون ، وهى أول شدة رآوها . انظر ولاية مصر ص ٨٠ ؛ وفى زمن ولاية مصر فى عهد الدولة العباسية فى ولاية يزيد بن حاتم المهلبى الذى ولى الديار المصرية سنة ١٤٤ هـ للخليفة أبى جعفر المنصور ، فى سنة ١٤٧ هـ حصل فى أيامه غلاء عظيم بسبب عدم زيادة النيل وشرقت الأرضى وانتهت زيادة النيل إلى ستة عشر ذراعاً . انظر جواهر البحور ووقائع الدهور لابن وصيف شاه ، ص ٤٩ .

" غلاء فى زمن إمارة أوتوجور بن الإخشيد "

ثم وقع غلاء فى الدولة^(١) الإخشيدية^(٢) فى محرم سنة ثمان وثلاثين وثلاثمائة ، والأمير يومئذ أبو القاسم وأوتوجور بن الإخشيد^(٣) ، فثارت^(٤) الرعية ، ومنعوه من صلاة العتمة^(٥) فى الجامع العتيق^(٦) .

ثم وقع غلاء فى سنة إحدى وأربعين وثلاثمائة^(٧) ، فكثر الفار فى أعمال مصر ، وأتلف الغلات والكروم وغيرها . ثم قصر [مد] النيل ، فترع^(٨) السعر فى شهر رمضان . وفى سنة ثلاث وأربعين وثلاثمائة ، عظم الغلاء ، حتى بيع القمح كل وبتين^(٩) ونصف بدينار ، ثم طلب فلم يوجد ، وثارت الرعية وكسروا منبر الجامع بمصر .

١ - فى نسخة « أ » : " ثم وقع الغلاء فى دولة الإخشيد " ، وما أثبتته من نسخة « ب » وهو أكثر انسجاماً مع المتن .

٢ - تنسب الدولة الإخشيدية إلى الإخشيد وهو اللقب الذى منحه الخليفة العباسى الراضى بالله لمحمد بن طفج فى سنة ٣٢٦ هـ وقبل فى سنة ٣٢٧ هـ . انظر مصر فى عصر الإخشيديين لسيدة إسماعيل كاشف ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، طبعة ١٩٨٩م ، ص ٥٥ .

٣ - فى نسخة « أ » كافور ، وهو خطأ ، والذى أثبتته من نسخة « ب » وهو الصحيح ، لأنه من المعروف أن حكم " أوتوجور " امتد من ٣٣٤ إلى ٣٤٩ هـ ، وأما حكم كافور فقد بدأ سنة ٣٥٥ هـ . انظر ولاية مصر للكندى ص ٣١١ ، ٣١٤ .

٤ - فى نسخة « أ » : " فمنعته " وما أثبتته من نسخة « ب » .

٥ - العتمة : الثلث الأول من الليل بعد غيبوبة الشفق ، أو وقت صلاة العشاء . انظر لسان العرب لابن منظور " عتم " .

٦ - الجامع العتيق هو جامع عمرو بن العاص

٧ - فى نسخة « أ » : " وفى سنة ٣٤١ هـ إحدى وأربعين وثلاثمائة كثر الفار وما أثبتته من نسخة « ب » .

٨ - نزع السعر : أى ارتفع السعر .

٩ - الوبة : مكبال للجرب ، سعته سدس الأردب ، وقيل : من المكاييل ، قدره : أربعة وعشرون مداً ، انظر معجم الألفاظ التاريخية لمحمد أحمد دهمان ، طبعة دار الفكر - دمشق ١٩٩٠م ، ص ١٥٦ .

« غلاء فى زمن إمارة على بن الإخشيد »

[ثم وقع الغلاء فى الدولة الإخشيدية أيضاً ، واستمر تسع سنين متتابة . وابتدأ فى سنة اثنتين وخمسين وثلاثمائة . والأمير إذ ذاك على بن الإخشيد ^(١) ، وتدبير الأمور إلى الأستاذ أبى المسك كافور الإخشيدى ^(٢) . وكان سبب الغلاء أن ماء النيل انتهت زيادته إلى خمسة عشر ذراعاً وأربعة أصابع ، فترج السعر بعد رخص ، فما كان بدينار واحد صار بثلاثة دنانير ، وعز الخبز فلم يوجد ، وزاد الغلاء حتى بلغ القمح كل وبنتين بدينار . وقصر مد النيل فى سنة ثلاث وخمسين ، فلم يبلغ سوى خمسة عشر ذراعاً [وأربعة] ^(٣) أصابع ، واضطرب فزاد مرة ونقص أخرى حتى صار [فى النصف] ^(٤) من [شهر] ^(٥) بابه إلى قريب من ثلاثة عشر ذراعاً . ثم زاد قليلاً وانحط سريعاً ، فعظم البلاء ، وانتقضت الأعمال لكثرة الفتن ، ونهبت الضياع والفلات وماج الناس فى مصر بسبب السَّعر ، فدخلوا الجامع العتيق بالفسطاط فى يوم جمعة ، وازدحموا عند المحراب ، فمات رجل وامرأة فى الزحام ، ولم تُصلِّ الجمعة يومئذ ، وقادى الغلاء إلى سنة أربع وخمسين ^(٦) ، وكان مبلغ الزيادة أربعة عشر ذراعاً وأصابع ، [وفى سنة أربع وخمسين نفسها كان مبلغ الزيادة ستة عشر ذراعاً وأصابع] ^(٧) . وفى سنة خمس وخمسين كان مبلغ الزيادة أربعة عشر ذراعاً وأصابع ^(٨) . [ص / ٨] وقصر مدّه وقتل

- ١ - تولى هذا الأمير الحكم فى مصر سنة ٣٤٩ - ٣٥٥ هـ ، بعد أخيه أوتوجور ، انظر النجوم الزاهرة لابن تغرى بردى ٣/ ٣٢٥ .
- ٢ - ما بين المعقوفتين وارد فى نسخة « ب » و « ج » وساقط من نسخة « أ » .
- ٣ - ما بين المعقوفتين زيادة يقتضيها السياق من كتاب النجوم الزاهرة لابن تغرى بردى طبعة القاهرة ١٩٣٢م ، ٣ / ٣٣٩ .
- ٤ - ما بين المعقوفتين أثبتته من نسخة « ب » دون غيرها .
- ٥ - ما بين المعقوفتين أثبتته من نسخة « ب » .
- ٦ - قال ابن تغرى بردى : وفى سنة ٣٤٥ هـ كان يبلغ الزيادة فى أمر النيل ستة عشر ذراعاً وخمسة عشر إصبعاً ، انظر النجوم الزاهرة ٣/ ٣٤٣ .
- ٧ - ما بين المعقوفتين أثبتته من نسخة « أ » دون غيرها . قال ابن تغرى بردى فى النجوم الزاهرة ٣/ ٣٤٣ : « وخمسة عشر إصبعاً » .
- ٨ - قال ابن تغرى بردى : ومبلغ الزيادة أربعة عشر إصبعاً . النجوم الزاهرة ٤/ ١٣ .

جريته . وفى سنة ست وخمسين لم يبلغ النيل سوى اثنى عشر ذراعاً وأصابع^(١) ، ولم يقع مثل ذلك فى الدولة الإسلامية ، وكان على إمارة مصر حينئذ الأستاذ كافور الأخشيدى^(٢) ، فعظم الأمر من شدة الغلاء .

ثم مات كافور ، فكثر الاضطراب وتعددت الفتن . وكانت حروب كثيرة بين الجند والأمراء قُتل فيها خلق كثير ، وانتهبت أسواق البلد ، وأحرقت مواضع عديدة ، فاشتد خوف الناس ، وضاعت أموالهم ، وتغيرت نياتهم ، وارتفع السعر ، وتعذر وجود الأقوات حتى بيع القمح كل وبة بدينار ، واختلف العسكر ، فلحق الكثير منهم بالحسن بن عبد الله بن طغج^(٣) وهو يومئذ بالرملة^(٤) . وكاتب الكثير منهم المعز لدين الله الفاطمى^(٥) . وعظم الإرجاف بمسير القرامطة إلى مصر . وتوترت الأخبار بمجيء عساكر المعز من المغرب وإلى أن دخلت سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة . ودخل القائد جوهر^(٦) بعساكر الإمام المعز لدين الله^(٧) ، وبنى القاهرة

١ - قال ابن وصيف شاه : وقع غلاء عظيم بسبب توقف البحر ، فإنه لم يبلغ فى زيادته غير اثنى عشر ذراعاً وتسعة عشر إصباعاً ، ثم إنه هبط فشرقت الأرض ، ووقع غلاء بسبب ذلك . انظر جواهر البحور ص ٦٨ .

٢ - هو أبو المسك كافور الحبشى الأسود الخادم الإخشيدى صاحب الديار المصرية اشتراه الإخشيد وتقدم عنده حتى صار من أكبر قواده لعقله ورأيه وشجاعته ، وقد توفى سنة ٣٥٦ هـ ، انظر شذرات الذهب لابن العماد ٣ / ٢١ ، ٢٢ .

٣ - يوجد بهامش الصفحة فى نسخة « أ » مقابل هذا الاسم العبارة التالية : " طغج بضم الطاء المهملة والفين المعجمة وبعدهما جيم " .

٤ - الرملة : مدينة عظيمة بفلسطين ، وكانت رباطاً للمسلمين ، انظر معجم البلدان لياقوت الحموى ٦٩/٣ .

٥ - قال المقرئى : ولما مات كافور نزلت محن شديدة كثيرة بمصر من الغلاء والفناء والفتن ، فانتزع خراجها إلى أن قدم جوهر القائد من بلاد المغرب بعساكر مولاه المعز لدين الله الفاطمى . انظر المواعظ والاعتبار ٩٩/١ طبعة مكتبة الثقافة الدينية . القاهرة .

٦ - هو جوهر بن عبد الله الرومى ، الذى بنى مدينة القاهرة والجامع الأزهر ، وكان كثير الإحسان ، شجاعاً ، توفى سنة ٣٨١ هـ ، ولم يبق بمصر شاعر إلا رثاه ، وكان بناؤه للقاهرة فى سنة ٣٥٨ هـ ، وقرغ من بناء جامع الأزهر الشريف سنة ٣٦١ هـ . انظر ترجمته فى : وفيات الأعيان لابن خلكان ١١٨/١ ، والنجوم الزاهرة لابن تغرى بردى ٢٨/٤ ، وشذرات الذهب لابن العماد الحنبلى ٩٨/٣ .

٧ - هو معد (المعز لدين الله) بن إسماعيل المنصور بن القائم بن المهدي عبيد الله الفاطمى صاحب مصر وإفريقية ، أحد الخلفاء فى هذه الدولة ولد بالمهدية فى المغرب سنة ٣١٩ هـ ويومع بالخلافة سنة ٣٤١ هـ . انظر ترجمته فى وفيات الأعيان لابن خلكان ١٠١/٢ ، وشذرات الذهب لابن العماد ٥٢/٣ .

المعزية ، وكان مما نظر فيه أمر الأسعار ، فحضر جماعة من الطحانين وطيف بهم ، وجمع سماسرة الغلات بمكان واحد ، وتقدم لأتباع الغلات إلا هناك فقط ، ولم يجعل لمكان البيع غير طريق واحدة . فكان^(١) لا يخرج قمح إلا ويقف عليه سليمان بن عزة المحتسب ، واستمر الغلاء إلى سنة ستين ، فاشتد فيها الوباء ، وفشت الأمراض ، وكثر الموت حتى عجز الناس عن تكفين الأموات ودفنتهم ، فكان من مات يطرح في النيل ، فلما دخلت سنة إحدى وستين انحل السعر فيها ، وأخصبت الأرض ، وحصل الرخاء .

" غلاء في زمن الحاكم بأمر الله "

ثم وقع الغلاء في أيام الحاكم بأمر الله^(٢) ، وتدبير [أبي محمد]^(٣) الحسن بن عمار^(٤) ، وذلك في سنة سبع وثمانين وثلاثمائة . وكان سببه قصور النيل . فإن الزيادة بلغت ستة عشر ذراعاً وأصابع ، فنزع السعر ، وطلب القمح فلم يقدر عليه . واشتد خوف الناس ، وأخذت النساء من الطرق ، وعظم الأمر ، وانتهى سعر الخبز إلى أربعة أرتال^(٥) بدرهم . ومشت الأحوال بانحطاط السعر بعد ذلك .

فلما كانت سنة خمس وتسعين [ص / ٩] وثلاثمائة ، توقف النيل حتى كسر الخليج في آخر مسرى ، والماء على خمسة عشر ذراعاً وسبعة أصابع ، وانتهت الزيادة في ستة عشر

١ - في نسخة « أ » : يمكن ، وما أثبتته من نسخة « ب » .

٢ - هو الحاكم بأمر الله الفاطمي أبو علي منصور بن العزيز بالله ت ٤١٠ هـ ، انظر اتعاظ الخنفا للمقريزي ٣/٢ .

٣ - ما بين المعرفتين زيادة من نسخة « ب » .

٤ - الحسن بن عمار هو أحد الوصيين الذين عينهم الخليفة العزيز ، وهو على فراش الموت ، من أجل العناية بولده وخليفته الحاكم بأمر الله ، وقد أخذ الحسن بن عمار لقب أمين الدولة ، قال ابن تغري بردي : استدعى الخليفة العزيز أبا محمد الحسن بن عمار الكتامي الملقب بأمين الدولة ثم خاطبه في أمر ولده الملقب بالحاكم ، ثم استدعى ولده المذكور وخاطبه أيضاً بذلك . انظر النجوم الزاهرة لابن تغري بردي ١٢٢/٤ .

٥ - الرطل : معيار يوزن به ، يختلف وزنه باختلاف البلاد ، فهو في مصر اثنتا عشرة أوقية ، وفي بعض بلاد الشام خمسة عشر أوقية . انظر معجم المصطلحات والألقاب التاريخية لمصطفى عبد الكريم الخطيب ، ص ٢١٠ .

ذراعاً وأصابع ، فارتفعت الأسعار ، ووقفت الأحوال فى الصرف. فإن الدراهم المعاملة^(١) كانت تسمى يومئذ بالدراهم المزايذة^(٢) والقطع . فتعنت الناس فيها ، وكان صرف الدينار بستة وعشرين درهماً منها^(٣) . فتزايد سعر الدينار [إلى أن كان فى سنة سبع وتسعين كل أربعة وثلاثين درهماً^(٤) بدينار]^(٥) ، وارتفع السعر ، وزاد اضطراب الناس ، وكثر غنتهم فى الصرف ، وتوقفت الأحوال من أجل ذلك . فتقدم الأمر بانزال عشرين صندوقاً من بيت المال^(٦) ملوذة دراهم فُرقت فى الصيارف ، ونودى فى الناس بال منع من المعاملة بالدراهم القطع والمزايذة ، وأن يحملوا ما بأيديهم منها إلى دار الضرب^(٧) ، وأجلّوا ثلاثاً . فشق ذلك على

١ - المقصود بالدراهم المعاملة هنا ما كان منها مضروباً حسب قوانين الدولة ، القائمة ، متداولاً بين الناس بقيته الرسمية . انظر صبح الأعشى للنفثندى ٤٣٩/٣ .

٢ - فى نسخة « أ » : الزايذة ، وما أثبتته من نسخة « ب » ونسخة « ج » .

٣ - الدينار : لفظ معرّب عن اليونانية : ديناروس ، والدينار عملة ذهبية إسلامية سكّت فى عهد الخليفة الأموى عبد الملك بن مروان سنة ٨٦هـ تحت اسم الدينار العربى الإسلامى ، ليحل محل العملات البيزنطية والفارسية التى كانت تتعامل بها الدولة ، وذلك ضمن سياسة التعريب التى من ضمنها تعريب الجهاز المالى ، كان وزنه ٤,٢٥ جرام من الذهب . انظر القاموس الإسلامى لأحمد عطية الله ٢٤٤/٢ .
وانظر معجم المصطلحات والألقاب التاريخية لمصطفى عبد الكريم الخطيب ص ١٨٩ ، ١٩٠ .

٤ - أما الدرهم : فهو نوع من أنواع العملات المعدنية التى تداولها العرب المسلمون منذ بداية العصر الإسلامى ، وهو مصكوك من الفضة والنحاس ، يعود أقدمها إلى الخليفة عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، وكان وزنه ٢,٩٧ جرام . انظر القاموس الإسلامى لأحمد عطية الله ٣٦٤/٢ ، ومعجم المصطلحات والألقاب التاريخية لمصطفى عبد الكريم الخطيب ، ص ١٧٩ .

٥ - ما بين المعقوفين ساقط من « أ » وما أثبتته من نسختي « ب » و « ج » .

٦ - كان مقر بيت المال فى مصر منذ الفتح الإسلامى بالجامع العتيق ، وينسب بناؤه إلى أسامة بن زيد التنوخى ، وهو صاحب الخراج فى ولاية عبد الملك بن رفاعة على مصر (٩٣ - ٩٨ هـ) ، انظر المواظ والاعتبار للمقريزى ٢٤٩/٢ .

٧ - بنيت دار الضرب بالقاهرة فى زمن الخليفة الأمر الفاطمى بجهة القشاشين قرب الجامع الأزهر ، وقد تولى بناءها الوزير المأمون بن البطاطى ، وسميت بالدار الأمرية . انظر وصف هذه الدار وغيرها من دور الضرب بالإسكندرية وقوص وصور وعسقلان فى صبح الأعشى للنفثندى ٣٦٥/٣ ، ٤٦١/٤ ، وفى المواظ والاعتبار للمقريزى ٤٠٦/١ ، ٤٤٥ .

الناس لإتلاف أموالهم ، فإنه كان يدفع فى الدرهم الواحد من الدراهم الجدد^(١) أربعة دراهم من الدراهم النقطع والمزايمة^(٢) . وأمر أن يكون الخبز ، كل اثنى عشر رطلاً بدرهم من الدراهم الجدد ، وأن يصرف الدينار بشمانية عشر درهماً [منها]^(٣) . وضرب عدة من الطحانين والخبازين بالسياط^(٤) . وشهروا من أجل ازدحام الناس على الخبز ، فكان لا يباع إلا مبلولاً ، وقصر مد النيل حتى انتهت الزيادة إلى ثلاثة عشر ذراعاً وأصابع ، فارتفعت الأسعار . وبرزت الأوامر لمسعود الصقلبي ، متولى الستر ، بالنظر فى أمر الأسعار ، فجمع خزان الغلال والطحانين والخبازين . وقبض على ما بالساحل من الغلال ، وأمر أن لا تباع [إلا]^(٥) للطحانين ، وسعر القمح كل تليس^(٦) بدينار إلا قيراط ، والشعير عشر وبيات بدينار ، والخطب عشر حملات بدينار ، وسعر سائر الحبوب والمبيعات ، وضرب جماعة بالسياط وشهروهم ، فسكن الناس بوجود الخبز ، ثم كثر ازدحامهم عليه ، وتعذر وجوده فى العشاي^(٧) . فأمر أن لا يباع القمح إلا للطحانين ، وشدد فى ذلك ، وكبست عدة حواصل ، وفُرّق ما فيها من القمح على الطحانين بالسعر ، واشتد الأمر ، فبلغ الدقيق كل حملة بدينار ونصف ، والخبز ستة أرتال بدرهم . وتوقف النيل عن الزيادة ، فاستسقى الناس مرتين ؛ وارتفع السعر ، فبلغت الحملة من الدقيق ستة دنانير . وكُسِرَ الخليج ، والماء على خمسة عشر ذراعاً فاشتد الأمر وبلغ القمح كل تليس أربعة دنانير ، والأرز كل وبة بدينار ، ولحم البقر رطل ونصف بدرهم ، ولحم الضأن رطل بدرهم ، والبصل عشرة أرتال بدرهم ، والجبن ثمانى أواق بدرهم ، وزيت الأكل ثمانى أواق بدرهم ، وزيت الوقود رطل بدرهم .

١ - الدراهم الجدد : كان هذا اللفظ يستعمل دائماً للدلالة على ما يستجد ضربه من النقود بأنواعها فى عهد من العهود ، تمييزاً لها فى الغالب من النقود العتق . انظر صبح الأعشى للقلقشندي ٤٦٣/٣ .

٢ - فى نسخة « أ » : " الزيادة " وما أثبتته من نسخة « ب » .

٣ - ما بين المعرفتتين زيادة من نسخة « ب » .

٤ - فى نسخة « أ » : السيوط . وما أثبتته من النسخ الأخرى حيث المفرد (سوط) وتجمع على : سياط وأسواط ، فقط انظر لسان العرب لابن منظور " سوط " .

٥ - ما بين المعرفتتين زيادة من « ب » .

٦ - التليس : كيس من الصوف أو الخوص ، ذو سعة معينة .

٧ - العشاي : جمع عشية ، أى آخر النهار ، لسان العرب لابن منظور " عشى " .

وبلغت زيادة النيل فى سنة ثمان وتسعين [أربعة عشر ذراعاً وأصابع فلحقت الناس من ذلك شدائد . ومادى الحال إلى سنة تسع وتسعين ^(١) . فكسر الخليج فى خامس عشر توت ، والماء فى خمسة عشر ذراعاً ، فنقص فى تاسع عشر توت وانحط . فعظم الأمر ، وكظ^(٢) الناس الجوع ، فاجتمعوا بين القصرين ، واستغاثوا بالحاكم ^(٣) فى أن ينظر لهم ، وسأله أن لا يهمل أمرهم ، فركب حماره وخرج من باب البحر ، ووقف وقال : « أنا ماض إلى جامع راشدة ^(٤) ، فأقسم بالله لئن عدت فوجدت فى الطريق موضعاً يظوه حمارى مكشوقاً من الغلة لأضربن رقبة كل من يقال لى أن عنده شيئاً منها ، ولأحرقن داره وأنهن ماله » ثم توجه وتأخر إلى آخر النهار ، فما بقى أحد من أهل مصر والقاهرة وعنده غلة حتى حملها من بيته أو منزله وشونها فى الطرقات ، وبلغت أجرة الحمار فى حمل النقلة الواحدة ديناراً ، فامتلات عيون الناس ، وشبعت نفوسهم .

وأمر الحاكم بما يحتاج إليه فى كل يوم ، ففرضه على أرباب الغلات بالنسيئة ^(٥) ، وخبرهم فى أن يبيعوا بالسعر الذى يقرره بما فيه الفائدة المحتملة لهم ، وبين أن يمتنعوا فيختم على غلاتهم ولا يكتنهم من بيع شىء منها إلى حين دخول الجديدة ، فاستجابوا لقوله ، وأطاعوا أمره ، وانحلّ السعر ، وارتفع الضرر ، ولله عاقبة الأمور .

« غلاء فى زمن الخليفة المستنصر »

ثم وقع غلاء فى خلافة المستنصر ^(٦) ، ووزارة الوزير الناصر لدين الله أبى محمد الحسن بن

١ - ما بين المعقوتين زيادة من « ب » دون غيرها من النسخ .

٢ - كظّ الناس الجوع : أى ملأهم غيظاً ، انظر لسان العرب لابن منظور " كظظ " .

٣ - فى نسخة « أ » ونسخة « ج » : للحاكم ، وما أثبتته من نسخة « ب » .

٤ - يقع هذا الجامع فى جنوبى القسطنطينية ، ويحمل اسم قبيلة راشدة التى نزلت فى هذا المكان أبان الفتح العربى الإسلامى لمصر ، وقد بناه الخليفة الحاكم بأمر الله سنة ٣٩٣ هـ ، انظر صبح الأعشى للقلقشندي ٣/ ٣٤١ ، والمراجع والاعتبار للمقريزى ٢/ ٢٨٢ .

٥ - النسيئة : التأخير والتأجيل ، يقال : ياعه بالنسيئة أى بتأخير دفع الثمن . انظر لسان العرب لابن منظور " نسي " .

٦ - فى نسخة « أ » المستعين " وليس بين الخلفاء الفاطميين من تلقب بهذا اللقب ، والصحيح ما أثبتته من نسخة « ب » ، وقد ذكره المقريزى فى اتعاظ الحنفا ٢ / ١٨٤ هو المستنصر بالله أبو تميم معد بن الظاهر أبى الحسن على بن الحاكم بأمر الله ت ٤٨٧ هـ .

على بن عبد الرحمن اليازورى^(١)، وسببه قصر النيل ، فى سنة أربع وأربعين وأربعمائة ، وليس بالمخازن السلطانية شئ من الفلات . فاشتدت المسغبة . وكان سبب خلو المخازن أن الوزير [ص / ١١] لما أضيف إليه القضاء فى وزارة أبى البركات ، كان ينزل إلى الجامع بمصر فى يومى السبت والثلاثاء من كل جمعة ، فيجلس فى الزيادة^(٢) منه للحكم ، على رسم من تقدمه^(٣) ، وإذا صلى العصر رجع إلى القاهرة .

وكان فى كل سوق من أسواق مصر ، على أبواب كل صنعة من الصنائع عريف يتولى أمرهم . والأخبار بمصر فى أزمنة المساغب^(٤) متى بردت لم يرجع منها إلى شئ لكثرة ما يُغش بها^(٥) ، وكان لعريف الخبازين دكان يبيع الخبز بها ، ومخاذيها دكان آخر لصلعوك يبيع الخبز بها أيضًا ، وسعره يومئذ أربعة أرتال بدرهم وثمان ، فرأى الصلوع أن خبزه قد كاد يبرد ، فأشفق من كساده ، فتأدى عليه أربعة أرتال بدرهم ، ليرغب الناس فيه ، فانشال الناس عليه حتى بيع كله لتسامحه ، وبقي خبز العريف كاسدًا ، فحنق العريف لذلك ، ووكّل به عونين من الحسبة أغرماء عشرة دراهم ، فلما مر قاضى القضاة أبو محمد اليازورى إلى الجامع استغاث به^(٦) ، فأحضر المحتسب وأنكر عليه ما فعل بالرجل . فذكر المحتسب أن

١ - بلغ هذا الوزير نفوذًا واسعًا وحظوة عظيمة ، حتى أن المستنصر سأله أن يقرن اسمه باسمه على السكة ، فكان ذلك لمدة شهر ، ولقب هذا الوزير بلقب الناصر للدين ، فكان ينقش على السكة :

ضريت فى دولة آل الهدى من آل طه وآل ياسين

مستنصر بالله جلّ اسمه . وعبد الناصر للدين

إنظر حسن المحاضرة للإمام السيوطى ٢/٢٠٢ . طبعة عيسى الحلبي القاهرة ١٩٦٨ .

٢ - الزيادة فى المسجد هى ما أضيف إلى البناء الأصيل من جديد ، وهذا اللفظ يستعمل فى بعض الأحيان بمعنى الباب ، وقد كان لجامع دمشق باب اسمه الزيادة .

٣ - يقول المقرئ فى اتعاظ الخنفا ٢/٢٢٤ : على رسم من تقدمه من القضاة .

٤ - أزمنة المساغب : أزمة المجاعات ، فالسغب هو الجوع ، والمسغبة أى المجاعة . انظر : لسان العرب لابن منظور « سغب » .

٥ - فى « أ » يعسى به ، وفى « ب » : يعشر به ، وفى « ج » : يغشى به .

٦ - فى نسخة « أ » : فاستغاثت ، وما أثبتته من نسختي « ب » و « ج » .

العادة جارية باستخدام عرفاء فى الأسواق على أرباب البضائع ، ويقبل قولهم فيما يذكرونه ، فحضر عريف الخبازين يسوق كذا ، واستدعى عونين من الحسبة ، [فوق الظن أنه أنكر شيئاً اقتضى ذلك] ^(١) ، فأحضر الوزير الخباز وأنكر عليه ما فعله ، وأمر بصرفه عن العرافة ، ودفع إلى الصعلوك ثلاثين ربيعاً ^(٢) من الذهب ، فكاد عقله يختلط من الفرح . ثم عاد الصعلوك إلى حانوته ، فإذا عجنته قد خبزت ، فنادى عليها خمسة أرتال بدرهم ، فمال الزبون إليه ، وخاف من سواه من الخبازين بَرَّةَ أحبازهم قباعوا كبيعته ، فنادى ستة أرتال بدرهم فأدتهم الضرورة إلى أتباعه . فلما رأى أتباعهم له قصد نكاية العريف وغيظه بما يرخص من سعر الخبز ، فأقبل يزيد رطلاً رطلاً ، والخبازون يتبعونه ^(٣) فى بيعه خوفاً من البسوار ^(٤) ، حتى بلغ النداء عشرة أرتال بدرهم . وانتشر ذلك فى البلد جميعه ، وتسامع الناس به ، فتسارعوا إليه . فلم يخرج قاضى القضاة من الجامع إلا والخبز [ص / ١٢] فى جميع البلد عشرة أرتال بدرهم . وكان يُبتاع للسلطان فى كل سنة غلة بمائة ألف دينار وتجعل متجرراً ، فلما رجع اليازورى إلى القاهرة وداره بها ، مثل بحضرة السلطان ، وعرقه ما من الله به فى يومه من أرخاص السعر ، وتوفر الناس على الدعاء له ، وأن الله - جلّت قدرته - فعل ذلك وحلّ أسعارهم بحسن نيته فى عبده ووعيته ، وإن ذلك بغير موجب ولا قاعل له ، بل بلطفه تعالى واتفاق غريب ، وأن المتجر الذى يقام بالغلة فيه مضرة على المسلمين ، ربما انحط السعر عن مشتراها فلا يمكن بيعها ، فتتغير بالمخازن وتتلف ، وأنه يقيم متجرراً لا كلفة على الناس فيه ، ويفيد أضعاف فائدة الغلة ، ولا يخشى عليه من تغير ولا انحطاط سعر ، وهو الخشب والصابون والحديد والرصاص والعسل ، وشبه ذلك ، فأمضى السلطان له ^(٥) ما رآه ، واستمر ذلك ، ودام الرخاء [مدة سنتين] ^(٦) .

١ - ما بين المعقوفتين زيادة من نسخة « ب » .

٢ - أشار المقرئ فى كتاب له " شذور العقود ص ٢٤ " إلى هذا النوع من النقد ، فقال إن الخليفة المأمون العباسى هو الذى استحدثه وسماه بذلك ، وأنه ضرب منه دراهم ودنانير .

٣ - فى نسخة « أ » : يبيعونه ، وما أثبتته من نسخة « ب » .

٤ - البوار : الهلاك ، بار فلان يبور بوراً أى هلك ، وأباره الله : أهلكه . لسان العرب لابن منظور " بور " .

٥ - فى نسخة « أ » : فأمضى له ذلك ، وما أثبتته من نسخة « ب » .

٦ - ما بين المعقوفتين زيادة من نسخة « ب » وساقط من ياقى النسخ ، وانظر اتعاظ الحنفا للمقرئ ٢/ ٢٢٥ .

ثم قصر النيل بعد خمس سنوات من نظره ، فى سنة سبع وأربعين ، وليس فى المخازن إلا جريات من فى القصور ، ومطبخ السلطان ، وحواشيه لا غير . فورد على الوزير أبى محمد ما كثر به فكره ، ونزع السعر إلى ثمانية دنانير التليس ، واشتد الأمر على الناس ، وصار الخبز طرفة . فدبر الوزير البلد بما أمسك به رفق الناس ، وهو أن التجار حين إعسار المعاملين^(١) ، وضيق الحال عليهم فى القيام للديوان بما يجب عليهم من الخراج ، ومطالبة الفلاحين بالقيام به ، وصاروا^(٢) يتعاون منهم غلاتهم قبل إدراكها بسعر فيه ربح لهم ، ثم يحضرون^(٣) إلى الديوان ويقومون للجيهة^(٤) عنهم بما عليهم ، ويثبت ذلك فى روزنامج^(٥) الجيهة مع مبلغ الغلة وما قاموا به . فإذا صارت الغلال فى البيادر^(٦) حملها التجار إلى مخازنهم .

فمنع الوزير أبو محمد من ذلك ، وكتب إلى عمال عامة النواحى باستعراض روزنامجات الجهابذة ، وتحرير ما قام به التجار عن المعاملين ومبلغ الغلة الذى وقع الابتياح عليه ، وأن يقوموا للتجار بما وزنوه للديوان ، ويربحونهم فى كل دينار ثمن دينار تطبيقاً لنفوسهم^(٧) ، وأن

١ - المقصود بلفظ " المعاملين " هنا ، هم : عمال النواحى والجهات التابعة لديوان الخراج ، ويطلق لفظ المعاملين أيضاً على الباعة ، كالحجاز والبقال والقصاب . انظر صبح الأعشى للقلشندى ٤٦٢/٥ .

٢ - فى نسخة " أ " : " وصاروا " .

٣ - فى نسخة " أ " : " يحضروا ... ويقوموا " .

٤ - الجيهة : هو كاتب يرسم الاستخراج والتقبض ، وكتب الوصلات ، وعمل المخازيم والاحتياجات وتواليها ، ويطلب بما يقتضيه تخريج ما يرفعه من الحساب اللازم له لا الحاصل ، وهذا اللفظ قديم الاستعمال فى مصطلح الدواوين الإسلامية ، وقد أبدل بلفظ الصيرفى بعدئذ أيام الدولة الفاطمية . انظر قوانين الدواوين لابن مائى ص ٩ .

٥ - الروزنامج : لفظ فارسى معناه السجل اليومى ، انظر معجم فاهنك فارسى أمروز ، تأليف غلام حسين صدرى أفشار ، الطبعة الثانية . إيران ١٣٧٥ هـ ، ص ٦١ .

٦ - البيادر : جمع " بيدر " ، وهو المكان الذى تكوّم فيه الغلال بعد دوسها . انظر لسان العرب لابن منظور " ب د ر " .

٧ - فى نسخة " أ " ويربحونهم فى كل دينارين دينار بطيبة أنفسهم " ، وما أثبتته من نسخة " ب " وهى الأقرب إلى الصحة .

يضعوا ختومهم على المخازن^(١)، ويطلبوا^(٢) مبلغ ما يحصل [ص / ١٣] تحت أيديهم فيها ، فلما حصل عنده علم ذلك ، جهز المراكب ، وحمل الغلال من النواحي إلى المخازن السلطانية بمصر ، وقرر ثمن التليس ثلاثة دنانير بعد أن كان بشمانية دنانير . وسلم إلى الخبازين ما يتاعونه لعمارة الأسواق ، ووظف ما يحتاج إليه البلدان القاهرة ومصر ، وكان ألف تليس درار^(٣) فى كل يوم ، لمصر سبعمانه وللقاهرة ثلاثمائة . فقام بالتدبير أحسن^(٤) قيام ، مدة عشرين شهراً ، إلى أن أدركت غلة السنة الثانية ، فتوسع الناس بها ، وزال عنهم الغلاء ، وما كادوا يتألمون لحسن التدبير .

فلما قتل الوزير أبو محمد لم تر الدولة صلاحاً ، ولا استقام لها أمر وتناقضت عليها أمورها ، ولم يستقر لها وزير محمد طريقته ، ولا يرضى تدبيره ، وكثرت السعاية فيها ، فما هو إلا أن يستخدم الوزير حتى يجعلوه سوقهم^(٥) ويوقعوا به الظن^(٦) ، حتى ينصرف ولم تطل مدته ، وخالط السلطان الناس ، وداخله بكثرة المكاتبة . فكان لا ينكر على أحد مكاتبته . فتقدم منه سفساف ، وحظى عنده عدة أوغاد . وكشروا حتى كانت رقاعهم أرفع من رقاع الرؤساء والجللة . وتنقلوا فى المكاتبة إلى كل فن ، حتى أنه كان يصل إلى السلطان فى كل يوم ثمانمائة رقعة ، فتشبهت عليه الأمور ، وانتقضت الأحوال ، ووقع الاختلاف بين عبيد الدولة ، وضعفت قوى الوزراء عن تدبيرهم لقصر مدتهم . وأن الوزير ، منذ يخلع عليه إلى أن ينصرف ، لا يفيق من التحرز ممن يسعى عليه عند السلطان ، وتقف عليه الرجال^(٧) ، فما يكون فيه فضل عن الدفاع عن نفسه ، فخرت أعمال الدولة ، وقل ارتفاعها^(٨) ، وتغلب

١ - فى نسخة « أ » : " المخازن " وما أثبتته من نسخة « ب » و « ج » .

٢ - فى نسخة « أ » : " ويطلبوا " ، وما أثبتته من نسخة « ب » .

٣ - تليس : التليس والتليسة : كيس الحساب ، ويقال : وضع الدفتر فى التليسة أى فى الكيس . انظر معجم الوافى لمبدى الله البستانى " ت ل س " .

٤ - فى نسخة « أ » : " الحسن " وما أثبتته من نسخة « ب » .

٥ - فى نسخة « أ » : " سوقهم " ، وفى نسخة « ج » : " سرقهم " ، وما أثبتته من نسخة « ب » .

٦ - فى نسخة « أ » : " ويوقعوا به الظير عليه " وما أثبتته من نسخة « ب » .

٧ - يرجد بهامش الصفحة فى نسخة « أ » فى المقابل : " اللهم عافنا " .

٨ - الارتفاع هو مبلغ ما يتحصل من المال لديوان من دواوين الدولة ، أو هو مجموع الأموال الديوانية كلها . انظر نهاية الأرب للزيرى ٨ / ٢٧٥ - ٢٧٧ ، ٢٩٧ .

الرجال على معظمها ، واستصفوا نواحي ارتفاعها ، حتى انتهى ارتفاع الأرض ^(١) السفلى إلى ما لا نسبة له من ارتفاعها الأول ، وكان قبل سنى هذه الفتنة ستمائة ألف دينار تحمل ^(٢) دفعتين ، فى غرة رجب وغرة محرم . فأتى ارتفاع ، وعظمت الواجبات ، ووقع اصطلاح الأضداد على السلطان [ص / ١٤] ، وواصلوا اقتضاء قيوضهم ^(٣) ، فيوفيهم ^(٤) واجباتهم ولازموا بابيه ، ومنعوه لذاته وتجبروا على الوزراء ، واستخفوا بهم وجعلوهم غرضاً لسهامهم ، فكانت ^(٥) الفترات ، بعد صرف من يتصرف منهم ، أطول من مدة نظر أحدهم .

فطفى الرجال ، وتجبروا حتى خرجوا من طلب الواجبات إلى المصادرة ، فاستنفدوا أموال الخليفة ، وأخلوا منها خزائنه ، وأحوجوه إلى بيع أعراضه ، فاشترها الناس بالقيم العادلة ، وكان الرسل يعترضون ما يباع ، فيأخذ من له درهم واحد ما يساوى عشرة دراهم ، ولا يمكن مطالبته بالثمن .

ثم زادوا فى الجراءة حتى صاروا إلى تقويم ما يخرج من الأعراض ، فإذا حضر المقومون أخافوهم ، فيقومون ما يساوى ألفاً بمائة وما دونها . ويعلم المستنصر وصاحب بيت المال بذلك ، ولا يتمكنون من استيفاء الواجب عليهم . فتلاشت الأمور ، واضمحل الملك ، وعلموا أنه لم يبق ما يلتصم إخراجهم لهم ، فتقامسوا الأعمال ، وأوقعوا التباسهم على ما زاد عن الارتفاع ، وكانوا ينتقلون فيها بحكم ^(٦) غلبة من تغلب صاحبه عليها ، ودام ذلك بينهم سنوات خمساً أو ستاً . ثم قصر النيل ، فنزعت الأسعار نزوعاً بدد شملهم ، وفرق إلفهم ، وشتت كلمتهم ، [وأوقع الله العداوة والبغضاء بينهم] ^(٧) ، فقتل بعضهم بعضاً حتى أباد خضراءهم وعفى آثارهم ، [فَتِلْكَ بَيُوتُهُمْ خَاوِيَةٌ بِمَا ظَلَمُوا] ^(٨) .

١ - لعل المقصود من هذا التعبير : " أسفل الأرض " أى الوجه البحرى الحالى .

٢ - فى نسخة « أ » : " كل " وما أثبتته من نسخة « ب » وهو الصحيح .

٣ - القبيض : المثلل والبديل . لسان العرب لابن منظور " قبض " .

٤ - فى نسخة « أ » ونسخة « ج » : " قيوضهم بيومهم وأحيانهم " والصحيح ما أثبتته من نسخة « ب » .

٥ - فى نسخة « أ » : " وكانت " .

٦ - فى نسخة « أ » : " حكم " وما أثبتته من نسخة « ب » .

٧ - ما بين المعرفتتين زيادة من نسخة « ب » ونسخة « ج » .

٨ - سورة النمل الآية (٥٢) .

" غلاء ثان فى زمن المستنصر "

ثم وقع فى أيام المستنصر الغلاء الذى فحش أمره ^(١)، وشنع ذكره ، وكان أمده ^(٢) سبع سنين . وسببه ضعف السلطنة ، اختلال أحوال المملكة ، واستيلاء الأمراء على الدولة ، واتصال الفتن بين العربان وقصور ^(٣) النيل ، وعدم من يزر ما شمله الرى . وكان ابتداء ذلك فى سنة سبع وخمسين وأربعمائة . فنزع السعر ، وتزايد الغلاء ، وأعقبه الوباء حتى تعطلت الأراضى من الزراعة . وشمل الخوف ، وخيفت السبل برأ وبحراً ، وتعذر السير إلى الأماكن إلا بالحقارة الكثيرة وركوب الفرر ^(٤) . واستولى الجوع لعدم القوت ، حتى بيع رغيف خبز فى النداء ، بزقاق القناديل من الفسطاط ، كبيع الطرف بخمسة عشر ديناراً [ص / ١٥] ، وبيع الأردب من القمح [بثمانين ديناراً] ^(٥) . وأكلت الكلاب والقطط حتى قلت الكلاب ، فبيع كلب ليؤكل بخمسة دنانير ، وتزايد الحال حتى أكل الناس بعضهم بعضاً . وتحرز الناس ، فكانت طوائف تجلس بأعلى بيوتها ومعهم سلب ورجال فيها كلاب ، فإذا مر بهم أحد ألقوها عليه ، ونشلوه فى أسرع وقت وشرحو لحمه وأكلوه . ثم آل الأمر إلى أن باع المستنصر كل ما فى قصره من ذخائر وثياب [وأثاث] ^(٦) وسلاح وغيره ، وصار يجلس على حصير ، وتعطلت دواوينه ، وذهب وقاره . وكانت نساء القصور تخرجن ناشرات شعورهن تصحن : « الجوع ! الجوع ! » ، تردن المسير إلى العراق ، فتسقطن عند المصلى ، وقتن جوعاً .

١ - قال ابن وصيف شاه : ثم وقع فى زمن المستنصر غلاء عظيم ، يعادل الغلاء الذى وقع فى زمن سيدنا يوسف عليه السلام ، فأقام الغلاء سبع سنين متوالية ، والنيل لم تصل زيادته ، إلى أكثر من اثني عشر ذراعاً وأحد عشر إصبعاً ، ثم إن الناس أكل بعضهم بعضاً ، وبيع الأردب القمح بثمانين ديناراً ، ثم اشتد الأمر حتى بيع كل إردب بمائة وعشرين ديناراً ، ثم بيع كل رغيف فى زقاق القناديل بخمسة عشر ديناراً ، وبعض الناس أكل الميتة والكلاب والقطط . انظر جواهر البحور ، ص ٨٣ .

٢ - فى نسخة " أ " : " مدة " وما أثبتته من نسخة " ب " .

٣ - مثل هذه الأسباب التى يعرضها المقرئى تجعله يتفرد بها ، فليس من المؤلف فى كتب المؤرخين فى العصور الوسطى فى الشرق والغرب ، وهذا مما يجعل المقرئى صاحب مكانة خاصة بين المؤرخين ، مما يجعل للوسائل الصغيرة التى كتبها المقرئى قيمة واضحة فى فهم تاريخ مصر .

٤ - الفرر : التعرض للخطر ، وركوب الفرر هو الإقدام على شئ مع التعرض للخطر . انظر لسان العرب لابن منظور " غ ر ر " .

٥ - ما بين المعرفتین زیادة من نسخة " ب " .

٦ - ما بين المعرفتین زیادة من نسخة " ب " .

[واحتاج المستنصر حتى باع حلية قبور آبائه]^(١) . وجاء الوزير يوماً على بغلته ، فأكلتها العامة ، فشنت طائفة منهم ، فاجتمع عليهم النساء فأكلوهم . وأفضى الأمر إلى عدم المستنصر القوت . وكانت الشريفة بنت صاحب السبيل^(٢) تبعث إليه فى كل [يوم]^(٣) من فتيت ، من جملة ما كان لها من البر والصدقات فى تلك الغلوة ، حتى أنفقت مالها كله ، وكان يجلب عن الإحصاء ، فى سبيل البر ، ولم يكن للمستنصر قوت سوى ما كانت تبعث به إليه ، وهو مرة واحدة فى اليوم والليلة .

ومن غريب ما وقع ، أن امرأة من أرباب البيوتات أخذت عقداً لها قيمته ألف دينار ، وعرضته على جماعة فى أن يعطوها به دقيقتاً . وكل يعتذر إليها ويدفعها عن نفسه إلى أن يرحمها بعض الناس ، وباعها به تليس دقيقتين بمصر ، وكانت تسكن بالقاهرة ، فلما أخذته أعطت بعضه لمن يحميه من النهاية فى الطريق . فلما وصلت إلى باب زويلة تسلمته من الحماة له ومشت قليلاً ، فتكاثر الناس عليها وانهبوه نهباً ، فأخذت هى أيضاً مع الناس من الدقيق ملء يديها لم يُبقيها غيره . ثم عجته وشوته ، فلما صار قرصة أخذتها معها ، وتوصلت إلى أحد أبواب القصر ، ووقفت على مكان مرتفع ، رفعت القرصة على يدها بحيث يراها الناس ، وتنادت بأعلى صوتها : " يا أهل القاهرة ! ادعوا لمولاتا المستنصر الذى أسعد الله الناس بأيامه ، وأعاد عليهم^(٤) بركات حسن نظره حتى تقوم على هذه القرصة بألف دينار " [ص/١٦] .

فلما اتصل به ذلك امتعض^(٥) له ، وقدح فيه^(٦) ، وحرك منه ، وأحضر الوالى وتهدهه وتوعده ، وأقسم له بالله جلت قدرته أنه إن لم يظهر الخبز فى الأسواق وينحل السعر ، ضرب

١ - ما بين المعرفتين زيادة من نسخة « ب » .

٢ - صاحب السبيل : مثل هذه الوظيفة غير وارد فى باب الإدارة الحكومية زمن الفاطميين بكتاب صبح الأعشى للقلقشندي ٤٦٨/٣ .

٣ - ما بين المعرفتين زيادة من نسخة « ب » .

٤ - فى نسخة « أ » : " عليها " . والصحيح ما أثبتته من نسخة « ب » ونسخة « ج » .

٥ - امتعض له : غضب له وشق عليه ، انظر فى ذلك لسان العرب لابن منظور " م . ع . ض . "

٦ - قدح فيه : طعن فيه ، وعابه ، وتنقّصه . انظر لسان العرب لابن منظور " ق . د . ح . "

رقيبته ، وانتهب ماله . فخرج من بين يديه ، وأخرج من الحبس قوماً وجب عليهم القتل . وأفاض عليهم ثياباً واسعة وعمائم مدودة وطبائس سابلة ^(١) ، وجمع تجار الغلة والخبازين والطحانين . وعقد مجلساً عظيماً . وأمر بإحضار واحد من القوم ، فدخل فى هيئة عظيمة ، حتى إذا مثل بين يديه قال له : " ويلك ! أما كفاك أنك خنت السلطان ، واستوليت على مال الديوان ، إلى أن خربت الأعمال ومحقت الغلال ، فأدى ذلك إلى اختلال الدولة وهلاك الرعية ؟ اضرب رقيبته ! " . فضربت فى الحال ، وتركه ملقى بين يديه . ثم أمر بإحضار آخر منهم ، فقال له : " كيف جسرت على مخالفة الأمر لما نهى عن احتكار الغلة ، وقمادت فى ارتكاب ما نهيت عنه ، إلى أن تشبه به سواك ، فهلك الناس ؟ اضرب رقيبته ! " ، [فضربت فى الحال] ^(٢) . واستدعى آخر ، فقام إليه الحضارون من التجار والطحانين والخبازين وقالوا : " أيها الأمير ! فى بعض ما جرى كفاية ، ونحن نخرج الغلة ، وندير الطواحين ، ونعمر الأسواق بالخبز ، ونرخض الأسعار على الناس ، ونبيع الخبز رطلاً بدرهم " . فقال : " ما يفتن الناس ^(٣) منكم بهذا " ، فقالوا : " رطلين " ، فأجابهم بعد الضراعة ، ووقوا بالشرط . وتدارك الله الخلق وأجرى النيل ، وسكنت الفتى ، وزرع الناس وتلاحق الخير ، وانكشفت الشدة ، وفرجت الكربة ^(٤) . وخبر هذه الغلوات مشهور ^(٥) ، وفى هذا القدر كفاية من التعريف بها ^(٦) ، والله يقبض ويبسط وإليه ترجعون .

١ - المقصود بذلك الملابس التى كان يرتديها تجار القاهرة فى ذلك العهد ، كما ينهم من هذا السياق أن هذه الملابس كانت مما يميز التجار من غيرهم من أصناف السكان بالقاهرة .

٢ - ما بين المعرفتين زيادة من نسخة « ج » فقط .

٣ - فى نسخة « ب » : " السلطان " ، وما أثبتته من نسخة « أ » ونسخة « ج » .

٤ - الكربة : القم الذى يأخذ بالنفس . انظر لسان العرب لابن منظور " ك . ر . ب " .

٥ - فى نسخة « أ » : " مشهورة " وما أثبتته من نسختي « ب » و « ج » .

٦ - يعرف هذا الغلاء باسم " الشدة العظمى " وقد شبهها غير واحد من المؤرخين بأيام القحط التى بلغت سبع سنوات أيام سيدنا يوسف عليه السلام . انظر المواعظ والاعتبار للمقرئ ١/ ٣٣٥ - ٣٣٨ ، ومحمد عبد الله عنان فى مصر الإسلامية ، ص ٨٨ - ٩٠ .

« غلاء فى زمن الخليفة الأمر بأحكام الله »

ثم وقع غلاء فى أيام الخليفة الأمر بأحكام الله^(١) ، ووزارة الأفضل^(٢) ، بلغ القمح فيه كل مائة أردب بمائة وثلاثين ديناراً . فتقدم الخليفة إلى القائد أبى عبد الله بن فاتك - الملقب بعد ذلك بالمأمون البطائحي^(٣) - أن يدبر الحال . فحتم على مخازن الغلات ، وأحضر أربابها وخيرهم فى أن تبقى غلاتهم تحت الحتم إلى أن يصل المغل الجديد ، أو يفرج عنها^(٤) وتباع [ص / ١٧] بثلاثين ديناراً كل مائة أردب . فمن أجاب أفرج عنه ، وباع بالسعر المذكور ، ومن لم يجب أبقي الحتم على حواصله^(٥) . وقدر ما يحتاج إليه الناس فى كل يوم من الغلة ، وقدر الغلال التى أجاب التجار إلى بيعها بالسعر المعين ، وما تدعو إليه الحاجة بعد ذلك بيع من غلات الديوان على الطحّاتين بالسمر . فلم يزل الأمر على ذلك إلى أن دخلت الغلة الجديدة ، فاتحلت الأسعار ، واضطر أصحاب الغلة المخزونة إلى بيعها خشية من السوس ، فباعوها بالنزر اليسير ، وندموا على ما فاتهم [من البيع]^(٦) بالسعر الأول^(٧) .

١ - الأمر بأحكام الله أبو على منصور بن السمتهلى بالله ، وهو السابع من الخلفاء الفاطميين ولد سنة ٤٩٠ هـ وتوفى سنة ٥٢٤ هـ ، انظر المزيد من ترجمته فى : وفيات الأعيان لابن خلكان ٢٩٩/٥ - ٣٠٢ ، وتمعنا الحنفيا للمقرئى ٢٩/٣ وما بعدها ، والنجوم الزاهرة لابن تغرى بردى ١٧٠ / ٥ - ١٨٥ ، وجواهر البحور لابن وصيف شاه ، ص ٨٦ .

٢ - الأفضل شاهنشاه بن أمير الجيوش بدر الجمالى ، وكان حسن التدبير فحلّ الرأى ، وهو الذى دبر دولة الأمر بأحكام الله . انظر وفيات الأعيان لابن خلكان ٢ / ٤٤٨ .

٣ - هو أبو عبد الله محمد بن الأمير نور الدين أبى شجاع فاتك بن الأمير مجد الدولة المعروف بالمأمون ابن البطائحي . انظر تمعنا الحنفيا للمقرئى ٣٨/٣ وما بعدها .

٤ - فى نسخة « أ » " أو يفرج الله تعالى عنهم " ، وما أثبتته من نسخة « ب » .

٥ - فى نسخة « أ » : " أبقي الحتم عليه " ، وما أثبتته من نسخة « ب » .

٦ - ما بين المعرفتين زيادة من نسخة « ب » .

٧ - قال ابن وصيف شاه : ووقع الغلاء فى أيام الأمر بأحكام الله ، حتى وصل القمح كل أردب ثلاثين ديناراً ، ثم تراجع الأمر بسياسة الوزير البطائحي ، فإنه كان مديراً تدبيراً لم يدبره غيره من الوزراء . انظر جواهر البحور ، ص ٨٦ .

" غلاء فى زمن الحافظ لدين الله "

ثم وقع غلاء شنيع ، وقحط ذريع ، فى أيام الحافظ لدين الله ^(١) ، ووزارة الأفضل بن وحش ^(٢) . ألا أنه لم يستمر ، فإن الأفضل المذكور كان قد ركب إلى الجامع العتيق بمصر ، وأحضر كل من يتعلق به ذكر القلة ، وأدب جماعة من المحتكرين ومن يزيد فى الأسعار ، ووظف عليهم القيام بما يحتاج إليه فى كل يوم . وبأمر الأمر بنفسه ، وأخذ فيه بالحد ، فلم يسع أحد خلافه . ولم يزل الحال كذلك إلى أن من الله تعالى بالرخاء ، وكشفت عن الناس ما نزل بهم من البلاء . (إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ) ^(٣) .

" غلاء فى زمن الفائز بنصر الله "

ثم وقع غلاء أيام الفائز ^(٤) ، بوزارة الصالح طلائع بن رزيك ^(٥) ، بلغ فيه الأردب خمسة

١ - هو أبو الميمون عبد المجيد ، الملقب الحافظ ، ابن أبي القاسم محمد بن المستنصر بويج بالقاهرة يوم مقتل ابن عمه بالقاهرة الأمر بأحكام الله ، وهو الخليفة الثامن من الخلفاء الفاطميين ، ولد فى عام ٤٦٦ هـ وقيل ٤٦٧ هـ وقد توفى سنة ٥٤٣ هـ وقيل ٥٤٤ هـ . انظر المزيد من ترجمته فى : وفيات الأعيان لابن خلكان ٣ / ٢٣٥ - ٢٣٧ ، جواهر البحور لابن وصيف شاه ص ٨٧ ، اتعاظ الخنفا للمقريزى ٣ / ١٣٥ - ١٩٢ ، المواعظ والاعتبار للمقريزى ١ / ٣٥٧ ، والنجوم الزاهرة لابن تغرى بردى ٥ / ٢٣٧ وما بعدها ، وشذرات الذهب لابن العماد ٤ / ١٣٨ .

٢ - فى نسخة « ب » : " وخشى " ، وما أثبتته من نسخة « أ » ، وقد اختلفت المصادر فى ذكر هذا الاسم ، فالإمام السيوطى فى حسن المحاضرة ١١٨/٢ يذكره : " رضوان بن الوحشى " ، وابن تغرى بردى فى النجوم الزاهرة يذكره : " رضوان بن وحشى " ٥ / ٢٤١ ، ٢٨١ .

٣ - سورة يوسف الآية (١٠٠) .

٤ - هو الفائز بنصر الله أبو القاسم عيسى بن الظافر بأمر الله أبو المنصور إسماعيل بن الحافظ لدين الله أبو الميمون عبد المجيد ولد ٥٠٥ هـ وتوفى سنة ٥٥٥ هـ ، وللمزيد من ترجمته انظر وفيات الأعيان لابن خلكان ٣ / ٤٩١ ، واتعاظ الخنفا للمقريزى ٣ / ٢١٣ ، وجواهر البحور لابن وصيف شاه ص ٨٨ - ٩٠ .

٥ - هو طلائع بن رزيك الملقب بالملك الصالح أبي الغارات ، وزير عصامى ، أصله من الشيعة الإمامية ، دخل مصر وولى وزارة الخليفة الفائز الفاطمى سنة ٥٤٩ هـ ، واستقل بأمر الدولة ، وتعت بصفات سيئة وبالمملك الصالح فارسى المسلمين نصير الدين ، وكان شجاعاً حازماً ، وقيل كان مديراً جواداً ، صادق العزيمة ، ولد فى ٤٩٥ هـ وتوفى سنة ٥٥٦ هـ ، وقيل غير ذلك ، انظر المزيد من ترجمته فى : وفيات الأعيان لابن خلكان ٢ / ٥٢٦ ، والمواعظ والاعتبار للمقريزى ٢ / ٢٩٣ ، ودول الإسلام للذهبي ٢ / ٥١ .

دنائير لقصور ماء النيل^(١) عن الرفاء . وكان بالأهراء^(٢) من الغلات ما لا يحصى ، فأخرج جملة كثيرة^(٣) من الغلال وقرقها على الطحانين ، وأرخص سعرها ، ومنع من احتكارها ، وأمر الناس ببيع الموجود منها ، وتصدق على جماعة من المتجملين^(٤) والفقراء بجملة كثيرة ، وتصدق سيف الدين حسين^(٥) ، وغيره من الأمراء وأرباب الجهات^(٦) بالقصر ، ما نفس عن الناس ولم يستمر الحال في ذلك سوى مدة يسيرة ، حتى فرج الله ، وهجم الرخاء .

" غلاء في زمن السلطان العادل الأيوبي "

ثم وقع الغلاء في الدولة الأيوبية ، وسلطنة العادل أبي بكر بن أيوب^(٧) ، في سنة [ست و]^(٨) تسعين وخمسائة . وكان سببه توقف النيل عن الزيادة وقصوره عن العادة^(٩) . فانتهت

١ - ذكر ابن تغري بردي أن من بين أسباب الغلاء أيضاً - بجانب قصور ماء النيل ، سيرة طلائع بن رزيك المذمومة ، فقال : احتكر الغلات فقلت الأسعار ، وقتل أمراء الدولة خيفة منهم ، فكان سبب خراب الديار . انظر النجوم الزاهرة ٣٣٩/٥ .

٢ - الأهراء : هي الأماكن التي تخزن بها الغلال والأتبان الخاصة بالخليفة أو السلطان ، احتياطاً لأعمال الطوارئ الاقتصادية الواردة بالمتن ، وكانت لا تفتح إلا عند الضرورة ، وهي غير الشون ، فهذه يوضع بها ما يستهلك طول السنة من غلال وأعطاب وأتبان . انظر كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك للمقريزي ٥٠٨/١ .

٣ - في نسخة « أ » : " يسيرة " ، وما أثبتته من نسخة « ب » وهو الأقرب إلى الصحة .

٤ - المقصود بكلمة " المتجملين " : الفقراء الذين لا يظهرون المسكنة والذل على أنفسهم . انظر لسان العرب لابن منظور " ج . م . ل " .

٥ - كان هذا الأمير ابن أخى الوزير طلائع بن رزيك ، انظر النجوم الزاهرة لابن تغري بردي ٣١٥/٥ ، ٣١٦ ، ٣١٧ .

٦ - أرباب الجهات : أهل البسر والغنى ، ومفردها : جهة ، وكذلك الضرائب الديوانية كالجبهة المفردة ، انظر صبح الأعشى للقلقشندي ٣ / ٤٥٨ - ٤٦٠ ، والسلوك لمعرفة دول الملوك للمقريزي ١ / ٣٧٣ .

٧ - هو الملك العادل سيف الدين أبو بكر بن الأمير نجم الدين أيوب بن شاذي ، انظر في ترجمته : مفرج الكروب في أخبار بني أيوب ، لابن واصل الحموي تحقيق جمال الدين الشيال ، طبعة القاهرة ١٩٥٣ م ، ١٥٥/٥ ، والسلوك لمعرفة دول الملوك للمقريزي ، تحقيق محمد مصطفى زيادة ، وسعيد عبد الفتاح عاشور ، طبعة القاهرة ، ٢٩٩/١ ، والذيل على الروضتين ، لأبى شامة المقدسى شهاب الدين عبد الرحمن ابن إسماعيل ، طبعة بيروت الثانية ١٩٧٤ م ، ص ١٥٤ ، والكمال في التاريخ لابن الأثير الجزري على ابن أبي الكرم محمد بن محمد الشيباني ٦٣٠ هـ طبعة بيروت الثانية ، مكتبة الكتاب العربي لعام ١٩٦٧ م ، ٩ / ٣٧٨ - ٣٧٩ .

٨ - ما بين المعرفتتين زيادة من « ب » .

٩ - أضاف المقريزي في كتابه السلوك لمعرفة دول الملوك ١٥٦/١ تفصيلات إضافية بصدد هذا الغلاء ، وما أعقبه في السنوات التالية من قحط ووباء .

الزيادة إلى اثني عشر ذراعاً وأصابع ، فتكاثر مجئ الناس من القرى إلى القاهرة من الجوع ، ودخل فصل الربيع ، فهب هواء أعقبه وباء وفناء وعدم القوت حتى أكل [ص / ١٨] الناس صفار بنى آدم من الجوع ، فكان الأب يأكل ابنه مشوياً ومطبوخاً ، والمرأة تأكل ولدها ، فعوقب جماعة بسبب ذلك ، ثم فشا الأمر وأعيى الحكام . فكان يوجد بين ثياب الرجل والمرأة كسف صغير أو فخذة أو شيء من لحم ، ويدخل بعضها إلى جاره ، فيجد القدر على النار ، فينظرها حتى تهياً ، فإذا هى لحم طفل ، وأكثر ما يوجد ذلك فى أكابر البيوت . ووجدت لحوم الأطفال بالأسواق والطرق مع الرجال والنساء مختفية . وغرق^(١) فى دون شهرين ثلاثون امرأة بسبب ذلك.

ثم تزايد الأمر حتى صار غذاء الكثير من الناس لحوم بنى آدم بحيث ألفوه ، وقل منعهم منه لعدم القوم من جميع الحبوب وسائر الخضروات وكل ما تنبت الأرض . فلما كان آخر الربيع احترق ماء النيل فى برمودة^(٢) حتى صار المقياس فى بر مصر ، وانحسر الماء عنه إلى بر الجيزة ، وتغير طعم الماء وريحه . ثم أخذ الماء فى الزيادة قليلاً قليلاً إلى السادس عشر من مسرى^(٣) ، فزاد أصعباً واحداً ، ثم وقف أياماً ، وأخذ فى زيادة قوية أكثرها ذراع إلى أن بلغ خمسة عشر ذراعاً وستة عشر أصعباً ، ثم انحط من يومه . فلم تنتفع به البلاد لسرعة نزوله وكان أهل القرى قد فتوا ، حتى أن القرية التى كان فيها خمسمائة نفس لم يتأخر بها سوى اثنين أو ثلاثة . ولم تعمر المسور ولا مصالح البلاد لعدم البقر ، فإنها فقدت حتى بيع الرأس الواحد من البقر بسبعين ديناراً ، والهزىل بستين ديناراً . وجافت^(٤) الطرق كلها ، بمصر والقاهرة ، وسائر دروب النواحي بجميع الأقاليم ، من كشرة الموتان^(٥) ، وما زرع على قلته أكلته الدودة ، ولم يمكن رده لعدم التقاوى والأبقار .

- فى نسخة « ب » : " حرق " ، وما أثبتته من نسخة « أ » و « ج » .

- برمودة : اسم الشهر الثامن من السنة الشمسية عند الأقباط وقت دخوله السادس والعشرين من شهر آزار - مارس من شهر السنة الميلادية . انظر معجم المصطلحات والألقاب التاريخية ، مصطفى عبد الكريم ، ص ٧٥ .

- مسرى : اسم الشهر الثانى عشر من شهور السنة القبطية يوافق دخوله يوم الرابع والعشرين من تموز - يوليو ، وآخره ٢٧ آب - أغسطس من شهور السنة الميلادية . انظر معجم المصطلحات والألقاب التاريخية ، مصطفى عبد الكريم ، ص ٣٩٦ .

- جافت : أنتنت ، والجيفة : جثة الميت المنتنة ، والجمع جيف وأجياف ، لسان العرب لابن منظور " ج . ي . ف " .

- الموتان : الموت ، وأرض لم يجر فيها أحياء بعد . انظر معجم الرافى للبستانى " م . و . ت " .

واستمر أكل لحوم الأطفال ، وعدم الدجاج جملة . وكانت الأفران إنما يوقد فيها بأخشاب البيوت ، وكانت جماعة من أهل الستر يخرجون فى الليل ويتحطبون من المساكن الخالية ، فإذا أصبحوا باعوها ، وكانت الأرزقة كلها بالقاهرة ومصر لا يرى فيها من الدور المسكونة إلا القليل . وكان الرجل بالريف ، فى أسفل مصر وأعلاها [ص / ١٩] يموت ويبيده المحراث ، فيخرج آخر للحراث فيصيبه ما أصاب الأول . واستمر النيل ثلاث سنين متوالية لم يطلع منه إلا القليل ، فبلغ الأردب من القمح ثمانية دنانير ، وأطلق العادل للفقراء شيئاً من الغلال ، وقسم الفقراء على أرباب الأموال ، وأخذ منهم اثني عشر ألف نفس ، وجعلهم فى مناخ^(١) القصر ، وأفاض عليهم القوت ، وكذلك فعل جميع الأمراء وأرباب السعة والثراء . وكان الواحد من أهل الناقة إذا امتلأ بطنه بالطعام بعد طول^(٢) الطوى سقط ميتاً ، فيدفن منهم كل يوم العدة الوفرة ، حتى أن العادل قام فى مدة سيرة لمواراة نحو^(٣) مائتى ألف وعشرين ألف ميت ، فإن الناس كانوا يتساقطون فى الطرقات من الجوع ، ولا يمضى يوم حتى يؤكل عدة من بنى آدم .

وتعطلت الصنائع ، وتلاشت الأحوال ، وفنت الأقوات والنفوس حتى قيل : سنة سبع افترست أسباب الحياة . فلما أغاث الله الخلق بالنيل ، لم يوجد أحد يحراث أو يزرع^(٤) ، فخرج الأجناد بغلمانهم وتولوا ذلك بأنفسهم ، ولم تزرع أثر البلاد لعدم الفلاح . وعدمت الحيوانات جملة ، فبيع فروج^(٥) بدينارين ونصف ، ومع ذلك كانت المخازن مملوءة غلالاً ، والخبز متيسر الوجود يباع كل رطل بدرهم ونصف . وزعم كثير من أرباب الأموال أن هذا الغلاء كسنى يوسف عليه السلام ، وطمع أن يشتري بما عنده من الأقوات أموال أهل مصر ونفوسهم ، فأمس الغلال وامتنع من بيعها ، فلما وقع الرخاء ساست كلها^(٦) ، ولم ينتفع بها

١ - المناخ هنا بمعنى المكان المخصص لأنواع الجمال السلطانية وهو هنا بمعنى مخزن الغلال ، كالأهراء والشئون. لسان العرب لابن منظور " ن . ي . خ " .

٢ - فى نسخة « أ » : حلول الطول ، وما أثبتته من نسخة « ب » ، وكذلك من نسخة « ج » .

٣ - فى نسخة « أ » : " فى مدة سيرة لمواراة بعض من مات نحو مائتى ألف وعشرين ... " وما أثبتته من نسخة « ب » .

٤ - فى نسخة « أ » : " يحراث ولا يزرع " .

٥ - الفروج : فرخ الدجاجة ، والجمع فراريج . لسان العرب لابن منظور " ف . ر . ج " .

٦ - ساست : أى اعتراها السوس . لسان العرب لابن منظور " س . و . س " .

[فرماها] ^(١). وأصيب كثير من اقتنى المال من الفلال ، فبعضهم مات عقب ذلك شر ميتة ، وبعضهم أجبح فى ماله ، إن ريك لبارصاد ، [وهو الفعال لما يريد] ^(٢).

" غلاء فى زمن السلطان العادل كُتِبَا "

ثم وقع غلاء بالدولة التركية ، بسلطنة العادل كُتِبَا ^(٣) ، فى سنة ست وتسعين وستمائة ، وذلك أن بلاد بَرْقَة ^(٤) لم تقطر ، وجفت الأعين منها [ص / ٢٠] ، وعم أهلها الجوع لعدم القوت ، فخرج منها نحو من ثلاثين ألف نفس بعبالهم وأنعامهم يريدون مصر ^(٥). فهلك معظمهم جوعاً وعطشاً ، ووصل اليسير منهم فى جهد وقلة ، وتأخر الوسمى ^(٦) ببلاد الشام حتى فات أوان الزرع ، فاستسقوا ثلاثاً فلم يسقوا . ثم اجتمع الكافة وخرجوا للاستسقاء . وضجوا وابتهلوا إلى الله سبحانه وتعالى ، فأغاثهم وسقاهم حتى رجعوا فى المياه إلى البلد ، ووقف النيل بمصر عن الزيادة ، فتحركت الأسعار ، وتأخر المطر ببلاد القدس والساحل حتى فات أوان الزرع ، وجفت الآبار ، ونصب ماء عين سلوان [بالقدس] ^(٧). وكان مبلغ ماء النيل فى هذه السنة ، أعنى سنة أربع وتسعين ، ستة عشر ذراعاً وسبعة عشر أصبعاً ، ونزل سريعاً ،

١ - ما بين المعرفتين زيادة من نسخة « ب » .

٢ - ما بين المعرفتين ساقط من نسخة « أ » ونسخة « ب » وما أثبتته من نسخة « ج » .

٣ - هر كُتِبَا بن عبد الله المنصورى زين الدين الملقب بالملك العادل ، من ملوك دولة المماليك البحرية بمصر والشام ، ولد سنة ٦٣٩ هـ ومات سنة ٧٠٢ هـ . انظر بدائع الزهور لابن إياس ١٣٣/١ تحقيق محمد مصطفى ، طبعة القاهرة بدون تاريخ ، والسلوك لمعرفة دول الملوك للمقريزى ١ / ٨٠٦ - ٨٢٦ ، والنجوم الزاهرة لابن تغرى بردى ٨ / ٥٥ ، وفوات الوفيات لابن شاكر الكتبى ت ٧٦٤ هـ تحقيق محمد محبى الدين عبد الحميد ، القاهرة ، النهضة المصرية ١٩٥١م ، ١٣٨/٢ .

٤ - بَرْقَة : مدينة تقع بين الإسكندرية وإفريقية ، وبينها وبين الإسكندرية مسيرة شهر ، ومن الفسطاط إلى برقة مائتان وعشرون فرسخاً . انظر معجم البلدان لياقوت الحموى ٣٨٨/١ .

٥ - لعل السبب فى خروج ذلك العدد من برقة إلى مصر من دون غيرها من خضراء البلاد المجاورة ، أن برقة كانت تابعة لمصر فى ظل الحكم المالىكى ، يقطعها السلطان تارة لأمراته من المماليك ، وتارة لرؤساء العرب الطاعنين هناك . انظر صبح الأعشى للقلقشندي ٣٩١/٣ - ٣٩٢ .

٦ - الوسمى : مطر الخريف ، ومن معانيه أيضاً محصول الذرة الأول .

٧ - ما بين المعرفتين ساقط من « أ » و « ب » وأثبتته من نسخة « ج » ولعل المقريزى خص « عين سلوان » لكونها عيناً مباركة بالقدس .

وكسر بحر أبى المنجا^(١) قبل أوانه بثلاثة أيام خوفاً من النقص ، فبلغ كل أردب من القمح إلى مائة درهم ، والشعير إلى ستين ، والفلول إلى خمسين ، واللحم إلى ثلاثة دراهم الرطل ، فأخرجت الغلال من الأهراء ، وفرت في المخازن والجرايات ، لكل صاحب جراية ست جرايات في شهرين . وكان راتب البيوت والجرايات لأرباب الرواتب في كل يوم خمسين وستمائة أردب^(٢) ، ما بين قمح وشعير ، وراتب الحوائج خاناء^(٣) عشرين ألف رطل لحم في اليوم .

وكان قد ظهر الخلل في الدولة لقلة المال وكثرة النفقات فتعددت المصادرات للولاة والمباشرين ، وطرحت البضائع بأعلى الأثمان على التجار .

ودخلت سنة خمس وتسعين وبالناس شدة من الغلاء وقلة الواصل ، إلا أنهم يئنون أنفسهم بمجى الغلال الجديدة ، وكان قد قرب أوانها . فعند إدراك الغلال هبت ريح سوداء مظلمة من نحو بلاد برقة هبوباً عاصفاً ، وحملت تراباً أصفر كسا زروع تلك البلاد ، فهافت^(٤) كلها ولم يكن بها إذ ذاك إلا زرع قليل ، ففسدت بأجمعها . وعمت تلك الريح^(٥) والتراب إقليم البحيرة والغربية وإقليم الشرقية ، ومرت إلى الصعيد الأعلى ، فهافت الزرع ، وفسد الصيفي من الزرع ، كالأرز والسمسم والقلقاس وقصب السكر ، وسائر ما يزرع على السواقي ، فتزايدت الأسعار .

وأعقبت تلك الريح أمراض وحميات عمت سائر الناس ، فتنزع سعر السكر والعسل وما يحتاج إليه المرضى [ص / ٢١] ، وعمدت الفواكة ، وبيع الفروج بثلاثين درهماً ، والبطيخة

١ - حفرت هذه التربة في العهد الفاطمي لرى بعض الأراضى بالجنوب الشرقى للدلتا بماء النيل ، وكان المكلف بالقيام على حفرها أبو المنجا شعياً اليهودى فغرقت باسمه ، وكان ميعاد كسرها من أعياد قبضان النيل بالقاهرة ، زمن الفاطميين والأمويين ، انظر المواعظ الاعتبار للمقرئزى ٧١/١ ، ٤٨٧ : صبح الأعشى للقلقشندي ٣٠١/٣ - ٣٠٢ .

٢ - في نسخة « ب » : " سيمانة " وما أثبتته من نسخة « أ » ، ونسخة « ب » .

٣ - الحوائج خاناء : لفظ من كلمتين : حوائج وهى عربية ، وخاناء وهى فارسية ، ومعناها معاً فى مصطلح الدولة المملوكية بمصر بيت الحوائج واللوازم التابع لسلطان أو أمير . انظر كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك للمقرئزى ١ / ٤٥٩ .

٤ - هاف من الهيف وهو شدة العطش ، لسان العرب لابن منظور " ه . ي . ف . " .

٥ - فى نسخة « أ » : " الزروع " وما أثبتته من نسخة « ب » وهو الصحيح .

بأربعين ، والرطل من البطيخ بدرهم ، والسفرجل ثلاث حبات بدرهم ، [والببيض كل ثلاث حبات بدرهم]^(١) ، وتزايد القمح إلى مائة وتسعين الأردب والشعير إلى مائة وعشرين ، والفول والعدس إلى مائة وعشرة دراهم الأردب ، وأقحطت بلاد القدس والساحل ومدن الشام إلى حلب ، قبلت الغرارة^(٢) من القمح إلى مائتي درهم وعشرين ، والشعير بالنصف من ذلك ، واللحم الرطل إلى عشرة دراهم ، والفاكهة إلى أربعة أمثالها . وكان ببلاد الكرك والشوبك وبلاد الساحل لما يرصد للمهمات والبراك^(٣) ما ينيف عن عشرين ألف غرارة ، فحملت إلى الأمصار .

وأقحطت مكة ، فبلغ أردب القمح بها إلى تسعمائة درهم ، والشعير إلى سبعمائة ، فرحل أهلها حتى لم يبق بها إلا اليسير من الناس . ونزحت^(٤) سكان قرى الحجاز ، وعدم القوت ببلاد اليمن واشتد الوباء ، فباعوا أولادهم في شراء القوت ، وفروا إلى نحو حلى^(٥) بنى يعقوب ، فالتقوا بأهل مكة وضائق بهم البلاد ، ففنا كلهم بالجوع إلا طائفة قليلة . وقحطت بلاد الشرق ، وعدمت دوابهم وهلكت مراعيهم ، وأمسك القطر عنهم . واشتد الأمر بمصر ، وكثر الناس بها من أهل الآفاق ، فعظم الجوع ، وانتهب الخبز من الأفران والحوانيت ، حتى كان العجين إذا خرج إلى الفرن انتهبه الناس فلا يحمل إلى الفرن ، ولا يخرج الخبز منه إلا ومعه عدة يحمونه^(٦) بالعصى من النهاية ، فكان من الناس من يلقى نفسه على الخبز ليخطف منه ، ولا يبالي بما ينال رأسه ويدنه من الضرب ، لشدة ما نزل به من الجوع .

١ - ما بين المعقوفتين زيادة من نسخة « ب » .

٢ - الفرار : مثل الجوالق مفردة : جوال ، وهو باللغة الدارجة - الشوال - ويتخذ من الصوف أو من شعر الماعز ، ويستعمل لتعبئة المحبوب وحفظها ، وقيل من الخيش يوضع فيه القمح ونحوه ، وقد توسع الناس في استعماله في العصرين المملوكي والعثماني فأصبح عندهم من الماكيل ، وهو الفرار أكبر من الجوالق . انظر معجم المصطلحات والألقاب التاريخية لمصطفى عبد الكريم ص ١٢٩ ، ٣٣٠ .

٣ - البراك : جمع بكار ، وهو لفظ فارسي معرب ، وقد جرى في مصطلح الدولة المملوكية بمصر للدلالة على الحملات الحربية والحرب عامة . انظر كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك للمقرئ ١/ ١٠٥ ، ٥٣٦ ، ٦١٦ .

٤ - في نسخة « أ » : " نزعت " ، وما أثبتته من نسخة « ب » ونسخة « ج » .

٥ - حلى : بلد باليمن على ساحل البحر ، انظر معجم البلدان لياقوت الحموى ٢ / ٢٩٧ . وقد وردت هذه الكلمة في نسخة « أ » : " حلل " وكذلك في نسخة « ج » ، أما في نسخة « ب » فقد وردت باسم « حلى » ، وما أثبتته وهو الصحيح من معجم البلدان لياقوت الحموى ٢ / ٢٩٧ .

٦ - في نسخة « أ » : " يحملونه " ، وما أثبتته من نسخة « ب » .

فلما تجاوز الأمر الحد أمر السلطان بجمع الفقراء وذوى الحاجات ، وفرقهم على الأمراء ، فأرسل إلى أمير المائة مائة [فقير ^(١)] ، وإلى أمير الخمسين خمسين ، حتى كان لأمير العشرة عشرة ، فكان من الأمراء من يطعم سهمه من الفقراء لحم البقر مشروداً فى مرقة الحبز ، يمده لهم سماًطاً يأكلون جميعاً . ومنهم من يعطى فقراءه رغيفاً ، وبعضهم كان يفرق الكعك ، وبعضهم يعطى رقائفاً ، فخفف ما بالناس من الفقر . عظم الوباء فى الأرياف والقرى ، وفشت الأمراض بالقاهرة ومصر ، وعظم الموتان [ص / ٢٢] .

وطلبت الأدوية للمرضى ، فباع عطار برأس حارة الديلم من القاهرة فى شهر واحد بمبلغ اثنين وثلاثين ألف درهم . وبيع من دكان يعرف بالشريف عطوف من سوق السيوفيين بمثل ذلك ، وكذلك حانوت بالوزيرية ، [وآخر خارج باب زويلة ، بيع فى كل واحد منها بنحو من مثل ذلك] ^(٢) .

وطُلب الأطباء ، ويُذلت لهم الأموال ، وكثر تحصيلهم ، فكان كسب الواحد منهم فى اليوم مائة درهم . ثم أعبأ الناس كثرة الموت ، فبلغت عدة من يرد اسمه فى الديوان السلطانى فى اليوم ما ينيف عن ثلاثة آلاف ^(٣) نفس .

وأما الطرحاء ^(٤) فلم يحصر عددهم بحيث ضاقت الأرض بهم ، وحفرت لهم الآبار والحفائر وألقوا فيها ، وجافت الطرق ^(٥) والنواحي والأسواق من الموتى ، وكثر أكل لحوم بنى آدم خصوصاً الأطفال ، فكان يوجد الميت وعند رأسه لحم الآدمى ، ويمسك بعضهم فيوجد معه كتف صغير أو فخذ أو شيء من لحمه .

وخلت الضياع من أهلها ، حتى أن القرية التى كان بها مائة نفس لم يتأخر بها إلا نحو العشرين ، وكان أكثرهم يوجد ميتاً فى مزارع الفول لا يزال يأكل منه إذا وجده حتى يموت ، ولا يستطيع الحراس ردهم لكثرتهم .

١ - ما بين المعقوفتين زيادة من نسخة « ب » وهو ساقط من نسختي « أ » و « ج » .

٢ - ما بين المعقوفتين ساقط من « أ » وقد أثبتته من نسخة « ب » ونسخة « ج » .

٣ - فى نسخة « ب » فقط " ثلثمائة " .

٤ - الطرحاء : مفردهما : الطريح ، والمقصود أنه كثر الأفراد الملقون فى الطرقات . مختار الصحاح لمحمد الرازى " ط . ر . ح " .

٥ - جافت الطرق : أى كثرت بها الجيف ذوات الرائحة الكريهة .

ومع ذلك زكت^(١) [الغلال فى الكيل أضعاف المفهوم]^(٢) . ولقد كان فخر الدين الطنبغا المساحى من جملة زرعه مائة فدان فولاً لم يمنع أحداً من الأكل منها^١ فى موضع الزرع ، ولم يمكن أحداً أن يحمل منه شيئاً . فلما كان أوان الدراس لم يرض بمن وكّل إليه أمر الزرع حتى خرج بنفسه ، ووقف على أجران تلك المائة فدان من الفول ، فإذا تلّ عظيم من القشر الذى أكل الفقراء قوله أخضر ، قطاف به وفتشه فلم يجد به شيئاً من الفول ، فأمر به عند انقضاء شغله أن يدرس لينتفع بتبته ، فحصل منه سبعمائة وستون أردباً ، فعُدّ ذلك من بركة الصدقة وفائدة أعمال البر ، { وَاللَّهُ يَضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ }^(٣) .

وكثرت أرباح التجار والباعة ، وازدادت فوائدهم ، فكان الواحد من الباعة يستفيد فى اليوم المائتين ، ويصيب الأقل من السوق ربحاً فى اليوم ثلاثين ، وكذلك كانت مكاسب أرباب الصنائع . واكتفوا بذلك طول [ص / ٢٣] الغلاء . وأصيب جماعة كثيرة ممن ربح فى الغلاء - من الأمراء والجنود وغيرهم - فى مدة الغلاء إما فى نفسه بأقّة من الآفات ، أو بإتلاف ماله التّلف الشنيع ، حتى لم ينتفع ، فلقد كان لبعضهم ستمائة أردب باعها بسعر مائة وخمسين الأردب وبأزيد من ذلك ، فلما ارتفع السعر عما باع به تدم على بيعه الأول حيث لم ينتفعه التدم ، فلما صار إليه ثمن الغلال أنفق معظمه فى عمارة دار ، وزخرفتها وبالفى تحصينها وإجاداتها حتى إذا فرغت وطن أنه قادر عليها أتاها أمر ربها فاحترقت بأجمعها ، وأصبحت لا ينتفع بها بشيء^(٤) .

- ١ - فى نسخة « أ » : " فزكت " ، وكذلك فى نسخة « ج » . وزكى هنا بمعنى : فى وكثر ، أى تمت الغلال وكثرت عما كان معروفاً قبل ذلك . انظر لسان العرب لابن منظور " ز . ك . ت " .
- ٢ - ما بين المعرفتين ساقط من نسخة « ب » وقد أثبتته من نسختي « أ » و « ج » .
- ٣ - سورة البقرة آية (٢٦١) .

٤ - يقتبس الإمام المقيزى من آيات الله عز وجل ما يُجمل به تعبيره ويحسن به أسلوبه ، ويجعل عبارته رصينة حيث اقتبس هذا المعنى من الآية الكريمة : [.... حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازْبَيَّتْ وَطْنَ أَهْلِهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَنَاهَا أَمَرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَقَنْ بِالْأَنْسِ كَذَلِكَ نَقْصِلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ] سورة يونس الآية (٢٤) .

وحصلت الفتنة بين السلطان والأمراء ، وتوقفت أحوال^(١) الوزير [فخر الدين بن الخليلي]^(٢) . وازداد ظلم اتباع السلطان وماليكه . [وتكاثر جورهم]^(٣) وعظم طمعهم فى أخذ البراطيل^(٤) والحمايات^(٥) ، وكثر عسفهم وغضبهم من الأمراء ، ولعبت الناس فى الفلوس لما ضربت ، فنودى أن يستقر الرطل منها بدرهمين ، ووزنة الفلوس درهم ، هذا أول ما عرف من وزن الفلوس . واشتد ظلم الوزير - وهو صاحب فخر الدين [بن] ^(٦) الخنبلى - لترقف أحوال الدولة من كثرة الكلف ، فأرصد متحصل الموارد^(٧) للغداء والعشاء ، وأخذ الأموال الموروثة ولو كان الوارث ولداً أو غيره ، فإذا طالبه الولد بميراث أبيه ، أو الوارث بما إيجر إليه من الإرث ، كلفه إثبات نسبه أو استحقاقه ، فلا يكاد يثبت ذلك إلا بعد عناء طويل ومشقة . فإذا تمَّ الإثبات أحاله على الموارد ، حتى إذا مات آخر وله مال ووارث من ولد ذكر أو غيره فعل معهم كذلك ، فتعجز الورثة من الطلب ، فتترك [المطالبة]^(٨) .

١ - فى نسخة « أ » : " الأحوال " ، وما أثبتته من نسخة « ب » .

٢ - ما بين المعقوفتين أضيف لإزالة الغموض ، ولمعرفة اسم هذا الوزير ، وذلك بناءً على ما جاء بعده بعدة سطور . وقد تقلد هذا الوزير منصب الوزارة عدة مرات حتى أوائل الحكم الثالث للسلطان الناصر محمد بن قلاوون . انظر فى ذلك كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك للمقريزى ١ / ٨٠٨ ، ٨١٦ ، ٨٣٦ .

٣ - ما بين المعقوفتين ساقط من نسخة « أ » ، وقد أثبتته من نسخة « ب » ونسخة « ج » .

٤ - البراطيل : هى الأموال التى تؤخذ من ولاية البلاد ومحتسبها وقضاتها وعمالها ، فأول من عمل ذلك بمصر الصالح بن رزيق فى ولاية النواحي فقط ثم بطل وعمل فى أيام العزيز بن صلاح الدين أحياناً وعمله الأمير شيخون فى الولاية فقط ثم أُنحش فيه الظاهر بقوق . انظر المواعظ والاعتبار للمقريزى ١١١/٨ .

٥ - الحمايات : شئ حدث فى أيام الناصر فرج وصار لذلك ديوان ومباشرون وعمل مثل ذلك الأمراء وهو من أعظم أسباب الخراب . انظر المواعظ والاعتبار للمقريزى ١١١/٨ .

٦ - ما بين المعقوفتين ساقط فى نسخة « أ » وأثبتته من نسختي « ب » و « ج » .

٧ - المقصود بالموارث ، المال المتحصل من الموارث الحشرية ، وقد شرح المقريزى أصله وطرق تحصيله فى عصره بالآتى : " وأما الموارث فإنها فى الدولة الفاطمية لم تكن كما هى اليم ، من أجل أن مذهبهم يورث ذوى الأرحام ، وأن البنت إذا انفردت استحققت المال بأجمعه ، فلما انقضت أيامهم ، واستولت الدولة الأيوبية ، ثم الدولة التركية ، صار من جملة أموال السلطان مال الموارث الحشرية ، وهى التى يستحقها بيت المال عند عدم الوارث ، فتعدل فيه الورثة مرة وتظلم أخرى " انظر المواعظ والاعتبار للمقريزى ١١١/٨ .

٨ - ما بين المعقوفتين زيادة من نسخة « ب » وساقطة من نسختي « أ » و « ج » .

واشتد الأمر على التجار لرمى البضائع عليهم بزيادة الأثمان والقيم ، وكثرت المصادرات فى الولاة وأرباب الأموال ، وعظم الجور على أهل النواحي ، وحملت التقاوى السلطانية من الضياع ، واشتد الأمر على أهل دمشق وتابلس ويعليك والبقاع وغيرها ، وكانت أيام فى غاية الشدة من الغلاء وكثرة الأمراض [والموت] ^(١) وعموم الظلم .

ووقع بآخر هذا الغلاء أعجوبة فى غاية الغرابة لم يسمع بمثلها : وهى أن رجلاً من أهل الفلح بجبة عسال - إحدى قرى دمشق الشام - خرج بشور ^(٢) [ص / ٢٤] له ليرد الماء ، فإذا عدة ^(٣) من الفلاحين قد وردوا ^(٤) الماء ، فأورد الشر حتى إذا اكتفى نطق بلسان فصيح اسمع من بالمرود ، وقال : " الحمد لله والشكر له ، إن الله تعالى وعد هذه الأمة سبع سنين مجدية ، فشفع لهم النبى ﷺ . وأن الرسول أمره أن يبلغ ذلك ، وأنه قال : يا رسول الله فما علامة صدقى عندهم؟ قال : أن قوت بعد تبليغ الرسالة " ، وإنه بعد فراغ كلامه صعد إلى مكان مرتفع وسقط منه ومات ، فتسامع به أهل القرية ، وجازوا من كل حذب ينسلون ، فأخذوا شعره وعظامه للتبرك . فكانوا إذا بخروا به موعوكاً برئ ، وعمل بذلك محضر مثبت على قاضى البلد ، وحمل إلى السلطان بمصر ، فوقف عليه الأمراء ، واشتهر بين الناس خبره وشاع ^(٥) ذكره .

وعقب ذلك انحلت الأسعار ، وجاء الله بالفرج ، { وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِنْ دَابَّةٍ آيَاتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ * وَاجْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيَّاحِ آيَاتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ } ^(٦) .

١ - ما بين المعقوفتين من نسخة « ب » وساقط من نسخة « أ » ونسخة « ج » .

٢ - فى نسخة « أ » : " ثور " ، وما أثبتته من نسخة « ب » .

٣ - فى هامش صفحة النسخة « أ » مكتوب بنفس خط المتن : " أعجوبة لم تسمع مثلها " .

٤ - فى نسخة « أ » : " فرودوا " ، وما أثبتته من نسخة « ب » .

٥ - ذكر هذه القصة بأكملها الإمام المقرئ فى كتابه « السلوك لمعرفة دول الملوك » ١ / ٨١١ - ٨١٢ .

٦ - سورة الجاثية الايتان (٤ ، ٥) .

"غلاء فى زمن الملك الناصر محمد بن قلاوون"

وفى أول شهر رجب سنة ست وثلاثين وسبعمائة وقع الغلاء بالديار المصرية ، فى أيام الملك الناصر محمد بن قلاوون ^(١) ، وعز القمح ، ووصل كل أردب إلى سبعين درهماً ، والفلول إلى خمسين ، والخبز كل خمسة أرتال بدرهم ، ولا يكاد يوجد . وعدم القمح من الأسواق . وصار على كل دكان من دكاكين الخبازين عدة من الناس . وصار الخبز كالكسب ^(٢) من السواد . فرتب الوالى على كل حانوت أربعة من أعوانه معهم المطارق ^(٣) لدفع الناس عن حوانيت الخبز لئلا يتهب . فضج ^(٤) الناس للسلطان واستغاثوا . فجمع الأمراء وقال لهم : " يا أمراء ! شهر عليكم ، وشهر على ، وشهر على الله " . ففتح الأمراء الشئون ^(٥) ، وباعوا كل أردب بثلاثين درهماً . ففرج عن الناس . وفتح السلطان حواصله فى شعبان . وباع كل أردب بخمسة وعشرين درهماً ، ودخل الفول الجديد والشعير ، فأكل الناس منه إلى أن دخل شهر رمضان ، فجاء القمح الجديد ، وانحل السعر .

"غلاء فى أيام الأشرف شعبان"

ثم وقع الغلاء فى أيام الأشرف شعبان ^(٦) . وسببه قصور النيل فى سنة ست وسبعين وسبعمائة ^(٧) ، فلم يبلغ ستة عشر ذراعاً وكسر الخليج فانحط [ص ٢٦ / ٢٥] الماء ، وارتفع

١ - هو الملك الناصر محمد بن الملك المنصور قلاوون بن عبد الله الصالحى الذى ولد فى سنة ٦٨٤ هـ وقد توفى سنة ٧٤١ هـ ، انظر ترجمته فى شذرات الذهب لابن العماد ٦ / ١٣٤ ، ١٣٥ .

٢ - الكسب : عصارة الدهن ، وعند العامة ، ما يتبقى من السمسم بعد عصره . انظر لسان العرب لابن منظور " ك . س . ب " .

٣ - المطارق : جمع مطرق ، وهو العصاة من الخشب الحشن ، كالعصاة التى يستعملها البدو فى سوق الجمال ، انظر لسان العرب لابن منظور " ط . ر . ق " .

٤ - فى نسخة " أ " : " فضجوا " . وما أثبتته من نسخة " ب " .

٥ - الشئون : مفردا : شونة وهى مخزن الغلة . انظر معجم المصطلحات والألقاب التاريخية لمصطفى عبد الكريم الخطيب ص ٢٧٨ .

٦ - هو الملك الأشرف أبو المفاخر شعبان بن الأمير حسين بن الملك الناصر محمد بن قلاوون توفى سنة ٧٨٣ هـ ، انظر حسن المحاضرة فى تاريخ مصر والقاهرة للسيوطى ٢ / ١١٨ - ١٢٠ .

٧ - وقع بمصر قبل هذا التاريخ وباء شنيع لم يبق ولم يذر ، اجتاح كثيراً من الشرق والغرب معاً وذلك فى سنة ٧٤٩ هـ واستمر هذا الوباء لمدة سنتين تقريباً ، قال عنه ابن تفرى بردى : كان فى سنة تسع وأربعين وسبعمائة الوباء العظيم ، وكان القناء العظيم الذى عم الأرض والدنيا ، قسات بهذا الطاعون بمصر =

السعر فبلغ القمح كل أردب إلى مائة وخمسين [درهماً] ^(١) والشعير إلى مائة ، والخبز إلى رطل ونصف الدرهم. وعزت الأقوات وقل وجودها ، فمات الكثير من الجوع حتى امتلأت الطرقات ، وأعقب ذلك وباء مات فيه كثير من الناس ، و [فى هذا الغلاء] ^(٢) بلغ الفروج إلى مائة درهم فما فوقها ، والبطيخة إلى مائة وخمسين . وكان السائل يطلب اللبابة ليشمها ، ويصيح حتى يموت ، فأمر السلطان بجمع الفقراء ، وفرقهم على الأمراء ومياسير التجار . ودام [هذا] ^(٣) الغلاء نحو سنتين ، ثم أغاث الله الخلق وأجرى النيل ، فترت الأراضى ، وحصل الرخاء بعدما خامر اليأس القلوب ، وظن الكثير من الناس دوام تلك الشدة ، واستبعد حصول الفرج. وهى حادثة شاهدها ، ومحنة أدركناها ، [وَهُوَ الَّذِي يَنْزِلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ] ^(٤).

= والشام وغيرها خلافت لا تحصى . انظر النجوم الزاهرة ١٠ / ٢٠٠ ، ٢٣٣ ، وشذرات الذهب لابن العماد ١٥٨/٦ .

١ - ما بين المعقوفتين زيادة من نسخة « ب » .

٢ - ما بين المعقوفتين زيادة من نسخة « ب » .

٣ - ما بين المعقوفتين زيادة من نسخة « ب » .

٤ - سورة الشورى الآية (٢٨) .

الفصل الثانى

فى بيان الأسباب التى نشأت عنها هذه المحن التى نحن

فيها حتى استمرت طول هذه الأزمان التى دفعنا إليها

اعلم ، تولى الله أمرك بالحياطة والهداية ، ولا أخاك من الكفاية والعناية ، أن الغلاء الذى حل بالخلق منذ كانت الخليقة ، فيما نقل من أخبار بسائر البلاد فى قديم الزمان وحديثه ، على ما عرف من أحوال الوجود وطبيعة العمران ، وعلم من أخبار البشر ، إنما يحدث من آفات سماوية فى غالب الأمر : كقصور^(١) جرى النيل بمصر ، وعدم نزول المطر بالشام والعراق والحجاز وغيره ، أو آفة تصيب الغلال من سمائم تحرقها أو رياح تهيفها ، أو جراد يأكلها ، وما شابه ذلك . هذه عادة الله تعالى فى الخلق ، إذا خالفوا أمره وأتوا محارمه ، أن يصيبهم بذلك جزاء ما كسبت أيديهم^(٢) .

وأما هذا الأمر الذى حل بمصر فإنه بخلاف ما قدمناه . وبيانه أن النيل قصر جريه فى سنة ست وتسعين وسبعائة ، فشرق أكثر الأراضى ، وتعطلت من الزراعة . فارتفعت الأسعار حتى بلغ سعر القمح إلى سبعين درهماً الأردب . ثم أغاث الله سبحانه وتعالى الخلق بكثرة ماء النيل ، حتى عم الإقليم كله ، فأحب الناس لذلك الكثير من البذر ، وكانت الغلات بأيديهم قليلة ، لعدم [ص / ٢٦] زراعة أكثر البلاد فى سنة ست وتسعين كما مر ، لا جرم أن تزايدت الأسعار ، حتى بلغ سعر كل أردب من القمح إلى نحو مائتى درهم والشعير بمائة وخمسة دراهم . هذه عادة بلاد مصر من الزمن القديم : إذ تأخر جرى النيل بها أن يمتد الغلاء سنتين . فلما كان أوان مجيء الغلال الجديدة فى سنة ثمان وتسعين انحلت الأسعار إلى أن رجعت نحو ما كانت قبل حدوث الغلاء ، أو قريباً منه .

١ - فى نسخة « أ » : « القصور » ، وما أثبتته من نسخة « ب » ونسخة « ج » .

٢ - اقتباس من قول الله عز وجل : { وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاؤُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى } سورة النجم الآية (٣١) ، وقال تعالى : { ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاؤُوا السُّوءِ أَن كُذِّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِءُونَ } سورة الروم الآية (١٠) .

واستمر الأمر حتى مات الظاهر برقوق فى نصف شوال سنة إحدى وثمانمائة ، ولم يكن حينئذ بالقاهرة [قمح]^(١) ، وكان يبلغ ثلاثين درهماً الأردب . فبيع فى اليوم الثانى لموته كل أردب من القمح بأربعين درهماً . وتزايد حتى بيع فى سنة اثنتين وثمانمائة ببضع وسبعين درهماً الأردب . وقادى الأمر كذلك إلى أن قصر مد النيل فى سنة ست وثمانمائة ، فشنع الأمر ، وارتفعت الأسعار حتى تجاوز الأردب من القمح أربعمائة درهم . وسرى ذلك فى كل ما يباع من مأكول ومشروب وملبوس . وتزايد أجر الأجراء - كالبناة والفعلة وأرباب الصنائع والمهن^(٢) - تزايداً لم يسمع بمثله فيما قرب من هذا الزمن ، حتى جاء الغوث من [عند]^(٣) الله تعالى فى سنة سبع وثمانمائة ، فكثرت زيادة النيل ، وعم النفع به الإقليم ، فاحتاج الناس إلى البذر . وكانت الغلال تحت أيدي أهل الدولة وغيرهم كثيرة جداً لأمرين : أحدهما احتكار الدولة الأقوات ومنع الناس من الوصول إليها إلا بما أحبوا من الأثمان ، والثانى زكاء^(٤) الغلال فى سنة ست وثمانمائة ، فإنه حصل منها ما لم يسمع بمثله فى هذا الزمن . فلأجل هذا وغيره ، مما سيأتى ذكره إن شاء الله تعالى ، تفاقم الأمر وجل الخطب وعظم الرزء^(٥) . وعمت البلية وطمت ، حتى مات من أهل الإقليم بالجوع والبرد ما ينيف^(٦) عن نصف الناس . وعم الموتان حتى نفقت الدواب فى سنة ست [وسنة]^(٧) سبع ، وعز وجودها . وبلغت أثمانها إلى حد نستحي من ذكره .. ونحن الآن فى أوائل سنة ثمان وثمانمائة^(٨) ، والأمر فيها من اختلاف النقود وقلة ما يحتج إليه ، وسوء التدبير [ص / ٢٧] وفساد الرأى ، فى غاية لا مرمى وراءها من عظيم البلاء وشنيع الأمر .

-
- ١ - ما بين المعقوفتين زيادة من نسخة « ب » .
 - ٢ - فى نسخة « أ » ونسخة « ج » : « المسين » وما أثبتته من نسخة « ب » .
 - ٣ - ما بين المعقوفتين زيادة من نسخة « ب » .
 - ٤ - فى نسخة « ج » : " زكى " وما أثبتته من نسخة « أ » ونسخة « ب » .
 - ٥ - الرزء : المصيبة ، والجمع : الرزايا ، وقد رَزَأَتْهُ رَزِيئَةٌ أى : أصابته مصيبة . لسان العرب لابن منظور " ر. ز. أ " .
 - ٦ - ينيف : يزيد ، والثبف : أى الزيادة . لسان العرب لابن منظور " ن . ي . ف " .
 - ٧ - ما بين المعقوفتين زيادة من نسخة « ب » وساقط من نسخة « أ » ، ونسخة « ج » .
 - ٨ - عندما يذكر المقرئ هذا التاريخ بالنسبة للمرسالة ، فإنه يعدّ دليلاً مادياً لتحديد تاريخها ، وبيان السبب الذى جعل المقرئ يكتبها .

وسبب ذلك كله ثلاثة^(١) أشياء لا رابع لها :

السبب الأول ، وهو أصل الفساد ، ولاية الخطط السلطانية والمناصب الدينية بالرشوة : كالوزارة والقضاء ونيابة الأقليم ، وولاية الحسبة ، وسائر الأعمال ، بحيث لا يمكن التوصل إلى شئ منها إلا بالمال الجزيل . فتخطى ، لأجل ذلك ، كل جاهل ومفسد وظالم وباغ إلى ما لم يكن يؤمله من الأعمال الجليلة والولايات العظيمة ، لتوصله بأحد حواشى السلطان ، ووعد به بالسلطان على ما يريده من الأعمال . فلم يكن بأسرع من تقلده ذلك العمل وتسليمه إياه . وليس معه ما وعد به شئ قل ولا جل ، ولا يجد سبيلاً إلى أداء ما وعد به إلا باستدانتها بنحو النصف مما وعد به ، مع ما يحتاج إليه من شارة وزى وخيول وخدم وغيره ، فتتضاعفت من أجل ذلك عليه الديون ، ويلزمه أربابها . لا جرم أنه يغمض عينيه ولا يبالي بما أخذ من أنواع المال ، ولا عليه بما يتلفه فى مقابلة ذلك من الأنفس ، ولا بما يريقه من الدماء ولا بما يسترقه من الحرائر ، ويحتاج إلى أن يقرّر على حواشيه وأعوانه ضرائب ، ويتعجل منهم أموالاً ، فيمدونهم أيضاً أيديهم إلى أموال الرعايا ، ويشترطون لأخذها بحيث لا يعفون ولا يكفون^(٢) . ثم نبأ^(٣) البائس فى جميع الأموال التى استدانها إذ أته استدعاءات من الأوامر وحواشى السلطان ، أو نزل به أحد منهم أن كان المتولى متقلداً عملاً من أعمال الريف ، فيحتاج له إلى ضيافات سنية وتقادم جليلة من الخيول والرقيق وغير ذلك بحسب الحال^(٤) ، ولا يشعر^(٥) مع ذلك إلا وغيره قد تقلد ذلك العمل بما التزم به ، وقد بقيت عليه جملة من

١ - بهامش الصفحة ومقابل هذه العبارة فى النسخة « أ » مكتوب ما يلى : " أسباب الفلا والمحن والوباء... " .

٢ - وردت هذه العبارة فى جميع النسخ هكذا : " لا يعفوا ولا يكفوا " والضحاح ما أثبتته لأن الحرف " لا " حرف نفى فى هذا الموضع ولا يؤثر على الفعل المضارع فيؤدى هذا التأثير إلى حذف حرف النون ، ولعله سهو أو تحريف من الناسخ .

٣ - فى نسخة « أ » : " نبأ البائس " ، وفى نسخة « ب » : " بئنا البائس " ، وفى نسخة « ج » : " نبأ البائس " وهى الأقرب إلى الصحة .

٤ - فى نسخة « أ » : " المال " ، وما أثبتته من نسخة « ب » ، ونسخة « ج » .

٥ - فى نسخة « أ » : " ولم يشعر " ، وما أثبتته من نسخة « ب » ونسخة « ج » .

الديون . فيحاط على ما يوجد له من أثاث وحيوان وغيره . وَيَشْخَصُ^(١) فى أنحس^(٢) حال ، وقد أحيط كما ذكرنا بماله ، ويعاقب العقوبات المؤلمة ، فلم يجد بداً من الالتزام بما آخر ، ليقلد العمل الأول أو غيره من الأعمال .

فلما دُهِى أهل الريف بكثرة المغارم وتنوع المظالم ، اختلت أحوالهم ، وتمزقوا كل [ص / ٢٨] ممزق ، وَجَلَّوْا^(٣) عن أوطانهم ، فقلت مجابى البلاد ومتحصلها ، لقللة ما يزرع [بها]^(٤) ، وتخلو أهلها ورحيلهم عنها لشدة الوطأة من الولاة عليهم ، وعلى من بقى منهم . وكان هذا الأمر كما قلنا مدة أيام الظاهر [برقوق]^(٥) إلى أن حدث غلاء سنة [ست]^(٦) وتسعين ، كما مر ذكره ، فظهر بعض الخلل لا كله فى أحوال عامة الناس لأمرين : أحدهما البقية التى كانت بأيدي الناس فاحتملوا الغلاء لأجلها ، والثانى ، كثرة صلات الظاهر وتوالى بره مدة الغلاء فى سنة سبع وثمان وتسعين ، بحيث لم يمت فيه أحد بالجوع فيما نعلم .

وانسحب الأمر فى ولاية الأعمال بالرشوة إلى أن مات الظاهر [برقوق]^(٧) ، فحدث لموته اختلاف^(٨) بين أهل الدولة ، [آل]^(٩) إلى تنازع وحروب قد ذكرتها فى كتاب مفرد^(١٠) . فاقتضى الحال من أجل ذلك ثورة أهل الريف وانتشار الزُعمار^(١١) وقطاع الطريق ، فخيفت

١ - فى نسخة « أ » : " لشخص " ، وما أثبتته من نسخة « ج » .

٢ - النحس : ضد السعد ، وكأنه يقصد هنا أنحس حال .

٣ - فى نسخة « أ » : " فجلوا أهلها ورحيلهم عنها " . وما أثبتته من نسخة « ب » ، ونسخة « ج » .

٤ - ما بين المعقوفين زيادة من نسخة « ب » .

٥ - ما بين المعقوفين ساقط من « أ » و « ج » وأثبتته من نسخة « ب » .

٦ - ما بين المعقوفين زيادة من نسخة « ب » .

٧ - ما بين المعقوفين زيادة من نسخة « ب » .

٨ - فى نسخة « أ » : " اختلافاً " والصحيح ما أثبتته من نسخة « ب » ، ونسخة « ج » .

٩ - ما بين المعقوفين زيادة من نسخة « ب » .

١٠ - لعل المقصود بهذا الكتاب هو جزء من أجزاء كتاب " السلوك لمعرفة دول الملوك " لأن المقرئ لم يُعرف عنه أن ألف كتاباً فى أخبار السلطان الظاهر برقوق وحده ، وهذا الكتاب ، أى كتاب السلوك مطبوع ومعروف .

١١ - الزُعمار : والزعرة والزعر ، جمع زاعر ، وهو اللص والمحتال والعبار والحرفوش والمتشرد ، انظر فى ذلك لسان العرب لابن منظور " ز . ع . ر " .

السبل ، وتعذر الوصول إلى البلاد إلا بركوب^(١) الخطر العظيم ، وتزايدت غباوة أهل الدولة ، وأعرضوا عن مصالح العباد ، وانهمكوا فى اللذات لتحق [عليهم]^(٢) كلمة العذاب ، { وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترقيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميراً }^(٣) .

السبب الثانى غلاء الأطنان : وذلك أن قوماً ترقوا فى خدمة الأمراء ، يتولفون إليهم بما جبوا^(٤) من الأموال إلى أن استولوا على أحوالهم ، فأحبوا مزيد القرية منهم ، ولا وسيلة أقرب إليهم من المال ، فتعدوا إلى الأراضي الجارية فى إقطاعات الأمراء ، واحضروا مستأجرىها من الفلاحين ، وزادوا فى مقادير الأجر . فشقلت لذلك متحصلات مواليتهم من الأمراء ، فاتخذوا ذلك يدك يثمنون بها إليهم ، ونعمة يعدونها إذا شاؤوا عليهم ، فجعلوا الزيادة ديدنهم كل عام ، حتى بلغ الفدان لهذا العهد تحوراً من عشرة أمثاله قبل هذه الحوادث . لا جرم أنه لما تضاعفت أجرة الفدان من الطين إلى ما ذكرنا ، وبلغت قيمة الأردب من القمح المحتاج إلى بذره ما تقدم ذكره ، تزايدت كلفة الحرث [ص / ٢٩] والبذر والحصاد وغيره ، وعظمت نكايه الولاية والعمال ، واشتدت وطأتهم على أهل الفلح ، وكثرت المغارم فى عمل الجسور^(٥) وغيرها .

وكانت الغلة التى تحصل من ذلك عظيمة القدر زائدة الثمن على أرباب الزراعة ، سيما^(٦) فى الأرض منذ كثرت هذه المظالم . ومنعت الأرض زكاتها^(٧) ، ولم تؤت ما عهد^(٨)

١ - ورد فى جميع النسخ : " بارتكاب " والصحيح الذى يتفق والمعنى اللغوى ما أثبتته .

٢ - ما بين المعقوفتين زيادة من نسخة « ب » .

٣ - سورة الإسراء الآية (١٦) .

٤ - فى نسخة « أ » : " جيون " وفى نسخة « ب » : " يحيون " ، والصحيح ما أثبتته من نسخة « ج » .

٥ - الجسور : المفرد " الجسر " وهى الطرق المرتفعة على جانبي النيل وفروعه وترعه ، وهى تقام لحفظ البلاد من أخطار الفيضان ، وهى نوعان : جسور سلطانية ، أى الجسور العامة التى يجب على السلطان تمهدها بالعصارة والإصلاح والمراقبة ، وجسور بلدية ، أى الجسور الخاصة الواقعة فى إقطاع من الإقطاعات ، وعلى الأمير أو الجندى صاحب الإقطاع أن يتولاها ويلتزم تدبير المحافظة عليها ، ويظهر أن العمل فى تلك الجسور كلها كان سخرة ، انظر فى ذلك صبح الأعشى للقلقشندي ٤٤٤/٣ - ٤٤٤٦ ، وقوانين الدواوين لابن مامى ص ١٦ ، ١٧ ، وكتاب السلوك لمعرفة دول الملوك للمقريزى ٦٣٨/١ ، ٨٣٤ .

٦ - فى نسخة « أ » : " سما فى الأرض " وكذلك فى نسخة « ج » ، وما أثبتته من نسخة « ب » .

٧ - فى نسخة « ب » : " بركاتها " ، وما أثبتته من نسخة « أ » وكذلك نسخة « ج » .

٨ - فى نسخة « أ » و « ج » : " وكذلك " وما أثبتته من نسخة « ب » .

من أكلها . والخسارة يأبأها كل واحد طبعاً ، ولا يأتيها طوعاً . ومع أن الغلال معظمها لأهل الدولة ، أولى الجاه وأرباب السيوف ، الذين تزايدت في اللذات رغبتهم ، وعظمت في احتجاز أسباب^(١) انحطاطه ، فخرّب بما ذكرنا معظم القرى ، وتعطلت أكثر الأراضى من الزراعة ؛ فقلت الغلال وغيرها مما تخرجه الأرض ؛ لموت أكثر الفلاحين تشردهم في البلاد من شدة السنين وهلاك الدواب^(٢) ، ولعجز الكثير من أرباب الأراضى عن زرعها ؛ لغلو البذر وقلة المزارعين . وقد أشرف الإقليم لأجل هذا الذى قلنا على البوار والدمار ، { سُنَّةُ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا } (٣).

السبب الثالث رواج الفلوس : اعلم جعل الله لك إلى كل خير سبيلاً ذلواً ، وعلى كل فضل علماً ودليلاً ، أنه لم تزل سُنَّةُ الله في خلقه ، وعادته المستمرة منذ كانت الخليقة إلى أن حدثت هذه الحوادث ، وارتكبت هذه العظائم التى قلناها فى جهات الأرض كلها ، عند كل أمة من الأمم كالفرس والروم وبنى إسرائيل واليونان والقبط ، بل والنبط والتبابعة أقبال اليمن ، والعرب العاربة والعرب المستعربة ، ثم فى الدولة الإسلامية منذ ظهورها ، على اختلاف دولها التى قامت بدعوتها والتزمت بشريعتها كبنى أمية بالشام والأندلس ، وبنى العباس بالمشرق ، والعلويين بطبرستان وبلاد المغرب وديار مصر والشام وبلاد اليمن ، ودولة الترك (بنى سلجوق) ، ودولة الديلم والمغول بالمشرق ، ودولة الأكراد بمصر والشام وديار بكر ، ثم ملوك الترك بمصر ، أن النقود التى تكون أثماناً للمبيعات وقيماً للأعمال [ص / ٣٠] إنما هى الذهب والفضة فقط ، لا يعلم فى خبر صحيح ولا سقيم عن أمة من الأمم ولا طائفة من طوائف البشر أنهم اتخذوا أبداً فى قديم الزمان^(٤) ولا حديثه نقداً غيرهما ، حتى قيل [إن]^(٥) أول من ضرب الدينار والدرهم آدم عليه الصلاة والسلام ، وقيل لا تصلح المعيشة إلا بهما ، رواه الحافظ بن عساكر فى تاريخ دمشق .

١ - فى نسخة « أ » : " أرباب " وما أثبتته هو الصحيح .

٢ - فى نسخة « أ » : " البلاد " ، وما أثبتته من نسخة « ب » .

٣ - سورة الأحزاب الآية (٦٢) .

٤ - بهامش الصفحة مقابل هذه العبارة فى نسخة « أ » مكتوب : " مطلب أول من ضرب الدينار والدرهم " .

٥ - ما بين المعقوفتين زيادة من نسخة « ب » .

وستتلو عليك من ثبأ ذلك ما يوضح لك صحة ما أشرت إليه ، فأقول مستعيناً بالله ربى ، فإنه مولاي وحسى : أعلمُ زادك الله علماً وآتاك بياناً وفهماً ، أن الدراهم التى كانت نقد الناس على وجه الدهر ما زالت ، حتى قيل [إن ^(١)] أول من ضرب الدنانير والدراهم ، صاغ الحلى من الذهب والفضة ، فالغ بن غابر بن شالغ بن ارفخشذ بن سام بن نوح عليه السلام . وتداول الناس ذلك من زمنه . وآخر ما كانت الدراهم على نوعين : السوداء ^(٢) الوافية ، والطبرية العتق ^(٣) وهما غالب ما يتعامل به البشر ، وكان أيضاً لهم دراهم تسمى جوارقية ^(٤) .

وكانت نقود العرب فى الجاهلية التى تدور بينها : الذهب والفضة لا غير ، ترد إليها من الممالك دنانير الذهب قيصيرية من قبل الروم ، ودراهم فضة على نوعين : سوداء وافية ، وطبرية عتيقة ، وكان وزن ^(٥) الدرهم والدینار فى الجاهلية مثل وزنهما فى الإسلام مرتين . ويسمى المثلقال درهماً ، والمثلقال ^(٦) ديناراً . ولم يكن شىء من ذلك يتعامل به أهل مكة فى جاهليتها ، وإنما كانت تتعامل بالمثاقيل ، وزن الدراهم ووزن الدنانير ، وكانوا يتعاملون

١ - ما بين المعقوفتين زيادة من نسخة « ب » وساقط من نسختي « أ » و « ج » .

٢ - الدراهم السوداء : هى الدراهم النحاسية التى يكون فيها اليسير من الفضة ، وتسمى الدراهم السود ، والدراهم المسودة . انظر فى ذلك صبح الأعشى للتلقيشندى ٤٣٩/٣ - ٤٤٤ ، و ص ٤٦٥ ، ٤٦٨ .

٣ - الدراهم الطبرية العتق : هى الدراهم التى كانت تأتى من طبرية الشام إلى بلاد العرب ، حيث كانت معظم تجارة العرب من الدولة الرومانية ، أو أنها عرقت بتلك التسمية لأنها كانت تضرب فعلاً بتلك المدينة زمن الرومان ، انظر :

De. Sacy : Traite de la monnaie musulmane, p. 12 . N. 3 .

٤ - فى نسخة « أ » : "جوارقية" وكذلك فى نسخة « ب » ، أما فى نسخة « ج » : "جوارقة" .

وقد ذكرها المقرئى فى كتابه " شذور العقود فى ذكر النقود " جوارقية " فى ص ٣ طبعة :

(ed. Tychsen, Rostoh, 1798)

٥ - فى هامش النسخة « أ » مقابيل هذه العبارة مكتوب الآتى : " وزن الدرهم والدینار فى الجاهلية والإسلام" .

٦ - من المعروف أن إطلاق كلمة المثلقال على الدينار فى العصر الإسلامى يرجع إلى عهد الخليفة عبد الملك بن مروان فى سنة ٧٦ هـ / ٦٩٥ م ، وذلك بعد إصلاحه نظام النقد فى الدولة الأموية ، إذ جعل المثلقال وحدة الذهب ، وقرر أن يكون وزن الدينار مثقالاً واحداً كما كان من قبل (أى ٦٥,٥ حبة ، أو ٤,٢٥ جراماً) =

بأوزان اصطلاحوا عليها فيما بينهم ، وهى الرطل الذى هو اثنتا^(١) عشر أوقية ، والأوقية وهى أربعون درهماً ، فيكون الرطل ثمانين وأربعمئة درهم . [والرطل الآن بمصر اثنتا عشرة أوقية ، والأوقية اثنا عشر درهماً ، فيكون الرطل مائة وأربعة وأربعون درهماً ، ورطل دمشق اثنتا عشرة أوقية ، والأوقية خمسون درهماً ، فيكون الرطل ستمائة درهم] ^(٢) . والنش^(٣) وهو نصف الأوقية (حُوكِت صادهُ شيئاً فقليل نش) هو عشرون درهماً . والنواة^(٤) وهى خمسة دراهم . والدراهم على قسمين : طبرية ، وزنة الدرهم منها ثمانية دوانيق ، وقيل أربعة دوانيق ، وبغلية^(٥) ، وزنة الواحد منها أربعة دوانيق ، وقيل ثمانية دوانيق ^(٦) . وزنة الدرهم من الجوارفية [ص / ٣١] أربعة دوانيق ونصف دانق . والدانق زنته ثمانى حبات وخُمُسا حبة من حبات الشعير المتوسطة التى لم تقسم ، وقد قطع من طرفيها ما امتد . [والدرهم

وقد حدث مثل ذلك أكثر من مرة فى عهد المالك بمصر . انظر صبح الأعشى للقلقشندي ٤٣٩/٣ - ٤٤٣ . ويقول الماوردي فى كتابه الأحكام السلطانية ص ١٤٧ : إن الدرهم المتداولة فى بلاد العرب أيام الجاهلية كانت على ثلاثة أوزان ، ومن بينها واحد فقط على وزن المثقال .

- فى نسخة « أ » : " اثني عشر وقية " وما أثبتته هو الصحيح لغة .

- ما بين المعرفتين ساقط من نسختي « أ » و « ب » وما أثبتته من نسخة « ج » .

- يذكر المقرئى فى كتابه " الأوزان والأكيال الشرعية " ص ٢٣ أن النش يكون لعشرين درهماً ، والأوقية أربعين درهماً .

- يقول المقرئى فى كتابه " الأوزان والأكيال الشرعية " ص ٢٣ : العرب تقول نواة فتعنى بها خمسة دراهم .

- قيل أن الدرهم البغلية هى التى ضربها رجل اسمه رأس البغل اليهودى بأمر الخليفة عمر بن الخطاب . وقد تحدث عنه المقرئى بأن الدرهم البغلى يقال له الرافى ، ووزنه وزن الدينار ، وقد يعنى أنه أكبر الأوزان ، ثم هناك إشارة أخرى أكثر توضيحاً ، تقول إن زنته ذنة الدينار أى أنه يزن عشرين قيراطاً فهو إذن الذى يزن ثمانية دوانيق ، أى أن البغلى يساوى ثمانية دوانيق ، يساوى عشرين قيراطاً ، يساوى مثقال . انظر كتاب النقود الإسلامية الأولى للدكتور طاهر راغب حسين ١٩/١ ، ٢٠ .

- الدانق : لغة فارسية ، مشتقة من اللفظ : دانك ، وهو وحدة نقدية من العصر الإسلامى ، قيمتها تساوى سدس الدرهم ، والدرهم فى حينه وحدة من الفضة قيمته تساوى ١٠,٧ من الدينار الإسلامى المعرب الذى يزن ٤,٢٥ جرام ذهب . انظر القاموس الإسلامى لأحمد عطية الله ٣٣٢/٢ ، ومعجم المصطلحات والألقاب التاريخية لمصطفى عبد الكريم الخطيب ص ١٧٥ .

البغلى كان يقال له الواقى ، ووزنه وزن الدينار ، وعلى ذلك وزن دراهم فارس ، والدهرم الجواز^(١) ينقص كل عشرة منها عن البغلية ثلاثة ، فكل سبعة بغلية تكون عشرة بالجواز^(٢) . وكان الدينار يسمى لوزنه ديناراً ، وإنما هو تير^(٣) . ويسمى الدرهم لوزنه درهماً ، وإنما هو تير . وكانت زنة كل عشرة دراهم ستة مثاقيل ، والمثقال وزنه اثنان وعشرون قيراطاً إلا حبة ، هو أيضاً زنته اثنتان وسبعون حبة شعير عما تقدّم ذكره .

وقيل أن المثقال منذ وضع لم يختلف فى جاهلية ولا إسلام . ويقال أن الذى اخترع الوزن^(٤) فى الزمان القديم بدأ بوضع المثقال ، فجعله ستين حبة ، زنة الحبة مائة من حب الخردل^(٥) البرى المعتدل وإنه ضرب صنجة بزنة المائة الحبة من الخردل ، وجعل بوزنها والمائة الحبة صنجة ثانية ، ثم صنجة ثالثة ، حتى بلغ مجموع الصنج خمس صنجات . فكانت صنجة نصف سدس مثقال ، وأضعف^(٦) وزنها وصارت صنجة ثلث مثقال ، فركب منها نصف مثقال ، ثم مثقال ، [وخمسة ، وعشرة ، وفوق ذلك]^(٧) ، فعلى ذلك تكون زنة المثقال الواحد ستة آلاف حبة ، وكانت الموازين إنما هى الشواهين^(٨) .

- ١ - الدرهم الجواز : هو الدرهم الجائز شرعاً فى المعاملات ، جوز الدرهم ، جعلها جائزة أى رانجة ، ويجوز الدرهم قبلها على ما فيها من الزيف . لسان العرب لابن منظور " ج . و . ز . " .
- ٢ - ما بين المعقوفين ساقط من نسختى « أ » و « ج » وما أثبتته من نسخة « ب » .
- ٣ - التير : المقصود به هنا القطعة من المعدن عامة ، سواء فى ذلك الذهب والفضة والنحاس والحديد ، لسان العرب لابن منظور " ت . ب . ر . " .
- ٤ - فى هامش نسخة « أ » وأمام هذه العبارة مكتوب العبارة التالية : " اختراع الوزن " .
- ٥ - الخردل : مقردها الخردلة : وهو نبات عشبى ينبت فى الحقول مع الزرع ، أو على حافة الطرق ، حبه صغير جداً ، أسود مفرح يستعمل فى التوابل وله فوائد طبية . انظر لسان العرب لابن منظور " خ . ر . د . ل . " .
- ٦ - المقصود بالفعل " أضعف " هنا ضعف ، أو ضاعف ، أى جعل الشيء ضعفين ، على أن صيغة هذا بالألف المتوسطة هى أبلغ الصيغ الثلاث ، انظر فى ذلك لسان العرب لابن منظور " ض . ع . ف . " .
- ٧ - ما بين المعقوفين ساقط من نسخة « أ » و « ج » وما أثبتته من نسخة « ب » .
- ٨ - فى نسخة « أ » : " الشرايين " ، والشواهين جمع شاهين ومن معانيه عمود الميزان ، ولعل المقصود هنا الميزان كله . انظر لسان العرب لابن منظور " ش . ه . ن . " .

فلما بعث الله نبيه محمداً ﷺ أقر أهل مكة على ذلك كله ، وقال الميزان ميزان مكة ، وفي رواية : ميزان المدينة وقرض رسول الله ﷺ زكاة الأموال علي ذلك ، فجعل في كل خمس أوراق من الفضة الخالصة التي لم تغش خمسة دراهم من النواة ، وقرض في كل عشرين ديناراً نصف دينار ، وعمل بذلك أبو بكر رضى الله عنه أيام خلافته ، بعد رسول الله ﷺ ، ولم يغير منه شيئاً ، فلما استخلف عمر بن الخطاب رضى الله عنه أقر النقود على حالها ، ولم يعرض لها بشيء . حتى كانت سنة ثمانى عشرة من الهجرة ، فى السنة السادسة^(١) من خلافته . وأتته الوفود ، وأقبلت أهل البصرة ، فيهم الأحنف بن قيس ، فكلّم عمر رضى الله عنه فى مصالح أهل البصرة ، فوجه معقل بن يسار ، فاحتفر لهم نهر معقل ووضع الجرب^(٢) والدرهمين الوزنة^(٣) فى الشهر . وضرب عمر رضى الله عنه الدراهم على نقش الكسروية^(٤) ، وشكلها بأعيانها ، [ص/ ٣٢] غير أنه زاد فى بعضها « الحمد لله » ، وفى بعضها « رسول الله » ، وعلى آخر « لا إله إلا الله وحده » ، وعلى آخر « عمر » . والصورة صورة الملك لا صورة عمر . وجعل وزن كل عشرة دراهم ستة مثاقيل . فلما بويع عثمان [بن عفان]^(٥) رضى الله عنه ، ضرب دراهم ، ونقشها « الله أكبر » . فلما اجتمع الأمر لمعاوية بن أبى سفيان رضى الله عنه ، وجمع لزياد بن أبيه الكوفة والبصرة ، قال له " يا أمير المؤمنين ، إن العبد الصالح أمير المؤمنين عمر بن الخطاب صغر الدرهم وكبر القفيز^(٦) ، وصار يؤخذ عليه ضريبة أرزاق الجند ، وترزق عليه

١ - فى نسخة « أ » ، ونسخة « ج » : " الثانية " وفى نسخة « ب » " الثامنة " وهو خطأ واضح ، والصحيح ما أثبتته ، إذ المعروف أن الخليفة عمر بن الخطاب رضى الله عنه تولى الخلافة سنة ١٣ هجرية .
٢ - الجرب : هو مقياس للأرض ، ومقداره عشر قصبات فى عشر قصبات ، على أنه يختلف عن ذلك قليلاً باختلاف المكان والزمان ، والجرب فى الأصل مكيال ، وسعته ما يكفى من الحب لبذر مساحة معينة ، وسميت تلك المساحة لذلك باسم الجرب ، انظر الأحكام السلطانية للماوردى ص ١٤٦ ، ١٤٨ . طبعة الوطن ، القاهرة ١٢٩٨ هـ .

٣ - فى نسخة « أ » ، ونسخة « ج » : " الدرية " وما أثبتته من نسخة « ب » .

٤ - الكسروية : هى نسبة إلى كسرى ، والمقصود الدراهم الفارسية .

٥ - ما بين المعقوفتين زيادة من « ب » .

٦ - القفيز : هو عبارة عن مكيال قديم للحبوب ، وسعته ما يقرب من ربع أردب ، وهو أيضاً مقياس للأرض وقدره مائة وأربعة وأربعون ذراعاً ، والمعنى الأول هو المقصود هنا . انظر الأحكام السلطانية للماوردى ص ١٤٩ ، والقفيز بالمعنى الحديث نحو ستة عشرة كيلو جراماً . معجم المصطلحات والألقاب التاريخية لمصطفى الخطيب ، ص ٣٥٢ .

الذرية^(١)، طلباً للإحسان إلى الرعية، فلو جعلت أنت عياراً دون ذلك العيار ازدادت الرعية به مرفقاً، ومضت لك به السنة الصالحة".

فضرب [معاوية] ^(٢) السود الناقصة من ستة وائيق، تكون خمسة عشر قيراطاً غير حبة أو حبتين. وضرب منها زياد، وجعل وزن عشرة دراهم سبعة مثاقيل، وكتب عليها «زياد»، فكانت تجرى مجرى الدراهم. وضرب معاوية أيضاً دنانير عليها تمثاله متقلداً سيفاً، ثم قال: "يا معاوية! إنا وجدنا ضريك شر ضرب"، فقال له معاوية: "لأحرمك عطاك، ولاكسوتك القטיפه" ^(٣).

فلما قام عبد الله بن الزبير ^(٤) بمكة ضرب دراهم مدورة، فكان أول من ضرب الدراهم المستديرة، وإنا كانت قبل ذلك ما ضرب منها فإنه مسح غليظ قصير، فدورها عبد الله ونقش بأحد الوجهين «محمد رسول الله»، وبالأخر «أمر الله بالوفاء والعدل». وضرب أخوه مصعب بن الزبير ^(٥) دراهم بالعراق، وجعل لكل عشرة دراهم سبعة مثاقيل، وأعطاهم الناس في العطاء حتى قدم الحجاج بن يوسف الثقفي ^(٦) العراق من قبل عبد الملك بن مروان ^(٧)، فقال: "ما ينبغي أن نترك من سنة المنافق شيئاً"، فغيرها.

١ - في نسخة «أ»: "الذرية" وكذلك نسخة «ب» بدون تنقيط، وما أثبتته من أثبتته من نسخة «ج».

٢ - ما بين المعقوفتين زيادة من نسخة «ب».

٣ - المقصود بالقטיפه هنا جلد البعير.

٤ - في نسخة «أ»: "عنها"، وانظر ترجمة عبد الله بن الزبير في: نسب قريش للمصعب الزبيري ص ٢٣٧، وطبقات خليفة بن خياط ص ٢٨٤، وتاريخ خليفة بن خياط ص ٢٦٩، والتاريخ الكبير للبخاري ٦/١/٣ وسير السلف لإسماعيل التيمي ٥٠٩/٢، والمعارف لابن قتيبة ص ٢٢٤، وجمهرة أنساب العرب لابن حزم ص ١٢٢. والاستيعاب لابن عبد البر بهامش الإصافة ٣٠٠/٢، وصفة الصفرة لابن الجوزي ٧٦٤/١. وأسد الغابة لابن عبد البر ١٦١/٣، وسير أعلام النبلاء للذهبي ٣٦٣/٣، وشذرات الذهب لابن العماد ٧٩/١.

٥ - انظر ترجمته في الطبقات الكبرى لابن سعد ١٣٥/٥، ١٣٦، وطبقات خليفة بن خياط ص ٢٤١، والعبر في خبر من غير للذهبي ٥٩/١.

٦ - انظر ترجمة الحجاج بن يوسف الثقفي في: كتاب المعارف لابن قتيبة ص ٣٩٥، ٥٤٨، والمبدأ والتاريخ للمقدسي ٢٧/٦، والعبر في خبر من غير للذهبي ٣٧٢/١، وشذرات الذهب لابن العماد ١٠٦/١.

٧ - انظر ترجمة عبد الملك بن مروان في: الطبقات لخليفة بن الحياط ص ٢٤٠، وتهذيب التهذيب لابن حجر المصنفي ٤٢٣/٦، والعبر في خبر من غير للذهبي ٧٥/١، وشذرات الذهب لابن العماد ٨٢/١، ٩٧.

فلما استوثق الأمر لعبد الملك بن مروان ، بعد مقتل [عبد الله]^(١) ومصعب ، ابني الزبير بن العوام ، فحَصَّ عن النقود والأوزان والمكاييل ، وضرب الدنانير والدراهم ، فى سنة ست وسبعين من الهجرة . وسبب ذلك [ص/٣٣] أنه كتب فى صدر كتبه إلى الروم { قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ } ، وذكر النبى ﷺ مع التاريخ . فكتب إليه ملك الروم^(٢) : " إنكم قد أحدثتم كذا وكذا فاتركوه ، وإلا أتاكم فى دنائيرنا من ذكر نبيكم ما تكرهون " ، فعظم ذلك عليه ، وكلم خالد بن يزيد بن معاوية^(٣) ، فأشار عليه أن يترك دنائير الروم ، وينهى عن المعاملة بها ، ويضرب للناس دراهم [ودنانير]^(٤) فيها ذكر [الله]^(٥) . فضرب الدينار والدرهم ، فجعل وزن الدينار اثنين وعشرين قيراطاً سوى [حبة بالشامى ، وجعل وزن الدرهم خمسة عشر قيراطاً سواء]^(٦) ، والقيراط أربع حبات ، وكل دائق قيراطين ونصف . وكتب إلى الحجاج بالعراق أن أضربها قبلك ، فضرب الحجاج الدراهم ، ونقش فيها : « قل هو الله أحد » ونهى أن يضرب أحد^(٧) غيره . فضرب سُمَيْرُ^(٨) اليهودى دراهم فأخذه ليقطله ، فقال له : " عيار درهمى أجود من [عيار]^(٩) دراهمك . فلم تقتلنى ؟ " . فأبى إلا قتله . فوضع [سمير]^(١٠)

١ - ما بين المعرفتین زیادة من نسخة « ب » .

٢ - يقصد المقرئ بالروم هنا الدولة البيزنطية وكان ذلك يوافق سنة ٦٩٥م وكان إمبراطورها " جستكيان الثانى " انظر فى ذلك :

- Cambridge Mediaeval History, Vol, 2, p. 457 .

٣ - انظر ترجمة خالد بن يزيد بن معاوية بن أبى سفيان فى : شذرات الذهب لابن العماد الحنبلى ٩٦/١ ، حيث قال : كان لخالد بن يزيد معرفة بالطب والكيمياء وفنون من العلم .

٤ - ما بين المعرفتین ساقط من نسخة « أ » ونسخة « ج » وما أثبتته من نسخة « ب » .

٥ - ما بين المعرفتین زیادة من نسخة « ب » .

٦ - ما بين المعرفتین زیادة من نسخة « ج » .

٧ - فى نسخة « أ » : " أحدا " وما أثبتته هو الصحيح من نسختى « ب » و « ج » .

٨ - سُمَيْرُ اليهودى : هو من أهل بلدة " تيمنا " من بلاد العرب ، قرب حدود الشام . وقد كلفه الخليفة عبد الملك بن مروان بضرب الدراهم ، وهذه الدراهم عرفت باسم السميرية ، انظر فى ذلك :

De Sacy: Op, Cit., p. 22 .

٩ - ما بين المعرفتین زیادة من نسخة « ب » .

١٠ - ما بين المعرفتین زیادة من نسخة « ب » .

للناس صنع الأوزان ليستركه ، فلم يفعل . وكان الناس لا يعرفون الوزن ، إنما يزنون [الدرهم]^(١) بعضها ببعض ، فلما وضع سُمير الصنح كف بعضهم عن بعض . فقدمت تلك الدراهم مدينة رسول الله ﷺ ، و [بها]^(٢) بقية من الصحابة ، فلم ينكروا منها سوى نقشها ، فإن فيه صورة . وكان سعيد بن المسيب^(٣) يبيع بها ويشترى ، ولا يعيب من أمرها شيئاً . فجعل عبد الملك الذهب الذي ضربه على المثقال الشامي ، وهي الميالة^(٤) الوازنة زيادة المائة دينارين .

ويقال^(٥) في سبب ضرب عبد الملك الدينار والدراهم كذلك ، أن خالد بن يزيد بن معاوية ابن أبي سفيان قال له : " يا أمير المؤمنين ، إن العلماء من أهل الكتاب الأول يذكرون أنهم يجدون في كتبهم أن أطول الخلفاء عمراً من قدس الله في درهم " . فعزم على ذلك ، ووضع السكة^(٦) الإسلامية . وكان^(٧) الذي ضرب إذ ذاك الدراهم رجل من اليهود يقال له سُمير ، فنسبت الدراهم إليه ، وقيل لها الدراهم السُميرية .

وبعث عبد الملك بالسكة إلى الحجاج بالعراق ، فسبّرها الحجاج إلى الآثار لتضرب الدراهم بها . وتقدم إلى الأمصار كلها أن يكتب إليه منها كل شهر بما يجتمع قبلهم من المال كي

١ - ما بين المعقوفين زيادة من نسخة « ب » .

٢ - ما بين المعقوفين زيادة من نسخة « ب » .

٣ - يعتبر سعيد بن المسيب بن حزن المخزومي القرشي من كبار التابعين وفقهائهم وقد توفي سنة ٩٤ هـ ، انظر ترجمته في الطبقات الكبرى لابن سعد ٨٨/٥ ، وطبقات خليفة بن خياط ص ٢٤٤ ، وتاريخ خليفة بن خياط ص ٢٦٥ ، ٢٨٩ ، ٢٩٠ ، والمعارف لابن قتيبة ص ٤٣٧ ، ٤٣٨ ، وجمهرة أنساب العرب لابن حزم ص ١٤١ ، وحلية الأولياء لأبي نعيم ٢ / ١٦١ ، وسير أعلام النبلاء للذهبي ٢١٧/٤ ، والبدية والنهاية لابن كثير ٢٢٦/٩ ، ٢٤٣ ، ٥٦/١٠ ، وتهذيب التهذيب لابن حجر ٧٤/٤ ، والنجوم الزاهرة لابن تغري بردي ٢٢٨/١ ، وشذرات الذهب لابن العماد الحنبلي ١٠٢/١ .

٤ - الميالة : أي الوافية الوزن .

٥ - يوجد في هامش صفحة النسخة « أ » مقابل هذه العبارة كلمة " مهمة " .

٦ - السكة هي الحديدية التي تطبع عليها الدراهم ، ولذلك سُميت الدراهم المضروبة " سكة " انظر الأحكام السلطانية للمواردي ص ١٤٩ ، وقال المقرئ : السكة : هي الدينار والدروهم المضروبين ، سُمي كل منهما سكة لأنه طبع بالحديدية المعلمة ، ويقال لها السكة ، وكل مسمار عند العرب سكة . انظر كتاب الأوزان والأكيال الشرعية ص ٨٦ .

٧ - في نسخة « أ » : " وكان الرجل الذي ضرب إذ ذاك الدراهم رجل " .

يحصيه عندهم ، وأن تضرب الدراهم [ص/٣٤] بالآفاق على السكة الإسلامية ، وتحمل إليه أولاً فأولاً . وقد رُفِيَ كل مائة درهم درهماً عن الخطب وأجرة الضراب ، وتُشَقَّ [على أحد ^(١)] وجهي الدرهم { قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ } ، وعلى الآخر « لا إله إلا الله » ، وطوق الدرهم من وجهيه بطوق ، وكتب في الطوق الواحد « ضَرْبُ هَذَا الدَّرْهَمِ بِمَدِينَةِ كَذَا » ، وفي الطوق الآخر « مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ أَرْسَلَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظَاهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ » ^(٢) .

ونقل الثقات أن الذي دعا عبد الملك إلى ما صنع من ذلك أن الدراهم على وجه الدهر سوداء وافية وطبرية عتقا ، فلما نظر عبد الملك في أمور الأمة قال : إن هذه الدراهم تبقى مع الدهر ، وقد جاء في الزكاة أن في كل مائتي - أو في ^(٣) كل خمس أواق - خمسة دراهم . وأشفق إن جعلها ^(٤) كلها على مثال السود العظام مائتين عدداً يكون ذلك بخساً للزكاة ^(٥) ، وأن عملها كلها مثال الطبرية - ويحمل المعنى على أنها إذا بلغت مائتين عدداً وجبت الزكاة فيها - كان في ذلك حيف وشطط على رب المال . فاتخذ [عبد الملك منزلة بين ^(٦)] منزلتين فيها كمال الزكاة ، من غير بخس ولا إضرار بالناس ، مع موافقة ما سنَّه رسول الله وحده من ذلك .

وكان المسلمون قبل عبد الملك - وإلى أن صَنَعَ ما ذُكِرَ - يؤدون زكاة أموالهم شطرين من الكبار والصغار ^(٧) . فلما اجتمع الناس مع عبد الملك ما عزم عليه من ذلك ، عَمِدَ إلى درهم وافٍ فوزنه فإذا هو ثمانية دوانيق ، وإلى الدرهم من الصغار فإذا به يزن أربعة دوانيق ، فجمعها معاً وجعل زيادة الأكبر على نقص الأصغر ، وجعلهم درهمين متساويين زنة كل منهما

١ - ما بين المعرفتين زيادة من نسخة « ب » .

٢ - هذا المعنى مقتبس من الآية الكريمة : { هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظَاهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ } سورة الصف الآية (٩) .

٣ - في جميع النسخ المخطوطة « وفي » وما أثبتته أكثر توضيحاً .

٤ - في نسخة « أ » : " يجعلها " ، وما أثبتته من نسخة « ج » .

٥ - في نسخة « أ » : " بخس للزكاة " ، وفي نسخة « ب » : " بخمس " . وما أثبتته من نسخة « ج » . وهو الصحيح المناسب للمعنى .

٦ - ما بين المعرفتين زيادة من نسخة « ب » .

٧ - المقصود بالكبار والصغار هنا الدراهم الوافية وغير الوافية .

سنة دوانيق سواء ، واعتبر المثلث أيضاً ، فإذا هو ما برح في آباء الدهر موفياً محدوداً ، كل عشرة من الدرهم التي زنة الواحد منها ستة دوانيق تكون سبعة مشاقيل سواء ، فأقر ذلك وأمضاء ، ولم يعرض لتغييره .

وكان فيما عمل عبد الملك من الدراهم ثلاث فضائل : إحداها أن كل سبعة مشاقيل زنة عشرة دراهم ، وثانيها أنه عدل بين كبارها وصغارها حتى اعتدلت [ص/ ٣٥] ، وصار الدرهم ستة دوانيق ، وثالثها أنه موافق لما سنه رسول الله في فريضة الزكاة بغير وكس^(١) ولا اشتطاط^(٢) . فمضت بذلك السنة ، واجتمعت عليه الأمة ، وضبط هذا الدرهم الشرعى المجمع عليه أنه كما مر زنة لعشرة دراهم سبعة مشاقيل ، وزنة الدرهم منها خمسون حبة وخمسا حبة من الشعير الذى وصف آنفاً ، ويقال له درهم الكيل ، فإن الرطل الشرعى منه يتركب ، ومن الرطل يتركب المد^(٣) ، ومن المد يتركب الصاع^(٤) ، وإنما جعلت العشرة من الدراهم الفضة بوزن سبعة مشاقيل من الذهب ؛ لأن الذهب أوزن من الفضة وأثقل . وكانهم جبروا حبة من الفضة ، ومثلها من الذهب ، ووزنهم فكانت زنة الذهب أزيد من زنة الفضة بقدر ثلاثة أسباع الدرهم . فلذلك جعلوا كل عشرة دراهم^(٥) بوزن سبعة مشاقيل ، لأن ثلاثة أسباع الدرهم إذا

١ - الوكس : النقص ، ووكس الشيء يكبسُ وكساً بمعنى نقص ، انظر لسان العرب لابن منظور " و . ك . س " .

٢ - الشطط : مجاوزة القدر والمقدّر . انظر لسان العرب لابن منظور " ش . ط . ط " .

٣ - المد : مكيال قديم ، فى تقديره اختلاف عند الفقهاء ، فهو عند الشافعية والمالكية نصف قده ، ووطل وثلاث عند أهل الحجاز ، وعند أهل العراق رطلان بينما عند أهل الشام حوالى سبعة أرتال بحسب الرطل الشامى الذى يزن ٢,٥ كيلو جرام . انظر معجم المصطلحات والألقاب التاريخية لمصطفى عبد الكريم الخطيب ص ٣٩١ .

٤ - الصاع : مكيال تكال به الحبوب ونحوها ، قدره أهل الحجاز قديماً بأربعة أمداد بالكيل المصرى ، أى أنه يساوى قديحين ونصف القده ، وقدره أهل العراق قديماً بثمانية أرتال ، وقيل الصاع معياره أربع حفنات يكفى الرجل الذى ليس بعظيم الكفين ولا صغيرها ، استخدم الصاع فى تحديد صدقة الفطر ، وقد جاء ذكره فى القرآن الكريم بلفظ : صواع مرة واحدة فى قوله تعالى : [قَالُوا نَفْقِدُ صَوَاعَ الْمَلِكِ وَلِمَنْ جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ] سورة يوسف الآية (٧٢) ، فالصواع هو المكيال . انظر معجم المصطلحات والألقاب التاريخية لمصطفى عبد الكريم الخطيب ، ص ٢٨٥ .

٥ - ما بين المعرفتين ساقط من نسختي « أ » و « ج » ، وقد أثبتته من نسخة « ب » .

أضيفت عليه بلغت مثقالاً ، والمثقال إذا نقص منه ثلاثة أعشاره بقى درهماً ، وكل عشرة مثاقيل تزن أربعة عشر درهماً وسبعى درهم . وقيل أن واضح الأوزان جعل الدرهم ستين حبة ، لكنه قال: كل عشرة دراهم تعدل زنة سبعة مثاقيل . فيكون على ذلك زنة الحبة سبعين حبة من [حب] ^(١) الخردل ، ومنها ركب الدرهم فما فوقه إلى الألف ، كما تقدم فى المثقال .

وضرب الحجاج الدراهم البيض ^(٢) ونقش عليها « قل هو الله أحد » ، فقال القراء : " قاتله الله ! أى شىء صنع للناس ؟ الآن يأخذه الجنب والحائض " . وكانت الدراهم قبل ذلك منقوشة بالفارسية . فكره ناس من القراء مسّها ^(٣) وهم على غير طهارة ، فقبل لها المكروهة، وصارت سمة لها وعلامة عليها .

ولقد سئل مالك رحمته الله ^(٤) عن تغيير كتابة الدنانير والدراهم ، لما فيها من كتاب الله تعالى ، فقال : " أول ما ضريت على عهد عبد الملك بن مروان والناس متوافرون ، فما أنكر أحد ذلك . وما رأيت أهل العلم أنكروه ، ولقد بلغنى أن ابن سيرين ^(٥) كان يكره أن يبيع بها ريشترى ، وما زال أمر الناس كذلك ، ولم أر أحداً منع ذلك ها هنا " [ص/٣٦] . وقيل لعبد الملك ^(٦) رحمه الله تعالى : " هذه الدراهم البيض فيها كتاب الله . يقلبها اليهودى والنصرانى

١ - ما بين المعرفتتين زيادة من « ب » .

٢ - المقصود بالدراهم البيض ما كان ثقيلاً وافى الوزن ، وكان الحجاج بن يوسف الثقفى أول من ضربها ، ويسمى الدينار النقى باسم الدينار الأبيض أيضاً .

٣ - مسّها : أى مس الدراهم البيض ، فالضمير هنا عائد على الدراهم البيض .

٤ - هو الإمام مالك بن أنس ، إمام أهل المدينة ، وانظر المزيد من ترجمته فى : تاريخ خليفة بن خياط ص ٣١٩ ، ٤٥١ ، وطبقات خليفة ص ٢٧٥ ، وتهذيب التهذيب لابن حجر ٥/١٠ والمعارف لابن قتيبة ص ٤٨٩ - ٤٩٩ ، وحلية الأولياء لأبى نعيم ٣١٦/٦ ، وأنساب العرب لابن حزم ص ٤٣٥ ، ٤٣٦ والبداية والنهاية لابن كثير ١١٩/١٠ ، والتجوم الزاهرة لابن تغرى بردى ٩٦/٢ ، ٩٧ ، وسير أعلام النبلاء للذهبي ٤٨/٨ ، والرسالة المستطرفة للكتانى ص ١٣ ، وشدرات الذهب لابن العماد ٢٨٩/١ ، والكمال فى التاريخ لابن الأثير ١٤٧/٦ .

٥ - هو محمد بن سيرين البصرى المولود فى سنة ٣٣ هـ والمتوفى سنة ١١٠ هـ وللمزيد عن ترجمته انظر : تهذيب الأسماء واللغات للنووى ٨٣/١ ، ٨٤ ، وتاريخ الإسلام للذهبي ١٩٢/٤ - ١٩٨ ، وروضات الجنات للخرانسانى ص ١٥١ ، ١٥٢ ، والأعلام للزركلى ٢٥/٧ ، ومعجم المؤلفين لكحالة ٣٣٨/٣ .

٦ - فى نسخة « أ » : " لعمر بن عبد العزيز " وهو خطأ واضح ، والصحيح ما أثبتته من نسخة « ب » .

والجنب والحائض . فإن رأيت أن تأمر بحوها " . فقال : " أردت أن تحتج عليهما الأمم أننا غيرنا توحيد ربنا واسم نبينا " ، ومات عبد الملك بن مروان والأمر على ما تقدم . وخلفه ابنه الوليد . ثم سليمان بن عبد الملك ، [ثم عمر بن عبد العزيز] ^(١١) .

فلم استخلف يزيد بن عبد الملك ^(١٢) . ضرب الهبيرة عمر بن هبيرة ^(١٣) بالعراق على عيار ستة دوانيق ، فكان أول من شدد في أمر الوزن ، وخلص الفضة أبلغ [من] ^(١٤) تخلص من قبله . فلما قام هشام بن عبد الملك ^(١٥) ، وكان جموعاً للمال ، أمر خالد بن عبد الله القسري ^(١٦) في سنة ست ومائة من الهجرة أن يصير العيار إلى وزن سبعة ، وأن يبطل السكك من كل بلد الأواسط . فضرب الدراهم بواسط ^(١٧) ، وكبر السكة . فكان خالد في تخلص الفضة أشد من قبله ، فضربت الدراهم على السكة الخالدية ، حتى عزل خالد في سنة عشرين [ومائة] ^(١٨) ، وتولى يوسف بن عمر الشقي ^(١٩) ، فأقرط في الشدة بحيث امتحن يوماً العيار فوجد درهماً ينقص حبة ، فضرب كل صانع ألف سوط ، وكانوا مائة صانع ، فضرب في حبة مائة ألف سوط . وصغر [يوسف] ^(٢٠) السكة وأجراها على وزن سبعة ، وضربها بواسط وحدها ، حتى

١ - ما بين المعقوفين ساقط من نسخة « أ » وأثبتته من نسختي « ب » و « ج » .

٢ - يزيد بن عبد الملك بن مروان توفي سنة ١٠٥ هـ . انظر ترجمته في : العبر للذهبي ٩٧/١ ، والبداية والنهاية لابن كثير ٢٣١/٩ - ٢٣٣ ، وثمرات الذهب لابن العماد ١٢٨/١ .

٣ - عمر بن هبيرة الفزاري توفي سنة ١٠٦ هـ . انظر ترجمته في العبر للذهبي ٩٩/١ .

٤ - ما بين المعقوفين زيادة من « ب » .

٥ - هشام بن عبد الملك الأموي وكانت خلافته عشرين سنة إلا أشهراً ، عاش أربعاً وخمسين سنة توفي في سنة ١٢٥ هـ ، انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء للذهبي ٣٥١/٥ . وتاريخ اليعقوبي ٥٧/٣ ، وتاريخ الطبري ٢٠٠/٧ . وتاريخ الخلفاء للسيوطي ص ٢٦٩ ، والعبر للذهبي ١٢٢/١ .

٦ - خالد بن عبد الله القسري ، انظر ترجمته في العبر للذهبي ٩٨/١ وثمرات الذهب لابن العماد ١٦٩/١ .

٧ - واسط : مدينة من مدن العراق . انظر معجم البلدان لياقوت الحموي ٣٤٨/٥ .

٨ - ما بين المعقوفين زيادة من نسخة « ب » .

٩ - يوسف بن عمر الشقي للمزيد من ترجمته انظر : ثمرات الذهب لابن العماد ١٧٢/١ ، والعبر للذهبي ١٢٦/١ .

١٠ - ما بين المعقوفين زيادة من نسخة « ب » .

قتل الوليد بن يزيد^(١) فى سنة ست وعشرين ومائة . فلما استخلف مروان بن محمد الحمار^(٢) - آخر خلفاء بنى أمية - ضرب الدراهم بالجزيرة على السكة بخران^(٣) حتى قتل . وكانت الهيبيرة ، والخالدية ، واليوسفية ، أجود نقود بنى أمية .

وكانت دولة بنى العباس . فضرب السفاح^(٤) الدراهم بالأبصار^(٥) ، وعملها على نقش الدنانير ، فكتب عليها السكة العباسية ، وقطع منها ونقصها حبة ثم نقصها حبتين . فلما قام أبو جعفر المنصور^(٦) نقصها ثلاث حبات . وسميت تلك الدراهم ثلاثة أرباع قيراط ، لأن القيراط أربع حبات ، كانت الدراهم كذلك . وحدثت الهاشمية^(٧) على المشقال البصرى [ص/٣٧] وكانت تقطع على المشاقيل المبالاة الوازنة التامة . فأقامت الهاشمية على المشاقيل ، والعق على نقصان ثلاثة أرباع قيراط مدة المنصور ، وإلى سنة ثمان وخمسين ومائة . فضرب المهدي^(٨) فيها سكة مدورة فيها نقط ، ولم يكن لموسى الهادي^(٩) بن المهدي سكة تعرف ، وتمادى الأمر على ذلك إلى شهر رجب سنة ثمان وسبعين ومائة فصار نقصانها قيراطاً غير ربع

١ - الوليد بن يزيد المتوفى سنة ١٢٦ هـ هو الوليد بن يزيد بن عبد الملك ، انظر ترجمته فى العبر للنعبي ١٢٤/١ ، ١٢٥ ، والبدية والنهاية لابن كثير ٨٠٦/١٠ ، وشذرات الذهب لابن العماد ١٦٧/١ .

٢ - مروان بن محمد بن مروان المتوفى سنة ١٢٧ هـ انظر ترجمته فى : العبر للذهبى ١٢٥/١ ، وشذرات الذهب لابن العماد ١٧٢/١ .

٣ - بخران : اسم موضع بالحجاز ، انظر معجم البلدان لياقوت ٣٤١/١ .

٤ - هو عبد الله بن محمد بن على بن عبد الله بن العباس ، بُرِعَ بالخلافة سنة ١٣٢ هـ - ٧٥٠ م . انظر شذرات الذهب لابن العماد ١٨٣/١ ، ١٩٥ .

٥ - الأتبار : مدينة بالعراق ، وكانت مقر الخلافة العباسية فى بداية أمرها سنة ١٣٢ هـ فسكنها السفاح مدة خلافته ، واستقر بها بعده أبو جعفر المنصور حتى بدأ فى تأسيس بغداد سنة ١٣٥ هـ ، وهذا يفسر سبب ضرب الدراهم بها . انظر معجم البلدان لياقوت ٢٥٧/١ ، ٢٥٨ .

٦ - أبو جعفر المنصور عبد الله بن محمد بن على بن عبد الله بن عباس ولد سنة ٩٥ هـ ، انظر ترجمته فى تاريخ الخلفاء للسيوطى ص ٢٤١ .

٧ - الهاشمية نسبة إلى بنى هاشم ، والمقصود بذلك نقود الخلفاء العباسيين ، والمقصود بذلك نقود الخلفاء العباسيين .

٨ - المهدي أبو عبد الله محمد بن المنصور انظر ترجمته فى تاريخ الخلفاء للسيوطى ، ص ٢٥٣ .

٩ - الهادي بن المهدي : هو أبو محمد موسى بن المهدي بن المنصور ، ولد بالرّى سنة ١٤٧ هـ وتوفى سنة ١٧٠ هـ ، وقد بُرِعَ بالخلافة بعد أبيه بعهد منه . انظر ترجمته فى تاريخ الخلفاء للسيوطى ، ص ٢٦٠ .

حبة . فلما صير الرشيد^(١) السكك إلى جعفر بن يحيى بن خالد البرمكى^(٢) ، كتب اسمه بمدينة السلام^(٣) ، وبالمحمدية من الرى^(٤) ، على الدنانير والدراهم وضرب دنانير [زنة]^(٥) كل دينار [منها]^(٦) مائة مثقال ، كان يفرقها على الناس فى النيروز والمهرجان ، وكتب عليها :

وأصفر من ضرب دار الملوك يلوح على وجهه جعفر
يزيد على مائة واحد إذا تاله معسر أسرا

وكان لبنى العباس دنانير الخريطة^(٧) وهى مائة دينار فيها مائتان ، مكتوب على كل دينار " ضَرْبُ الْحَسَنِىِّ خَرِطَةُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ " . وهذه الدنانير هى التى بنعم منها [أمير المؤمنين]^(٨) على المغنيين ونحوهم . ومعنى (الحسنى) القصر الحسنى الذى هو الآن بمدينة

١ - هو الرشيد هارون أبو جعفر بن المهدي محمد بن المنصور عبد الله بن محمد بن على بن عبد الله بن العباس ، كان الرشيد يحب العلم وأهله ، ويعظم حرمان الإسلام ويبغض المراء فى الدين والكلام فى معارضة النص ، وكان يبكى على نفسه وعلى إسراره وذنبه . انظر ترجمته فى تاريخ الخلفاء للسيوطى ، ص ٢٦٣ .

٢ - جعفر بن يحيى البرمكى توفى سنة ١٨٧ هـ ، كان وزيراً للرشيد ، وهو أحد الأجواد والفصحاء انظر ترجمته فى العبر للذهبي ٢٣٠ / ١ ، وفيات الأعيان لابن خلكان ٣٢٨ / ١ ، وشذرات الذهب لابن العماد ٣١١ / ١ .

٣ - مدينة السلام : هى بغداد ، قيل : سماها الخليفة المنصور مدينة السلام تفاؤلاً بالسلامة . انظر معجم البلدان لياقوت الحموى ٧٩ / ٥ .

٤ - سُميت دراهم الرى بهذا الاسم نسبة إلى محمد بن عطا الكندى ، وإلى الرى من بلاد ما وراء النهر ، فى عهد الخليفة هارون الرشيد ، وقد عُرِفَت بتلك التسمية أيضاً دراهم فرغانة والصغد وكشك ، ونسف وأشروسة وسمرقند ، وكان لمحمد بن عطا أخوان ، وكلاهما من ولادة الأعمال زمن الرشيد ، وقد ضرب كل منهما دراهم إقليمية باسمه ؛ فكان غطريف بن عطا والياً على الشاش وخجندة ، وإليه نسبت الدراهم المصبية . انظر فى ذلك : ٢١٨ - ٢١٧ - ١٩٢ - ١٩١ ، pp. Cit. Op. Sauvair .

٥ - ما بين المعقوفتين زيادة من نسخة « ب » .

٦ - ما بين المعقوفتين زيادة من نسخة « ب » .

٧ - المقصود بالخريطة هنا الخزانة الخليفة . وصاحب الخريطة هو صاحب بيت المال .

٨ - ما بين المعقوفتين زيادة من نسخة « ب » .

بغداد ، وعمره الحسن بن سهل ^(١) ، وصير نقصان الدراهم قيراطاً غير حبة . واستمر الأمر كذلك إلى شهر رمضان سنة أربع وثمانين ومائة ، [فصار النقص أربعة قراريط وحبّة ونصف حبة] ^(٢) ، وصارت لا تجوز إلا في المجموعة أو بما فيها وبطلت .

فلما قتل الرشيد جعفر بن يحيى ، وتولى الوزارة الفضل بن الربيع ^(٣) . صير السكة إلى السندى بن شاهر فضرب الدراهم على مقدار الدنانير ، وسبيل الدنانير في سائر ما تقدم ذكره سبيل الدراهم ، فكان خلاص السندى جيداً أشد الناس خلاصاً للذهب والفضة .

وفى شهر رجب سنة إحدى وتسعين ومائة نقصت الدنانير الهاشمية نصف حبة ، ومازال الأمر في ذلك كله عسراً يجوز فيه الدينار جواز المшаكيل . ثم ردت [المشاكيل] ^(٤) إلى وزنها ، حتى كانت أيام الأمير محمد بن هارون الرشيد ^(٥) ، فصير دور الضرب إلى العباس بن الفضل بن الربيع ^(٦) . فنقش [ص/٣٨] في السكة بأعلى السطور « ربي الله » ، وبأسفلها « العباس بن الفضل » . فلما قتل الأمين ، واجتمع الناس على عبد الله المأمون ^(٧) ، لم يجد أحداً ينقش الدراهم ، فنقشت بالمخراط كما تنقش الخواتم .

١ - هو أبو محمد الحسن بن سهل بن عبد الله السرخسى ، تولى وزارة المأمون بعد أخيه ذى الرياستين الفضل ، وحظى عنده ، وكان سمحاً للغاية جواداً ممدوحاً . انظر المزيد من ترجمته في كتاب الوزراء والكتاب للجيشياري طبعة الحلبي ١٩٨٠م ، القاهرة ، ص ٣١٨ ، وتاريخ بغداد للخطيب البغدادي ٣١٩/٧ - ٣٢٣ ، وفيات الأعيان لابن خلكان ١٢٠/٢ - ١٢٣ ، وشذرات الذهب لابن العماد ٥/٢ ، ٨٦ .

٢ - ما بين المعقوفتين زيادة من نسخة « ب » .

٣ - هو الفضل بن الربيع بن يونس الأمير حاجب الرشيد وابن حاجب المتصور ، وهو الذي قام بأعباء خلافة الأمين . انظر ترجمته في كتاب العبر للذهبي ٢٧٩/١ ، وشذرات الذهب لابن العماد ٢٠/٢ .

٤ - ما بين المعقوفتين زيادة من نسخة « ج » .

٥ - هو أبو عبد الله محمد بن هارون الرشيد ، كان من أحسن الشباب صورة ، ذات قوة وشجاعة معروفة ، له فصاحة وبلاغة ، وأدب وفضيلة ، انظر ترجمته في تاريخ الخلفاء للسيوطي ص ٢٧٦ .

٦ - هو العباس بن الفضل بن الربيع كان أديباً شاعراً ، جعل الأمين الفضل بن الربيع وزيراً له ، فاستحجب الفضل ابنه العباس ، وقد مات العباس وأبوه حيّاً ، انظر ترجمته في تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ١٢/٣٣ ، ١٣٤ .

٧ - هو المأمون عبد الله أبو العباس بن الرشيد ، ولد سنة ١٧٠هـ وكان من أفضل رجال بني العباس حزمًا وعزمًا وحلمًا وعلماً ورأياً ودهاءً وهيبة وشجاعة وله محاسن وسيرة طويلة . انظر ترجمته في تاريخ الخلفاء للسيوطي ص ٢٨٤ - ٣٠٨ .

وكان الناس فى أول الإسلام إنما يزنون بالشواهدين ، فلما ولى عبد الله بن عامر (١) البصرة ، ستة تسع وعشرين للهجرة ، وضع فى الميزان لساناً ، وهو أول من صنع لساناً للميزان . ولم يزل الأمر فى النقود على ما تقدم (٢) عامة أيام المأمون حتى مات . ثم قام من بعده أبو إسحاق المعتصم (٣) ، ثم الواثق (٤) ، ثم المتوكل (٥) ، إلى أن قتله الأتراك وشركوا بنى العباس فى الأمور . وتفتنت (٦) الدولة فى الترف ، وتقلص نور الهداية ، وتبدلت أوضاع الشريعة ورسوم الدين ، وأحدثوا وابتدعوا ما لم يأذن الله به ، فكان من ذلك غش الدراهم . ويقال أن أول من غش الدراهم وضربها مغشوشة زيوفاً عبيد الله بن زياد (٧) . حين فر من البصرة سنة أربع وستين من الهجرة . ثم فشت فى الأمصار أيام دول العجم الدراهم

١ - هو عبد الله بن عامر بن كرز الذى افتتح مدينة اصطخر ، وضم إليه الخليفة عثمان بن عفان رضى الله عنه مدينة البصرة وفارس ، فى سنة ثلاثين افتتح فارس وخراسان ، وقبل عنه لما أتى به النبى ﷺ فتقل فى فيه قبله فقال له النبى ﷺ إنك لمسئاً . فكان لا يعالج أرضاً إلا ظهر له ماؤها ، وهو الذى عمل السقايات بعرفة وشق نهر البصرة . وكان من الأجواد . انظر ترجمته فى شذرات الذهب لابن العماد ٣٦/١ ، والعبر للذهبي ٢٢/١ .

٢ - فى نسخة « أ » : " ما بعد عامة أيام المأمون حتى مات " ، وما أثبتته من نسخة « ب » .

٣ - المعتصم بالله أبو إسحاق محمد بن الرشيد ، ولد سنة ١٨٠ هـ وتوفى سنة ٢٢٧ هـ ، انظر ترجمته فى تاريخ الخلفاء للسيوطى ص ٣٠٩ - ٣١٤ .

٤ - هو الواثق بالله هارون أبو جعفر وقيل أبو القاسم بن المعتصم بن الرشيد ولد سنة ١٩٦ هـ وتوفى سنة ٢٣٢ هـ ، انظر تاريخ الخلفاء للسيوطى ص ٣١٥ - ٣٢٠ .

٥ - هو المتوكل على الله جعفر أبو الفضل بن المعتصم بن الرشيد وكُذِّب سنة ٢٠٥ وقيل سنة ٢٠٧ هـ وتوفى ٢٤٧ هـ انظر ترجمته فى تاريخ الخلفاء للسيوطى ، ص ٣٢٠ - ٣٣٠ .

٦ - فى نسخة « أ » : " تفغلت " ، وما أثبتته من نسخة « ب » .

٧ - عبيد الله بن زياد قتل الإمام الحسين بن على رضى الله عنهما فى سنة ٦٦ هـ تتبع المختار بن أبى عبيد قتلة الحسين فجهر جيشاً ضخماً قوامه ثمانية آلاف مقاتل لحرب عبيد الله بن زياد ، فكانت وقعة " الحاذر " بأرض الموصل وقيل كانت سنة ٦٧ هـ وهو الأصح . انظر العبر للذهبي ٥٤/١ ، وشذرات الذهب لابن العماد ٦٠/١ ، ٦١ ، ٧٤ .

الزيرف^(١)، واختلفت آراؤهم بالعراق فيها ، ولم ينضبط حتى الآن أمرها . وأرجو أن يوفقني الله على تفصيل ذلك ، [إن شاء الله تعالى] ^(٢) .

١ - كانت الدراهم فى عصر من العصور الإسلامية أربعة أنواع ، وهى : الجبيلة ومعدنها فضة خالصة ، والزيرف وهى الفضة المخلوطة ، وكانت تقبل بقيمتها فى المعاملات التجارية فقط ، ولا تقبلها الحكومة فى معاملاتها وجباياتها البتة ، والمبهرجة ، وهى التى لم تضرب بدار الضرب ، وكانت غير مقبولة فى معاملات الأفراد والحكومات ، والسروقة ، وهى التى كانت تصنع من نحاس مغطى بطبقة الفضة ، ولم تكن معتبرة من الدراهم الشرعية .

٢ - ما بين المعرفتين ساقط من نسخة « أ » وأثبتته من نسختي « ب » و « ج » .

الفصل الثالث

فى معاملة مصر ما زالت بالذهب فقط

وأما مصر من بين الأمصار فما برح^(١) نقدها المنسوب إلى قيم الأعمال وأثمان المبيعات ، الذهب خاصة ، كل سائر دولها جاهلية وإسلاماً . يشهد لذلك بالصحة أن مبلغ خراج مصر فى قديم الدهر حديثه إنما هو الذهب ، كما ستقف إن شاء الله تعالى على تفصيله ، فيما أنا عازم عليه من أفراد تأليف يحتوى على عامة أحوال خراج مصر ، منذ مصرت وعرفت أخبارها إلى هذا الزمن الحاضر^(٢) .

وكفى من الدلالة على صحة ما تقدم حديث أبى هريرة رضي الله عنه . قال : قال رسول الله ﷺ : « منعت العراق درهمها وقنبرها . [ومنعت الشام مدها ودينارها]^(٣) ، ومنعت مصر أردبها ودينارها » . (أخرجه مسلم وأبو داود) .

فذكر ﷺ كل بلد وما يختص به من كيل ونقد ، وأشار إلى أن نقد مصر الذهب . وكان فى هذا الحديث ما يشهد بصحة فعل عمر بن الخطاب رضي الله عنه [ص ٣٩] فإنه لما افتتح العراق فى سنة ست عشرة من الهجرة بعث عثمان بن حنيف^(٤) ، ففرض على أرض السواد على كل جريب من الكرم عشرة دراهم ، وعلى كل جريب من النخل ثمانية دراهم ، وعلى جريب القصب

١ - مابرح : مازال ، أى مازال نقدها هو الذهب .

٢ - بالنظر فى مؤلفات الإمام المقرئ لا نعر على مؤلف خاص بموضوع خراج مصر ، غير أنه ذكر فى كتابه المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار مقاليتين ضافيتين فى موضوع الخراج بمصر ، ولعلمها المقصودان بهذه الإشارة التى أشار بها المقرئ . انظر كتاب الخطط والآثار ١ / ١٢٠ - ١٢٦ طبعة مكتبة الآداب القاهرة ١٩٩٦ .

٣ - ما بين المعرفتين ساقط من نسخة « أ » وأثبتته من نسخة « ب » ونسخة « ج » .

٤ - عثمان بن حنيف بن واهب بن العكيم بن ثعلبة بن الحارث ، شهد أحداً وما بعدها من المشاهد ، وله رواية عن رسول الله ﷺ وقد مات فى خلافة سيدتنا معاوية بن أبى سفيان ، انظر المزيد من ترجمته فى : طبقات خليفة بن خياط ص ٣٦ ، ١٣٥ ، ١٩٠ ، وتاريخ بغداد للخطيب البغدادي ١ / ١٧٩ .

والشجر ستة دراهم ، وعلى جريب^(١) البُر أربعة دراهم^(٢) ، وعلى جريب الشعير درهمن ، وكتب بذلك إلى عمر [بن الخطاب]^(٣) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، [فارتضاه]^(٤) .

ولما فتحت مصر فى سنة عشرين على الصحيح فرض^(٥) عمرو بن العاص^(٦) على جميع مَنْ بها من القبط دينارين دينارين ، فجبيت أول عام عشر ألف ألف دينار . قيل جبيت ستة عشر ألف ألف دينار . وضربت الجزية على كل عِلج^(٧) من علوج مصر الذين أقروا لعمارة الأرض أربعة دنانير فى كل سنة ، سوى خراج الأرض فأقر ذلك عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ . وأما أهل السواد فإن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أقرهم على منزلة أهل الزمة ، وفرض على كل عِلج منهم أربعين درهماً ، فجبيت مائة ألف ألف وسبعة وثمانين ألف ألف درهم ، [وقيل مائة ألف ألف وستون ألف درهم]^(٨) ، ومازال خراج السواد دراهم ، ولولا خوف الإطالة لسردت الأخبار التى توضح أن معاملة مصر مازالت بالذهب فقط ، وهو ما يقوم [منه]^(٩) سفر ضخم ، { وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ }^(١٠) .

١ - أمام هذه العبارة بهامش الصفحة بنسخة « أ » مكتوب الآتى : " الجريب عشر قصبات ، والقصة ستة أذرع ، والقفيز عشر الجريب " من كتاب تحرير الأحكام لابن جماعة ، محمد بن إبراهيم بن سعد الله المعروف ببدر الدين ت ٧٣٣هـ ، انظر ترجمته فى شذرات الذهب لابن العماد ١٠٦/٦ ، وحسن المحاضرة للسيوطى ٢٤٠/١ .

٢ - قال على بن محمد الماوردى : أما الجريب فهو عشر قصبات ، والقفيز عشر قصبات فى قصة ، والقصة ستة أذرع فيكون الجريب ثلاثة آلاف وستمائة ذراع مكشرة ، والقفيز ثلثمائة وستون دفاعاً مكسرة وهو عشر الجريب . انظر الأحكام السلطانية ص ١٣٢ طبعة دار الفكر القاهرة ١٩٨٣م .

٣ - ما بين المعقوفتين زيادة من نسخة « ب » .

٤ - ما بين المعقوفتين ساقط من نسخة « أ » وأثبتته من نسخة « ب » و « ج » .

٥ - فى نسخة « أ » : " قفرض " ، وما أثبتته من النسخ الأخرى هو الصحيح .

٦ - عمرو بن العاص ، أبو عبد الله السهمى أمير مصر ، أسلم فى هدنة الحديبية وهاجر ، وولى إمرة جيش ذات السلاسل ، وكان من دهاة قریش وأجلاها وذو الحزم والرأى ، انظر ترجمته فى المعبر للنهضى ٣٧/١ ، وشذرات الذهب لابن العماد ٢٤/١ ، ٣١ ، ٣٢ ، ٣٥ ، ٣٦ ، ٥٣ .

٧ - العِلج : الرجل القوى الضخم من كفار العجم ، لسان العرب لابن منظور " ج . ل . ج " .

٨ - ما بين المعقوفتين ساقط من نسختي « أ » و « ب » وأثبتته من نسخة « ج » .

٩ - ما بين المعقوفتين زيادة من نسخة « ب » .

١٠ - سورة يوسف الآية (٧٦) .

وأما الفضة فكانت بمصر تتخذ حلياً وأواني ، وقد يُضرب منها الشيء للمعاملات التي يحتاج إليها في اليوم لنفقات البيوت . وأول ما رأيت للدرهم ذكرًا بمصر في أيام الحاكم بأمر الله ، أحد خلايف الفاطميين . قال الأمير المختار عز الملك محمد بن عبيد الله بن أحمد المسيحي^(١)، عفا الله عنه في تاريخه الكبير : " وفي شهر ربيع الأول من سنة سبع وتسعين وثلاثمائة ، تزايد أمر الدرهم القطع والمزايدة^(٢) ، فبيعت أربعة وثلاثون درهماً بدينار . ونزع^(٣) السعر ، واضطربت أمور الناس ، فرفعت الدرهم وأنزل بعشرين صندوقاً من بيت المال فيها دراهم جدد ، ففرقت في الصيارف . وقرئ سجلٌ برفعها وألا يتعامل بها ، وأنظر من في يده شيء منها ثلاثة أيام ، وأن يورده جميع ما تحصل منها إلى دار الضرب . فاضطربت

١ - كان المسيحي رجل حرب ورجل قلم ، وكان سليل أسرة حركانية (نسبة إلى مدينة حران بين الموصل والشام) نزحت إلى مصر قبل قيام الدولة الفاطمية ، واستوطنت مصر وسطعت فيها ، وقد ولد المسيحي بمصر سنة ٣٦٦ هـ / ٩٧٧م ، تلقى ثقافة أدبية علمية واسعة متعددة النواحي ، وقد بدأ حياته العامة جندياً ورجل إدارة ، وتقلد بعض المناصب الإدارية العامة ، واتصل بخدمة الحاكم بأمر الله سنة ٣٩٨ هـ ، فتقلد أعمال القيس والبهنسا من أعمال الصعيد ، ثم تولى ديوان الترتيب ، وهو يومئذ من مناصب الوزارة الهامة ، ثم اصطفاه الحاكم بأمر الله ، وعينه في بطاقته الشخصية في سنة ٣٩٨ هـ ، ونال حظوة وسعادة ، وكانت له مع الحاكم مجالس ومعاشرات ، وله من المصنفات العلمية ثبثاً حافلاً ما يدل على ما كان يتمتع به هذا الذهن الممتاز من نواحي التفكير والثقافة المتعددة ، فقد ألف في التاريخ والجغرافية والأدب والاجتماع والفلك ، وقد لبث تاريخ المسيحي مستقى خصباً لمزخى مصر الإسلامية حتى عصر متأخر جداً ، فالمقرئ وابن مقرئ بردى والسخاوى والسيوطى ، وغيرهم يقتبسون منه ويشيرون إلى وجوده ، وقد استمر المسيحي في كتابه عن تاريخ مصر متتبِعاً حوادث مصر وحوادث عصره حتى سنة ٤١٦ هـ ، وقد توفي سنة ٤٢٠ هـ ، انظر ترجمته في : وفيات الأعيان لابن خلكان ١/ ٦٥٣ ، ٦٥٤ هـ ، وحسن المحاضرة للسيوطى ١/ ٢٦٥ ، والخطط المقرئ للمقرئ ٣/ ٣٢ ، ٣٣ الطبعة الأهلية ، مصر .

٢ - الدرهم القطع (أو المقطعة) كانت كمدلولها اللفظى دراهم غير كاملة ، لذهاب جزء منها بسبب القطع ، وكانت تلك الدرهم تقبل في معاملات الأفراد حسب الوزن ، غير أن الحكومات كانت ترفض التعامل بها دائماً ، وتسميها الدرهم القلّة ، أما الدرهم المزايدة (وصحتها المزايدة) فهي التي كانت تزيد عن الدرهم الجيدة في الحجم ، وليس في الوزن .

٣ - في نسخة « أ » : " وزع " وما أثبتته من نسخة « ب » .

الناس، وبلغت [الدراهم القطع والمزايدة]^(١) أربعة دراهم بدرهم [من الجدد]^(٢)، وتقرر أمر الدراهم الجدد على ثمانية عشر درهماً بدينار . ثم اشتهر فى كتب [ص / ٤٠] الأخبار [أن الفضة صارت تضرب تضرب نقوداً بمصر ، وأنها سميت]^(٣) بين الدراهم باسم المسودة . وبها كانت معاملة أهل مصر والقاهرة والإسكندرية ، [وتعرف بنقد مصر . وأدركت الإسكندرية]^(٤) وأهلها لا يتعاملون إلا بها ، ويسمونها الورق ، واختلفت آراء خلفاء مصر وملوكها فى مقدار الدرهم اختلافاً لم ينضبط إلى الآن " ^(٥) .

وحقيقة الدرهم السود النحاس فيه اليسير^(٦) من الفضة ، ولم تزل المعاملة بها حتى استولت دولة بنى أيوب على مملكتى مصر والشام ، وتلك منهم محمد الكامل بن العادل . ففى ذى القعدة من سنة اثنتين وعشرين وستمائة أمر [الكامل]^(٧) بضرب دراهم مستديرة ، وتقدم إلا يتعامل الناس بالدراهم المصرية العتق ، وهى التى يدعوها أهل مصر الورق . فهجر الناس [الدراهم]^(٨) الورق ، وتركوا التعامل بها ، إذ الرعية على دين راعيها . وكانت الدراهم الكاملية - وهى التى أدركنا الناس يتعاملون بها - ثلثاها فضة والثلث نحاس ، يضاف على المائة من الفضة الخالصة خمسون درهماً من النحاس .

راجت هذه الدراهم فى بقية دولة بنى أيوب ، ثم فى أيام مواليتهم الأتراك بمصر والشام رواجاً حتى قل الذهب بالنسبة إليها ، وصارت المبيعات الجليلة تباع وتقدم بها ، وإليها تنسب

١ - ما بين المعقوفتين زيادة يقتضيها السياق ، وقد أثبتنا من خلال الصفحات السابقة للمؤلف من الصفحة التاسعة من المخطوطة .

٢ - ما بين المعقوفتين زيادة من نسخة « ب » .

٣ - ما بين المعقوفتين زيادة من نسخة « ب » .

٤ - ما بين المعقوفتين ساقط من نسخة « أ » ، ونسخة « ج » . وما أثبتنا من نسخة « ب » .

٥ - انتهى اقتباس المقرئ من كتاب المسيحى .

٦ - فى نسخة « أ » : " أيسر من الفضة " ، وما أثبتنا من نسخة « ب » ، ونسخة « ج » وهو الصحيح ، إذ الدراهم النقرة وليست السرداء هى التى كانت تغلب فيها نسبة الفضة على النحاس فى معظم العصور ، انظر : صبح الأعشى للقلقشندي ٤٦٣/٣ - ٤٦٤ .

٧ - ما بين المعقوفتين زيادة من « ب » . والمقصود بالكامل هو : محمد بن أبى بكر بن أيوب الملقب بالملك الكامل ، وقد توفى سنة ٦٣٥ هـ ، انظر ترجمته فى حسن المحاضرة للسيوطى ٢٣/٢ - ٣٤ .

٨ - ما بين المعقوفتين زيادة من نسخة « ب » .

عامة أثمان المبيعات وقيم الأعمال ، وبها تؤخذ خراج الأرضين وأجرة المساكن وغير ذلك . و [كان] ^(١) الدرهم ثمانى عشرة خروية ، والخروية ثلاث قمحات ، والمثقال أربع وعشرين خروية ، والصنجة تتفاوت بمصر والشام ، فتتقص كل مائة مثقال شامى مثقالاً وربعاً بمصر ، وكذلك الدراهم .

وأما الفلوس فإنه لما كان فى المبيعات محقرات تقل عن أن تباع بدهم أو جزء منه ، احتاج الناس من أجل ذلك فى القديم والحديث من الزمان إلى شىء سوى نقدي الذهب والفضة يكون بإزاء تلك المحقرات ، لم يسم أبداً على وجه الدهر ساعة من نهار فيما عرف من أخبار الخليفة نقداً ، لا ولا أقيم قط بمنزلة أحد النقدين . واختلفت مذاهب البشر وآراؤهم فى ما يجعلونه بإزاء تلك المحقرات ، فلم يزل بمصر والشام [ص / ٤١] وعراقى العرب والعجم وفارس والروم فى أول الدهر وآخره ملوك هذه الأقاليم ، لعظمتهم وشدة بأسهم ونصرة ملكهم ، وكثرة شأوهم وخزوانة سلطانهم ، يجعلون بإزاء هذه المحقرات نحاساً يضررون باليسير منه قطعاً صغاراً تسميها العرب فلوساً ^(٢) لشراء ذلك . ولا يكاد يوجد من هذه الفلوس إلا النذر ^(٣) اليسير ، مع أنها لم تقم أبداً فى هذه الأقاليم بمنزلة أحد النقدين ^(٤) قط .

وكان سبب ضربها بمصر فى أيام الكامل الأيوبي - بعد أن لم تكن - أن امرأة تعرضت لخطيب الجامع بمصر ، وهو إذ ذاك أبو الطاهر الكحلوى ، تستفتيه : « أيجل شرب الماء أم لا ؟ » ، فقال : « يا أمة الله أوما يمنع من شرب الماء ؟ » ، فقالت : « أن السلطان ضرب هذه الدراهم ، وأناى اشتري القرية بنصف درهم منها ومعنى درهم ، فيرد [السقاء] ^(٥) على نصف درهم ورقاً ، فكأننى اشتريت منه ماء ونصف درهم بدهم » . فأنكر [أبو الطاهر] ^(٦) ذلك ، واجتمع بالسلطان وتكلم معه فى ذلك الأمر بضرب الفلوس .

١ - ما بين المعقوفتين زيادة من نسخة « ب » .

٢ - الفلوس : مفردهما ، الفلس ، وهو يونانى مُعَرَّب ، ومعناه كيس النقود ، ويُقال مثل ذلك بصدد لفظ الدرهم الفارسى .

٣ - النذر : القليل .

٤ - النقدين : أى الذهب والفضة .

٥ - ما بين المعقوفتين زيادة من نسخة « ب » .

٦ - ما بين المعقوفتين زيادة من نسخة « ب » .

ولقد كان ببغداد ، التي أُرِيت^(١) عمارتها على عامة الأمصار ، يجعل بإزاء غالب المبيعات عوضاً منها الخبز . يوضح ذلك ما علقته من رسالة الشيخ الرئيس أبي القاسم بن أبي زيد إلى بعض إخوانه يخبره بأخبار البلاد التي سلكها وما هي عليه ، وذلك عند سفره من مصر ونزوله ببغداد ، في سنة بضع وأربعمئة . قال بعد صدر طويل :

" أما الخبز فيبرز عجيبته على باب الدكان ، فيجتمع عليه عدد كثير من الذباب ، ثم يخيزونه في تناير قد أحميت بالدخان ، ويبالغون في تخفيف^(٢) الرغفان ، ويعاملون به في الأسواق ، وقيمونه مقام الدرهم [في الإتفاق]^(٣) ، ويتصدقونه نقداً قد اصطلحوا عليه . وجعلوا لذلك قانوناً يرجعون إليه : فيردون المثلوم^(٤) والمكرج^(٥) ، كما يرد الدرهم الزائف والدينار المبهرج^(٦) ، ويشترون به أكثر المأكولات والمشروبات ، [ويدخلون به الحمامات]^(٧) ، ويأخذونه النباذ والخمار ، ولا يرده البزاز ولا العطار . وللرغيف السמיד على غيره صرف مقدر^(٨) ، وحساب عندهم معلوم محرر ، ومع هذه العناية والاحتياط يباع كل ستين رغيفاً بغيراط^(٩) . وكتبت من خط حافظ المغرب محمد بن سعيد في كتابه الذي سماه (جنا النحل وحيا المحل) ما نصه : فأخرج لي أحد هؤلاء التجار - يعني تجاراً وآهم ببغداد^(١٠) لما رحل

١ - أريت : أى زادت عمارتها على عامة الأمصار . انظر لسان العرب لابن منظور " ر . ب . و " .

٢ - في نسخة « أ » : " تخفيف " وما أثبتته من نسخة « ب » .

٣ - ما بين المعقوفين زيادة من نسخة « ب » .

٤ - المثلوم : أى المكسور ، فيقال في الإناء ثَلُمَ إذا انكسر ، وفي الرغيف ثَلُمَ إذا تكسرت أحرفه ، لسان العرب لابن منظور " ث . ل . م " .

٥ - المكرج : الفاسد وله علة خضرة ، فالخبز المكرج أى الخبز الذى فسد وعلته خضرة ، انظر لسان العرب لابن منظور " ك . ز . ج " .

٦ - المبهرج : أى الباطل والردئ ، والدرهم الذى فضته رديئة فيكون الدينار المبهرج مثل ذلك . انظر لسان العرب لابن منظور " ب . هـ . و . ج " .

٧ - ما بين المعقوفين ساقط من نسخة « أ » ونسخة « ج » وما أثبتته من نسخة « ب » .

٨ - الرغيف السמיד : أى الرغيف المتفتخ . انظر لسان العرب ، لابن منظور " م . م . د " .

٩ - القيراط هنا نقد مقداره جزء من عشرين من المثقال ، وهو من مستحدثات الخليفة عبد الملك بن مروان .

١٠ - في نسخة « أ » : " يعنى تجارهم ببغداد " ، وما أثبتته من نسخة « ب » .

إليها - ورقة فيها خطوط بقلم الخطا^(١)، وذكر أنها من ورق التوت فيها لين ونعمة ، وأن هذه الورقة إذا احتاج إنسان في خان بالق^(٢) من بلاد الصين خمسة دراهم دفعها فيها ، وأن ملكها يختم لهم هذه الأوراق ، ويتتفع بما يأخذ بدلاً عنها^(٣) ، انتهى .

وأخبرني مَنْ لا أتهم أنه شاهد في بعض مدن إقليم الصعيد أهلها يتعاملون في محقرات المبيعات بالكودة^(٤)، وتسمى بمصر الودع ، كما يتعامل أهل مصر الآن بالفلوس . وأخبرني ثقة أن بعض بلاد الهند يشتري الكثير من المأكّل بالعفص والبلح . وأدركت أنا الناس [مسن]^(٥) أهل ثغر إسكندرية وهم يجعلون في مقابلة الخضرة والحوامض والبقول ونحو ذلك كسر الخبز ، ولشراء ما يراد منه ، ولم يزل ذلك إلى نحو السبعين والسبعمئة . وأدركنا ريف مصر وأهله يشترون الكثير من الحوائج والمأكولات بلبعض الدجاج وينخال الدقيق ، ويردئ مشاق الكتان ، إلى آخر^(٦) هذه الحوادث . كل هؤلاء أنما يتخذون ما تقدم ذكره لشراء الأمور الحقيمة فقط ، ولم يجعل أحد منهم شيئاً من ذلك نقداً يخزن ، ولا يشتري به شيء جليل البتة.

١ - الخطا : بلاد المغول ، وهي الجزء الغربي من بلاد الصين ، وكات عاصمتها جالت بالق ، ومن بلاد الخطا هذه كانت أغارات جنكيز خان ومن وليه من خانات المغول . انظر صبح الأعشى للقلقشندي ٤٨٣/٣ - ٤٨٧ .

٢ - خان بالق : كانت عاصمة الصين ، وهي غير جالت بالق ، انظر ذلك في صبح الأعشى للقلقشندي ٤٧٩/٣ - ٤٨٠ .

٣ - ذكر ذلك ابن بطوطة في رحلته ووصف هذا الورق وصفاً دقيقاً فقال : " وأهل الصين لا يتبايعون بدينار ولا درهم ، وجميع ما يتحصل ببلادهم من ذلك يسبكونه قطعاً ، وإنما يبيعهم وشراؤهم بقطع كاغد ، كل قطعة منها بقدر الكف مطبوعة بطابع السلطان ، وتسمى الخمس والعشرين قطعة ، منها بالشت ، وهو بمعنى الدينار عندنا ، وإذا تمزقت تلك الكواغد في يد إنسان حملها إلى دار كدار السكة عندنا ، فأخذ عوضها جُددًا ، ودفع تلك ، ولا يُعطى على ذلك أجرة ولا سراها ، لأن الذين يتولون عملها لهم الأرزاق الجارية من قبل السلطان ، وقد وكلَ بتلك النار أمير من كبار الأمراء ، وإذا مضى الإنسان إلى السوق يدرهم فضة أو دينار يريد شراء شيء لم يتوخذ منه ولا يُلتفت إليه حتى يصرفه بالبالشت ، ويشترى به ما أراد . انظر رحلة ابن بطوطة ص ٦٢٩ . طبعة صادر بيروت بدون تاريخ .

٤ - الكودة : هي الودع الذي يستخرج من البحر . انظر كتاب شذرات العقود للمقريزي ، ص ٥٠ .

٥ - ما بين المعرفتين زيادة من نسخة « ب » .

٦ - في نسخة « أ » : " أيسر " وكذلك في نسخة « ج » وفي نسخة « ب » " أس " وما أثبتته هو الصحيح والمتفق مع المعنى .

ولما ضربت الفلوس كما مر^(١) فى أيام الكامل تتابع^(٢) الملوك فى ضربها حتى كثرت فى الأبدى. وما زالت العامة تتعنت فيها لما يداخلها من القطع المخالفة للقطع التى يأمر السلطان بالتعامل بها . فتقدم الولاة بصلاح ذلك .

وكانت الفلوس أولاً تعدّ فى الدرهم الكاملى ثمانية وأربعين فلساً ، ويقسم الفلوس أربع قطع تقام كل قطعة مقام فلس ، يشتري بها ما يشتري بالفلوس ، فيحصل بذلك من الرفق لذوى الحاجات ما لا يكاد يوصف .

وتقضى الأمر على ذلك إلى بعد الخمسين والستمائة من الهجرة^(٣) ، فسول بعض العمال لأرباب الدولة حب الفائدة ، وضمن ضرب الفلوس بمال قرره على نفسه ، وجعل كل فلس يزن مثقالاً ، والدرهم بعد أربعة وعشرين فلساً . فثقل ذلك على الناس ، وأنكاهم موقعه لما فيه من الحساسة ، لأنه صار ما يشتري بدرهم هو ما كان قبل يشتري بنصف درهم . ثم توطنت نفوس الناس على ذلك ، إذ هم أبناء العوائد . وكانت الفلوس مع ذلك لا يشتري بها شئ من الأمور الجليلة . وإنما هى لتفقات البيوت ، ولأغراض ما يحتاج إليه من الخضر والبقول ونحوها .

فلما كانت سلطنة العادل كتيفاً ، وأكثر لوزير فخر الدين عمر بن عبد العزيز الخليلي^(٤) من المظالم ، وجارت حاشية السلطان وماليكه على الناس ، وطمعوا فى أخذ الأموال والبراطيل^(٥) والحميات ، وضربت الفلوس ، توقف الناس فيها لحفتها . فتودى فى سنة خمس

١ - فى نسخة « أ » : " كما ترى " وما أثبتته من نسخة « ب » .

٢ - فى نسخة « أ » : " لم يتابع " وما أثبتته من نسخة « ب » .

٣ - فى جميع نسخ المخطوطة الثلاثة : " السبعائة " وهو خطأ يبرهن عليه ما يلى فى هذه الصفحة ، حيث يذكر المقرئ ما حدث فى سلطنة العادل كتيفاً (٦٩٤ - ٦٩٦ هـ) من خلل فى النقد ، وذلك قبل سنة سبعائة ، فلعله سبق قلم من الناسخ أو خطأ غير مقصود . بينما أدرك ذلك ناسخ النسخة « ج » من المخطوطة فأشار إلى هذا الخطأ فى الهامش الخاص بالنسخة « ج » قائلاً : " لعله ستائة " .

٤ - هو عمر بن عبد العزيز بن الحسن بن الخليلي التميمي الداري المصري ، ولى وزارة الصحة فى آخر الدولة المنصورية ، ثم للعادل والمنصور وقد توفى سنة ٧١١ هـ . انظر ترجمته فى شذرات الذهب لابن العماد ٢٨/٦ .

٥ - البراطيل : مفرداها : برطيل ، ومعناها الرشوة المقدمة لأصحاب النفوذ لقاء عمل دون مراعاة لقاعدة أو قانون . انظر معجم المصطلحات والألقاب التاريخية لمصطفى عبد الكريم الخطيب ، ص ٧١ .

وتسعين وستمائة أن توزن بالميزان ، وأن يكون الفلوس زنة درهم ، ثم نودى على الرطل منها بدرهمين ، وكان هذا أول ما عرف بمصر من وزن الفلوس والمعاملة بها وزناً لا عدداً .

فلما كانت أيام الظاهر برقوق^(١) ، وتولى محمود [بن على الأستادار]^(٢) أمر الأموال السلطانية ، شره إلى الفوائد وتحصيل الأموال ، فكان مما أحدث الزيادة الكبيرة [من الفلوس]^(٣) ، فبعث إلى بلاد فرجة لجلب النحاس الأحمر ، وضمن دار الضرب بالقاهرة بجملة من المال ، ودام ضرب الفلوس بها مدة أيامه ، واتخذ بالإسكندرية دار ضرب لعمل الفلوس ، فكثرت [الفلوس]^(٤) بأيدي الناس كثرة بالغة ، وراجت صارت من أجله هي النقد الغالب في البلد . وقلت الدراهم لأمرين : أحدهما عدم ضربها اليقة ، والثاني سبك ما بأيدي الناس منها لاتخاذها حلياً منذ تفنن أمراء السلطان وأتباعهم في دواعي الترف ، وتأنقهم في المباهاة بفاخر الزى وجليل الشارة . ووجد مع ذلك الذهب بأيدي الناس ، بعد أن كان لا يوجد مع كل أحد ، لكثرة ما كان يخرج به الظاهر [برقوق]^(٥) في الأتعام على أمراء الدولة ورجالها ، وفي نفقات الحروب والأسفار ، في الصلات زمن الغلاء . فمات الظاهر وللناس ثلاثة نقد أكثرها الفلوس ، وهو النقد الرابع الغالب ، والثاني الذهب وهو أقل وجداً^(٦) من الفلوس ، وأما الفضة [ص / ٤٤] فقلت حتى بطل التعامل بها لعزتها . وكان يعطى في الدينار الذهب منها إلى ثلاثين درهماً . ثم كثر الذهب بأيدي الناس حتى صار مع أقل السوق . وعظم رواج الفلوس ، وكثرت كثرة بالغة حتى صارت المبيعات وقيم الأعمال كلها تنسب إلى الفلوس خاصة . وبلغ

١ - هو الملك الظاهر برقوق بن أنس بن عبد الله الجركسي العثماني ، تولى أمر الملك سنة ٧٨٤هـ وبإيعاد الخليفة المتوكل محمد بن المعتضد ، وقيل عنه : كان أعظم ملوك الجراكسة توفى على فراشه بالقاهرة سنة ٨٠١هـ ، انظر ترجمته في شذرات الذهب لابن العماد ٦/٧ ، ٧ .

٢ - ما بين المعقوفتين زيادة من النجوم الزاهرة لابن تغري بردي ٧/١٢ طبعة دار الكتب المصرية ، كما استقر محمود بن على الأستادار مشيراً للدولة أيضاً في سنة ٧٩٢هـ . انظر أيضاً النجوم الزاهرة لابن تغري بردي ٧/١٢ .

٣ - ما بين المعقوفتين ساقط من نسختي « أ » و « ج » وما أثبتته من نسخة « ب » .

٤ - ما بين المعقوفتين زيادة من نسخة « ب » .

٥ - ما بين المعقوفتين زيادة من نسخة « ب » .

٦ - هكذا في نسخة « أ » . ومن الممكن أن تقول " وجوداً " .

الذهب كل مثقال منه إلى مائة وخمسين من الفلوس ، [والفضة كل زنة درهم من المضروب منها بخمسة دراهم من الفلوس]^(١١) التى كان كل درهم منها يعد أربعة وعشرين فلساً . وبلغ المثقال من الذهب بشعر الإسكندرية ثلاثمائة درهم من الفلوس ؛ فدهى الناس بسبب ذلك داهية أذهبت المال ، وأوجبت قلة الأوقات ، وتعذر وجود المطالبات لاختلاف النقود ؛ وإنه ليخشى من تمادى ذلك أن يحول حال أهل الإقليم ، { وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ آلٍ }^(١٢) .

١ - ما بين المعطوفتين زيادة من نسخة « ب » وساقط من نسخة « أ » ونسخة « ج » .

٢ - سورة الرعد الآية (١١) .

الفصل الرابع

فى ذكر أقسام الناس وأصنافهم

وبيان جمل من أحوالهم وأوصافهم

اعلم حرسك الله بعينه التى لا تنام ، وركته الذى لا يرام ، أن الناس بإقليم مصر فى الجملة على سبعة أقسام : القسم الأولى [أهل]^(١) الدولة . والقسم الثانى أهل اليسار من التجار ، وأولى النعمة من ذوى الرفاهية . والقسم الثالث الباعة وهم متوسطو الحال من التجار ، ويقال لهم أصحاب البَزِّ^(٢) ، ويلحق بهم أصحاب المعاش ، وهم السوق . القسم الرابع أهل الفلح ، [وهم]^(٣) أهل الزراعات والحراث ، سكان القرى والريف . والقسم الخامس الفقراء ، وهم جل الفقهاء وطلاب العلم ، والكثير من أجناد الحلقة ونحوهم . والقسم السادس أرباب الصنائع والأجراء أصحاب المهن . والقسم السابع ذوو الحاجة والمسكنة وهم السوأل الذين يتكففون^(٤) الناس ويعيشون منهم .

فأما القسم الأول ، وهم أهل الدولة ، فحالهم فى هذه المحن^(٥) على ما يبدو لهم . ولمن لا تأمل عنده ، ولا معرفة بأحوال الوجود له ، إن الأموال كثرت بأيديهم بالنسبة لما كانت قبل هذا المحن ، باعتبار ما يتحصل لهم من خراج الأراضى ، فإن الأرض التى كان مبلغ خراجها من قبل هذه الحوادث مثلاً عشرين ألف درهم [صار الآن خراجها مائة ألف درهم]^(٦) ، وهذا الظن ليس بصحيح ، [ص/٤٥] بل قلت أموالهم بالنسبة إلى ما كانت عليه أموال أمثالهم من قبل . وبيان ذلك أن العشرين ألف درهم فيما سلف كان مالها يتفق منها فيما أحب واختار ،

١ - ما بين المعقوفين زيادة من نسخة « ب » .

٢ - البَزُّ : الثياب ، وقيل : ضرب من الثياب ، وقيل متاع البيت من الثياب خاصة ، انظر لسان العرب لابن منظور " ب . ز . ز " .

٣ - ما بين المعقوفين زيادة من نسخة « ب » .

٤ - يتكففون الناس : أى يمدون أكفهم يسألون الناس . انظر لسان العرب لابن منظور " ك . ف . ف " .

٥ - فى نسخة « أ » ، ونسخة « ج » : " هذا المحل " وما أثبت من نسخة « ب » .

٦ - ما بين المعقوفين زيادة من نسخة « ب » .

ويدخر بعد ذلك ما شاء الله ، لأنها كانت دراهم ، وهى قيمة ألف مثقال من الذهب أو قريب منها . والآن إنما يأتيه بدل تلك المائة ألف درهم فلوس ، هى قيمة ستمائة وستين مثقالاً من الذهب ، ينفق ذلك فيما يحتاج إليه فى اليوم من لحم وخضر وتوابل وزيت ونحوه ، وفيما لا بد له من كسوته وكسوة عياله ، وما تدعو إليه الحاجة من خيل وسلاح وغيره ، مما كان^(١) يشتره قبل هذه المحن بعشرة آلاف من الفضة ونحوها . ولولا تساوى العالم^(٢) من الخاصة والعامة بمعرفة تفاوت ما بين سعر المبيعات الآن وبين سعرها قبل هذه المحن لبينا ذلك . ولا بد من الإلحاح بطرف منه إن شاء الله تعالى : فأهل الدولة لو ألهموا رشدهم ، ونصحوا أنفسهم ، لعلموا أنهم لم يثلهم ربح البتة بزيادة الأطنان ، ولا بغلاء سعر الذهب الذى كان أصل هذا البلاء ، وسبب هذه المحن ، بل هم الخاسرون ، وأن ذلك من تلبيس مباشرهم لنيلهم ما يحبون من أعراضهم ، { رَأَى حَقُّ الْمَكْرُ السَّيِّئِ إِلَّا بِأَهْلِهِ }^(٣).

وأما القسم الثانى ، وهم مياسير التجار وأولو النعمة والترف ، فإن التاجر إذا استفاد مثلاً ثلاثة آلاف درهم فى بضاعته ، فإنما يتعوض عنها فلوساً أو عشرين مثقالاً من الذهب ، ويحتاج إلى صرفها فيما لا غنى له عنه من مؤنثه^(٤) ومؤنة عياله ، وكسوته وكسوة عياله ، فهو لو تأمل لا تضح له أنه لما كان أولاً يستفيد فى مثل هذه البضاعة ألف درهم مثلاً ، أنها تغنى عنه فى كلفته مما تغنى عنه هذه الثلاثة آلاف درهم من الفلوس بكثير . فالبائس لغباوته يزعم أنه استفاد ، وهو فى الحقيقة إنما خسر ، ولسوف عما قليل ينكشف له القطاء ، ويرى ماله قد أكلته النفقات ، وأتلفه اختلاف النقود ، فيعلم فساد ما كان يظن ، وكذب ما كان يزعم ، { وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ }^(٥).

وأما القسم الثالث ، وهم أصحاب البرّ وأرباب المعاش ، فإنهم فى [ص/٤٦] هذه المحن يعيشون مما يتحصّل لهم من الربح ، فإن أحدهم لا يقتنع من الفوائد إلا بالكثير جداً ، وهو

١ - فى جميع نسخ المخطوطة « ما كان » ، ولكن ما أثبتته هو القريب إلى الصواب والصحة ويتفق مع السياق والمعنى .

٢ - فى جميع نسخ المخطوطة " العلم " والصحيح ما أثبتته ، وما يتفق مع المعنى والسياق .

٣ - سورة فاطر الآية (٤٣) .

٤ - المؤنثة : هى القوت . انظر لسان العرب لابن منظور " م . أ . ن . " .

٥ - سورة الرعد الآية (٣٣) .

بُعَيْدَ ساعات من يومه ينفق ما اكتسبه فيما لا بُدَّ منه من الكلف ، وحسبه ألا يستدين لبقية حاجته ، ويقنع كما قال الأول :

على أنتى راض بأن أحمل الهوى . واخلص منه لا على ولا لياً

وأما القسم الرابع ، [وهم ^(١)] أصحاب الفلاحة والحراث ، فهلك معظمهم لما قدمناه من شدة السنين وتوالى المحن بقله رى الأراضى . وفيهم من أثرى ، وهم الذين أرتوت أراضيتهم فى سِنِي المحل فتالا من زراعتها أموالاً جزيلة عاشوا بها هذه الأزمنة ، على [أن ^(٢)] فيهم من عظمت ثروته ، وقضت نعمته ، ونال ما أرى على مراده وزاد على ما أمّله . { وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَسْطُرُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ } ^(٣).

وأما القسم الخامس ، فهم أكثر الفقهاء وطلاب العلم ، ومن يلحق بهم من الشهود ^(٤) ، والكثير من أجناد الحلقة ، ومن شابههم ممن له عقار أو جار من معلوم سلطان أو غيره ، فهم ما بين مَيّت أو مشتهى الموت ؛ لسوء ما حل بهم . فإن أحدهم إذا أتته مائة درهم مثلاً فإن ما يأخذ عنها فلساً أو ثلثي مثقال ^(٥) ينفق ذلك فيما كان ينفق فيه من قبل عشرين درهماً من الفضة ، فلتحتهم من أجل ذلك القلة والخصاصة ^(٦) ، وسامت أحوالهم . { وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبْتُمْ أَيْدِيَكُمْ وَيَعْقَرُونَ عَنْ كَثِيرٍ } ^(٧).

١ - ما بين المعنيتين زيادة من نسخة « ب » .

٢ - ما بين المعنيتين زيادة من نسخة « ب » .

٣ - سورة البقرة الآية (٢٤٥) .

٤ - الشهود : جمع شاهد ، وهو مصطلح يستخدم فى زمن الدولة المملوكية يعنى الموظف الذى كان عمله ، أن يشهد بمتعلقات لديوان المستخدم به تقياً وإثباتاً ، هو أحد الذين جمعهم القلقشندى تحت باب كتاب الأموال ، وهى وظيفة دينية فى العصر العثمانى أيضاً . كان متولوها يجلسون حول القاضى بحسب مراتبهم فى العدالة ، انظر صبح الأعشى للقلقشندى ٤٦٦/٥ . انظر معجم المصطلحات والألقاب التاريخية بمصطفى عبد الكريم الخطيب ، ص ٢٦٨ .

٥ - فى نسخة « أ » : " فإنما يأخذ منها فلساً ويكنى مثقال " ، وفى نسخة « ج » : " فإنما يأخذ منها فلساً أو ثلثي مثقال " .

٦ - الخصاصة : الفقر وسوء الحال . انظر لسان العرب لابن منظور " خ . ص . ص " .

٧ - سورة الشورى الآية (٣٠) .

وأما القسم السادس ، فهم أرباب المهن والأجراء والحمالون والخدم والسواس والحاقة والبنائة والفعلة ونحوهم ، فإن أجرهم تضاعفت تضاعفًا كثيرًا ، إلا أنه لم يبق إلا القليل لموت أكثرهم ، بحيث لم يوجد منهم الواحد إلا بعد تطلب وعناء { وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ } (١) .

وأما القسم السابع ، فهم أهل الخصاصة والسكنة ، ففنى معظمهم جوعًا وبردًا ، ولم يبق إلا أقل من القليل . { لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ } (٢) .

١ - سورة الحج الآية (٤١) .

٢ - سورة الأنبياء الآية (٢٣) .

الفصل الخامس

[ص / ٤٧] فى ذكر نبل من أسعار هذا الزمن

وإيراد طرف من أخبار هذه المحن

اعلم أسعدك الله سعادة الأبد ، وآتاك فوز السرمد^(١) ، أن الذى استقر أمر الجمهور بإقليم مصر عليه فى النقد الفلوس خاصة ، يجعلونها عوضاً عن المبيعات كلها من أصناف المأكولات وأنواع المشروبات وسائر المبيعات ، ويأخذونها فى خراج الأرضين وعشور أموال التجار ، وعامة مجابى السلطان ، ويصيرونها قِيماً عن الأعمال جليلها وحقيرها ، لا نقد لهم سواها ولا مال إلا إياها . على أن كل قنطار منها ، وهو مائة رطل مصرية [وزناً]^(٢) ، يستمانة درهم [نقداً]^(٣) ، حساباً عن كل رطل ، وهو زنة [مائة وأربعة وأربعين درهماً وزناً ، ستة دراهم نقداً ، وعن كل درهم منها أوقيتان زنتهما]^(٤) أربعة وعشرون درهماً ، بدعة أحدثوها وبلية ابتدأوها لا أصل لها فى ملة نبوية ، ولا مستند لفعليها عن طريقة شرعية ، ولا شبهة لمبتدعها فى الاقتداء بفعل أحد من غير ، ولا انتناسة^(٥) بقول واحد من البشر ، سوى شيء نشأ عنه ذهاب بهجة الدنيا وزوال زينتها ، وتلاف الأموال وفساد زخرفها ، ومصير الكافة إلى القلة ، وشمول الفاقة للجمهور مع الذلة ، [لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا]^(٦) .

وأما أسعار المبيعات فإن الذهب انتهى بحاضرة القاهرة وريعها^(٧) ، كل مثقال منه إلى مائة وخمسين درهماً من الفلوس ، وبلغ بغير الإسكندرية كل مثقال إلى ثلاثمائة درهم فلوساً .

١ - السرمد : الدائم الذى لا ينقطع ، وقيل دوام الزمان من ليل أو نهار ، انظر لسان العرب لابن منظور "س . و . م . د" .

٢ - ما بين المعرفتين زيادة يقتضيها السياق .

٣ - ما بين المعرفتين زيادة يقتضيها السياق .

٤ - ما بين المعرفتين ساقط من نسخة « أ » وما أثبتته من نسخة « ب » ونسخة « ج » .

٥ - فى نسخة « أ » : " انتشابه " ، وما أثبتته من نسخة « ب » .

٦ - سورة الأنفال الآية (٤٢ ، ٤٤) .

٧ - فى نسخة « أ » : " وريعها " وما أثبتته من نسخة « ب » .

ويلفت دراهم المعاملة كل زنة درهم منها خمسة دراهم فلوساً . وانتهى الأردب من القمح إلى أربعمئة وخمسين فلوساً غير الكلفة : وهى عن السمسرة^(١) عشرة دراهم ، والحمولة سبعة دراهم ، والغريلة ثلاثة دراهم ، وأجرة الطحن ثلاثون درهماً ، فذلك خمسون درهماً . ويتحصل عن الأردب قمحاً نقياً خمس وبيات فقط ، وينقص منه سدسه غلثا ، فإذا لا يتهيأ كل أردب إلا من حساب [ستمائة درهم فلوساً]^(٢) . وبلغ كل أردب من الشعير والفول ما ينيف عن ثلاثمائة [درهم]^(٣) سوى الكلف ، والأردب من البسلة ثمانمائة درهم ، ومن الحمص خمسمائة درهم ، والرأس الواحد من البقر بمائة مثقال من الذهب - عنها خمسة عشر ألف درهم من الفلوس - ، [ص/٤٨] والرطل الواحد من اللحم البقرى النى بسبعة [دراهم]^(٤) فلوساً ، والرطل الواحد من الضأن بخمسة عشر درهماً ، والطائر الواحد من الدجاج من مائة درهم ، كل طائر منها إلى عشرين درهماً فلوساً ، والطائر الواحد من الأوز من مائتى درهم ، كل طائر منها إلى خمسين درهماً [فلوساً]^(٥) ، والرأس الواحد من الغنم الضأن بما ناف عن ألفى درهم فلوساً . وبيع الجمل بسبعة آلاف فلوساً ، والقحح الواحد من لب اليقطين بمائة درهم وعشرين درهماً فلوساً ، [والقحح من الأرز بخمسة عشر درهماً فلوساً]^(٦) ، والأردب الواحد من بذر الجزر بخمسمائة درهم فلوساً ، وكل قدح من بذر الفجل بمائة وخمسين درهماً فلوساً ، وكل قدح من بذر اللفت ثلاثمائة درهم فلوساً ، وكل قنطار من الشيرج غير كلفة بألف ومائتى

- ذكر الإمام المقرئى فى كتابه : الخطط المقرئية : " قيمة السمسرة عامة بأقل من هذا ، وذكر أن السلطان الملك الناصر محمد ألفى سنة ٧١٥هـ ما يسمى باسم نصف السمسرة ، ونصه : " وما أبطل أيضاً نصف السمسرة وهو عبارة عن أن من باع شيئاً من الأشياء فإنه يعطى أجرة الدلال على ما تقر من قديم ، عن كل مائة درهم درهمن ، فلما ولى ناصر الدين ابن الشينى الوزارة ، قرر على كل دلال من دلالته درهماً من كل درهمن ، فصار الدلال يعمل معدله ويجتهد حتى ينال عادته ، وتصير الغرامة على البائع فتضرر الناس من ذلك ، وأودوا فلم يقاوا ، حتى أبطل ذلك السلطان . انظر الخطط للمقرئى ٨٨/١ - ٨٩ .

- ما بين المعقوفين ساقط من « أ » وما أثبتته من نسخة « ب » ونسخة « ج » .

- ما بين المعقوفين زيادة من نسخة « ب » .

- ما بين المعقوفين ساقط من « أ » وما أثبتته من « ب » ، و « ج » .

- ما بين المعقوفين زيادة من « ب » .

- ما بين المعقوفين زيادة من « ب » .

درهم فلوساً ، [والبطيخة الواحدة فى أوان البطيخ بعشرين درهماً فلوساً] ^(١١) ، وكل رطل من العنب فى أوانه بأربعة دراهم فلوساً . وكل قنطار من القرع بمائة درهم فلوساً ، والسكر كل رطل إلى سبعين درهماً [فلوساً] ^(١٢) ، وزيت الزيتون كل قنطار منه بخمسمائة وخمسين درهماً [فلوساً] ^(١٣) ، والثوب القطن بألف وخمسمائة درهم [فلوساً] ^(١٤) ، والذراع الواحد من ثياب الكتان الذى لم يقصر ببضعة عشر درهماً فلوساً ، والبيضة الواحدة من بيض الدجاج بنصف درهم فلوساً ، والليسونة الواحدة بثلاثة دراهم فلوساً ، والرطل الواحد من الكتان الذى [لم] ^(١٥) يشق بعشرين درهماً فلوساً .

ويبلغ بالإسكندرية وتروجة كل قدح واحد من القمح إلى أربعين درهماً فلوساً ، ومن الشعير ثلاثين درهماً ، والرطل من الخبز عشرة دراهم ، والرطل من لحم الضأن ستين درهماً فلوساً ، [والطنائر المتوسط من الدجاج سبعة وخمسين درهماً فلوساً] ^(١٦) ، والبيضة الواحدة من بيض الدجاج بدرهمين فلوساً ، والأوقية من الزيت بأربعة دراهم فلوساً .

ويبلغ كل قدح من بذر الرحلة بالقاهرة إلى ستين درهماً فلوساً وسبعين ، والرطل الواحد من الكمثرى إلى بضعة وخمسين درهماً ، والقنطار من الشريخشك ^(١٧) إلى ثلاثين ألف درهم فلوساً ، والقنطار من الترنجيبين ^(١٨) إلى خمسة عشر ألف درهم فلوساً ، والزهرة الواحدة من

١ - ما بين المعقوفتين زيادة من نسخة « ب » .

٢ - ما بين المعقوفتين زيادة من نسخة « ب » .

٣ - ما بين المعقوفتين زيادة من نسخة « ب » .

٤ - ما بين المعقوفتين زيادة من نسخة « ب » .

٥ - ما بين المعقوفتين ساقط من « أ » و « ج » وما أثبتته من « ب » ، حيث ورد أن ثمن الرطل من هذا النوع من الكتان " بضعة عشر درهماً فلوساً " وليس عشرين كما هو مثبت .

٦ - ما بين المعقوفتين أثبتته من نسخة « ب » ونسخة « ج » .

٧ - الشريخشك : نوع من اللبن أو البلسم ، ولعل المقصود به نوع من الأدوية أو الترياقات المستعملة فى تلك العصور ، انظر معجم فارهنك فارسى أمروز ، غلام حسين صدرى " الشريخشك " .

٨ - الترنجيبين : كلمة فارسية تعنى العمل الرطب ، أو مادة تجمع كالمن ، انظر معجم فارهنك فارسى أمروز ، غلام حسين صدرى " الترنجيبين " .

النيلوفر^(١) إلى درهم فلوساً ، والخياوة الواحدة إلى درهم [فلوساً]^(٢) ونصف . وبيع الفروج الواحد بسبعة وثلاثين درهماً فلوساً ، وبيع قى تركة ملوطتان^(٣) غسيلتان من قطن بألفى درهم ومائتى درهم وأربعين [درهماً]^(٤) فلوساً . وبقية المبيعات بهذه النسبة . فمن نظر إلى أثمان المبيعات باعتبار [ص/٤٩] الفضة والذهب لا يجدها قد غلت^(٥) إلا شيئاً يسيراً ، وأما باعتبار ما دهمى الناس من كثرة الفلوس فأمر لا أشنع من ذكره ، ولا أفظع من هوله ، فسدت به الأمور ، واختلت به الأحوال ، وآل أمر الناس بسببه إلى العدم والزوال ، وأشرف من أجله الإقليم على الدمار والاضمحلال . ولكن (اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ)^(٦) .

١ - النيلوفر : ضرب من الرياحين ، وهو لفظ أعجمى ، ينبت هذا النوع من الرياحين فى المياه الراكدة ، له أصل كالجزر ، وساق أملس يطول بحسب عمق الماء ، فإذا سارى سطح الماء أوبرق وأزهر ، وإذا بلغ يسقط على رأسه ثمر داخله برز أسود ، انظر معجم فارهنك فارسى امروز ، غلام حسين صدرى " النيلوفر " .

٢ - ما بين المعقوفتين زيادة من نسخة « ج » .

٣ - الملوطة : والجمع ملايط وملوطات ، وهى كلمة يونانية الأصل ، وقد تسربت إلى اللغة العربية عن طريق اللغة القبطية ، وقيل : هى الجبة تلبس فوق القرجية ، أو قميص واسع الأكمام ، وكان من ملابس الممالك بمصر ، وكان يرتديها قنصرة الغورى حينما نودى به سلطاناً . انظر الملابس الملوكية ، ل . أ . ماير . ترجمة صالح الشيتى ، طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٢ ، ص ٤٥ .

٤ - ما بين المعقوفتين زيادة من « ب » .

٥ - فى نسخة « أ » : " قلت " ، وما أثبتته من نسخة « ب » .

٦ - سورة الحج الآية (١٨) .

الفصل السادس

فيما يُزيل عن العباد هذا الداء

ويقوم لمرضى الزمان مقام الدواء

وإذ قد تقدّم من القول بيان الأسباب التي حصلت منها هذه المحن ، فبقى أن يتعرف من فتق الله ذهنه ، وأزال غشاء بصره ، كيف العمل في إزالة ما بالناس من هذه البليات ، لتعود أحوالهم إلى مثل ما كانت عليه من قبل .

فتقول : اعلم أرشدك الله إلى صلاح نفسك ، وألهمك مرشد أبنائك جنسك ، أن التقود المعيرة شرعاً وعقلاً وعادة إنما هي الذهب والفضة فقط ، وما عداها لا يصلح أن يكون تقدراً . وكذلك لا يستقيم أمر الناس إلا بحملهم على الأمر الطبيعي الشرعى في ذلك ، وهو تعاملهم في أثمان مبيعاتهم وأعواض قيم أعمالهم بالفضة والذهب لا غير ، وذلك يسير على من يسره الله له . وهو أن الفضة الخالصة - التي لم تضرب ولم تغش - سعر كل مائة درهم منها خمسة مثاقيل من الذهب ، وتحتاج بدار الضرب في ثمن نحاس ، ومكس للسلطان ، وثمان حطب ، وأجرة صناع ونحو ذلك - بحكم سعر هذا الوقت - إلى ربع دينار ؛ فتصير بهذا العمل وزن مائة وخمسين درهماً معاملة ، [عنها من الذهب كما مر أنفاً خمسة مثاقيل وربع مثقال ^(١) ، فيحكم ذلك يكون صرف ^(٢) كل مثقال من الذهب المختوم بأربعة وعشرين درهماً من الفضة المعاملة . والمثقال من الذهب الآن يؤخذ فيه عن صرفه من النحاس الأحمر المضروب قطعاً والمسمى فلوساً ثلاثة وعشرون رطلاً وثلاث رطل ، حسابها يزعمهم مائة وأربعون درهماً فلوساً ، وهو صرف الدينار بالفلوس لعهدئذ ^(٣) .

١ - ما بين المعرفتين زيادة من نسخة « ج » ، وعبارة " من الذهب " ساقطة من نسخة « ب » .

٢ - في نسخة « أ » : " ضرب " ، وما أثبتته من نسخة « ب » .

٣ - في نسخة « أ » : " لعهدته " ، أو " لعمدته " ، وما أثبتته من نسخة « ب » .

فإذا وفق الله تعالى مَنْ إليه أمر الرعية أَنْ يأخذ [ذلك القدر] ^(١) فى ضرب الفضة المعاملة ، فإنه يؤول ^(٢) أمر الناس إن شاء الله تعالى إلى زوال هذا الفساد ، وعودهم إلى رجوع أسعار المبيعات وقيم الأعمال على ما كانت عليه قبل هذه المحن . فإنه تبين كما ذكر أن المشقال من الذهب يصرف [ص / ٥٠] بأربعة وعشرين درهماً من الفضة المعاملة . ويؤخذ بالأربعة والعشرين درهماً من الفضة ثلاثة وعشرون رطلاً وثلاث رطل من الفلوس التى تعد فى كل درهم من الفضة المعاملة منها نحو مائة وأربعين فلساً ، تصرف فى محقرات المبيعات ونفقات البيوت ، فيعظم النفع بها ، وتنحط الأسعار ، وعما قليل لا تكاد توجد لضرب الناس لها أوانى ، وفى ذلك من صلاح ^(٣) الأمور واتساع الأحوال ، ووفور النعم وزيادة الرِّقَّة ، ما لا حد له ، { وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ } ^(٤).

١ - ما بين المعقورتين زيادة من نسخة « ب » .

٢ - فى نسخة « أ » : " لا يؤول " ، وما أثبتته من نسخة « ب »

٣ - فى نسخة « أ » : " مصالح " وما أثبتته من نسخة « ب »

٤ - سورة النور الآية (١٩) .

الفصل السابع

فى بيان محاسن هذا التدبير

العائد نفعه على الجم الغفير

اعلم ، جملك الله بالمناقب ، وصانك من شين المعاييب ، أن من ملكته العوائد ، واسترقتة المألوفات ، قيدته رعونات نفسه حتى وقف على ما عهد ، ولم يتراء إلى معرفة ما غاب عنه ، ولا تصور سوى ما أحس ، فإنه يقول : « لا فائدة فى إتعاب فكر وإطالة كدك ، وتضريب رأى نفسك ، وتخطيك فعل غيرك ، والحال بعد طول الغناء أفضى إلى كون الذهب والفلوس على مثل ما كانا عليه سواء ، من غير تغيير شىء من حالهما ، بغير زيادة ^(١) فى سعرهما ولا نقصان منه البتة » .

فنقول : صدق الله العظيم [حيث] ^(٢) قال : (هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ) ^(٣) . فإنه لا شك [أن] ^(٤) فى ما ذكرنا فائدتين جليلتين : أحدهما رجوع أحوال العامة إلى مثل ما كانت عليه من قبل هذه المحن فى أمور الأسعار وأحوال المبيعات . والفائدة الثانية بقاء ما بأيدي الناس من الذهب والفلوس - للذين هما النقد الراجح الآن - على ما هما عليه من غير زيادة ولا نقص مع رد الأحوال والرؤف والرخض إلى ما كانت عليه أولاً قبل هذه المحن . ولعمري لا يجهل قدر هاتين ^(٥) الفائدتين الجليلتين ، ويجحد ^(٦) حق هاتين النعمتين العظيمتين ، من له أقل حظ من تمييز ، وأنزر نزر من شعور ، إلا من قصد أن يخون ^(٧) عهد الله وأمانته فيما استرعاه من أمور عبادته بإظهار الفساد وإهلاك العباد ، والله لا يهدى كيد الخائنين ^(٨) . فأقول وبالله استعين فهو المعين :

١ - فى نسخة « أ » : " بزيادة " وما أثبتته من نسخة « ب » .

٢ - ما بين المعقوفتين زيادة من نسخة « ب » .

٣ - سورة الزمر الآية (٩) .

٤ - ما بين المعقوفتين زيادة من نسخة « ب » .

٥ - فى نسخة « أ » ونسخة « ب » ونسخة « ج » : " هذين " وهو خطأ

٦ - فى نسخة « أ » : " يجهل " وما أثبتته من نسخة « ب » .

٧ - فى نسخة « أ » : " يكون " وما أثبتته من نسخة « ب » .

٨ - اقتباس من سورة يوسف الآية (٥٢) .

وما فاتنى نصركم باللسان إذا هو قد فاتنى باليد

اعلم ، وفقك الله إلى [ص/ ٥١] الإصغاء إلى الحق ، وألهمك نصيحة الخلق ، أنه قد تبين بما تقدم أن الحال فى فساد الأمور إنما هو سوء التدبير لا غلاء الأسعار . فلو وفق الله من أسند إليه أمر عبادته حتى ردّ المعاملات إلى ما كانت عليه من قبل من المعاملة بالذهب خاصة ، ورد قيم السلع ، وعوض الأعمال كلها إلى الدينار ، أو إلى ما حدث بعد ذلك من المعاملة بالفضة المضروبة ، [ورد قيم الأعمال وأثمان المبيعات إلى الدرهم]^(١) ، لكان فى ذلك غياث الأمة وصلاح الأمور ، وتدارك هذا الفساد المؤذن بالدمار .

وبيان ذلك أن النقد إذا عاد إلى ما كان عليه أولاً ، وصار من يأتیه^(٢) مال من خراج أرض ، أو أجرة عقار ، أو معلوم سلطان ، أو من وقف أو قيمة عمل ، فإنما يتناول ذلك ذهباً أو فضة بحسب ما يراه من يلى من أمور العامة ، فيصرف ذلك فيما عساه يحتاج إليه من مأكول [ومشروب]^(٣) أو ملبوس أو غيره ، فعلى ما نزل بنا الآن من اختلاف الأحوال ، إذا عمل ذلك لا يجد من صار إليه شيء من النقدين على ما تقرر غيباً^(٤) البتة ، لأن الأسعار حينئذ إذا نسبت إلى الدرهم أو الدينار لا يكاد يوجد فيها تفاوت عما كنا نعهد قبل هذه المحن البتة ، إلا أشياء معدودة سبب غلاتها أحد أمرين : الأول فساد نظر من أسند إليه النظر فى ذلك ، وجهله بسياسة الأمور ، وهو الأكثر فى الغالب ، والثانى الجائحة^(٥) التى أصابت ذلك الشيء حتى قل ، كما حصل فى لحوم الأبقار بالموت الذريع الذى نزل بها فى سنة ثمان وثمانمائة^(٦) ، وما حصل فى السكر من قلة زراعة قصبه واعتصاره فى سنتى سبع وثمان [وثمانائة]^(٧) ، وهذا يسير بالنسبة إلى الأول .

١ - ما بين المعرفتين زيادة من نسخة « ب » وساقط من نسخة « أ » ، ونسخة « ج » .

٢ - فى نسخة « أ » : " وصار من يأتیه من مال أو خراج أرض ... " وما أثبت من نسخة « ب » .

٣ - ما بين المعرفتين زيادة من نسخة « ب » .

٤ - فى نسخة « أ » : " غيره " وفى نسخة « ب » : " غين " .

٥ - فى نسخة « أ » : " الحاجة " وما أثبت من نسخة « ب » .

٦ - هذا دليل على أن هذا الكتاب الذى نحن بصدد تحقيقه كتب فى سنة ٨٠٨ هـ .

٧ - ما بين المعرفتين زيادة من نسخة « ب » .

ومع ذلك فلو وجد من أوتى توفيقاً وألهم رشداً ، لكان الحال غير ما عليه الآن بخلاف الحال فى هذه المحن ، فإن المال الواصل إلى كل أحد من خراج أو غيره ، إنما هو فلوس منسوبة إلى الأبطال كما تقدم . والذهب والفضة وسائر المبيعات كلها من مأكول وملبوس أو غيره نعم ، وخراج الأرضين إنما ينسب إلى الفلوس ، فيقال كل دينار بكذا وكذا درهم من الفلوس ، والفضة كل درهم منها بكذا وكذا درهم [ص/٥٢] من الفلوس ، والشباب والسلع كلها ، والخراج فى الإقليم كله ، كل كذا من كذا بكذا وكذا درهم من الفلوس .

وبالضرورة يدرى كل ذى حس ، وإن بلغ فى الجهل الغاية من الغباوة ، أن المال إنما يؤخذ غالباً عن خراج الأراضى ، أو أثمان المبيعات أو قيم الأعمال ، أو من وجوه البر والصلات ، وأنه لا بد وأن يصرف فى الأمور الحاجية وسائر الأغراض البشرية ، إما على وجه الاقتصاد^(١) ، أو فى سبيل السرف والتبذير . فإذا صار إلى أحد مبلغ ما من هذه الفلوس ، وأنفقه فى سبيل من سبل أغراضه ، فإنه يجد من الغبن^(٢) ما لا غاية وراءه .

وبيان ذلك أن السلطان إذا وصل إلى ديوانه ستون ألف درهم من الفلوس ، فإنما يقبض منها متولى ذلك الديوان مائة قنطار من الفلوس ، أو ذهباً بحسابه . فإن كان مثلاً إنما وردت إلى ديوان الوزارة ، فإن الوزير ، لما يحتاج إليه من اللحوم السلطانية ، يشتري بهذه الستين ألف درهم التى وزنها مائة قنطار من الفلوس ، وعنهما من الذهب [بحسابه] ^(٣) ، ما زنته من اللحم ستة وستون قنطاراً وثلاث قنطار ، حساباً عن كل قنطار سبعمائة درهم . وقبل هذه المحن كان يشتري بالستين ألف درهم ألف قنطار وخمسمائة قنطار من اللحم ، حساباً عن كل قنطار أربعين درهماً . وفرق عظيم ، وغبن فاحش ، ما بين الأول والثانى .

واعتبر ذلك فى سائر الأموال السلطانية ووجوه مصارفها ، وتنزل إلى أموال الأمراء ، ثم إلى من دونهم من رؤساء الدولة ، كالوزراء والقضاة وأعيان الكتّاب ومياسير التجار وغيرهم ، فإنك تجد مثلاً الواحد من أهل الطبقة الوسطى إذا كان معلومه فى الشهر ثلاثمائة درهم ،

١ - فى نسخة « أ » : " الانساد " وما أثبتته من نسخة « ب » .

٢ - القَبْنُ : الوَكْسُ فى البيع والشراء . لسان العرب لابن منظور " غ . ب . ن " .

٣ - ما بين المعرفتين زيادة يقتضيها السياق .

حساباً عن كل يوم عشرة دراهم فإنه كان قبل هذه المحن إذا أراد التفقة على^(١) عياله يشتري لهم من هذه العشرة دراهم [الفضة]^(٢) مثلاً ثلاثة أرتال لحم من لحوم الضأن بدرهمين ، ولتوابلها مثلاً درهمين ، ويقضى غداء ولده وأهله ومن عسائه بخدمة بأربعة دراهم . واليوم إنما تصير إليه العشرة فلوساً زنتها عشرون أوقية ، فإذا أراد أن [ص/٥٣] يشتري ثلاثة أرتال لحم فإنما يأخذها بسبعة وعشرين درهماً فلوساً ، ويصرف فى توابلها وما يصلح شأنها على الحالة الوسطى عشرة دراهم ، فلا يتأتى له غداء ولده وعيالاته إلا بسبعة وثلاثين درهماً فلوساً . وأنى يستطيع من متحصله عشرة أن ينفق سبعة وثلاثين فى غداء واحد ؟ سوى ما يحتاج إليه من زيت وماء وأجرة مسكن ومؤونة دابة وكسوة ، وغير ذلك [مما يطول سرده ويكفى فيه تساوى العالم من الحضارين بمعرفته]^(٣).

فهذا هو سبب زوال النعم التى كانت بمصر وتلاشى الأحوال بها ، وذهاب الرفه ، وظهور الحاجة والمكسنة على الجمهور : { وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ }^(٤).

فلو وفق الله تعالى من أئسد إليه أمور العباد إلى رد النقود على ما كانت عليه أولاً ، لكان صاحب هذه العشرة دراهم إذا قبضها فضة رآها على حكم أسعار وقتنا هذا تكفيه وتفضل عنه . فإن الغذاء الذى قلنا أن قيمته الآن سبعة وثلاثون درهماً من الفلوس ، يدفع فيه الآن ستة دراهم وسدس درهم من الفضة المعاملة ، حساباً عن كل درهم من الفضة خمسة دراهم من الفلوس ، التى زنتها عشرة أواق . فإذن ليس بالناس غلاء ، إنما نزل بهم سوء التدبير من الحكام ، ليذهب الله غناء الخلق ويبتليهم بالقلّة والذلة ، جزاءً بما كسبت أيديهم وليذيقهم بعض الذى عملوا ولعلهم يرجعون^(٥).

١ - فى نسخة « أ » : " إلى " وما أثبتته من نسخة « ب » .

٢ - ما بين المعرفتين زيادة من نسخة « ب » .

٣ - ما بين المعرفتين زيادة من نسخة « ب » .

٤ - سورة الأنعام الآية (١١٢) .

٥ - اقتباس من سورة الروم الآية (٤١) .

وهذان المشالان فيهما كفاية لمن أزال الله الطمع^(١) عن قلبه ، وهده إلى إغاثة العباد وعمارة البلاد ولله الأمر من قبل ومن بعد^(٢) .

قال المؤلف رحمه الله تعالى : تيسر لى ترتيب هذه المقالة وتهذيبها فى ليلة واحدة من ليالى المحرم سنة ثمان وثمانائة . والله يهدى من يشاء ، والحمد لله وحده ، وصلى الله على من لا نبي بعده .

ووافق الفراغ من تسويدها فى اليوم التاسع عشر من شعبان المكرم سنة ١١٠١ هـ ، على يد أفقر العباد محمد الشهير بالقطرى ، أمام جامع الوزير وخطيبه ، ببندر جدة المحروس .

١ - فى نسخة « أ » : « الطبع » وما أثبتته من نسخة « ب » .

٢ - اقتباس من سورة الروم الآية (٤) .

الفهارس العامة

- ١ - فهرس الآيات القرآنية
- ٢ - فهرس الأحاديث النبوية .
- ٣ - فهرس الأعلام .
- ٤ - فهرس الأماكن والبلدان .
- ٥ - فهرس الأوزان والمكاييل .
- ٦ - فهرس النقود .
- ٧ - فهرس المحاصيل .
- ٨ - فهرس الكتب المستخدمة فى الدراسة والتحقيق
- ٩ - فهرس الموضوعات .

١ - فهرس الآيات القرآنية

الآية	اسم السورة	رقم الآية	الصفحة
١ - وَاللَّهُ يَضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ..	البقرة	٢٦١	١١٠
٢ - يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايْتُمْ بِيَدَيْنِ ...	البقرة	٢٨٢	٤٧
٣ - ذَلِكَ أَذْنِي أَنْ يَأْتُوا بِالشَّهَادَةِ عَلَى وَجْهِهَا ..	المائدة	١٠٨	٤٧
٤ - حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْتَاهُمْ بَغْتَةً ..	الأنعام	٤٤	٧٧
٥ - وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ...	الأنعام	١١٢	١٦٠
٦ - وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ ..	الأعراف	١٣٠	٨٥
٧ - وَدَمَرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ ..	الأعراف	١٣٧	٨٥ ، ٣٩
٨ - لَيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا ...	الأنفال	٤٤ ، ٤٢	١٥١
٩ - حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ ...	يونس	٢٤	١١٠
١٠ - فَتَذَرُ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ..	يونس	١١	٧٧
١١ - قَالُوا نَفَقْدُ صَوَاعِ الْمَلِكِ ..	يوسف	٧٢	١٢٩
١٢ - وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ ...	يوسف	٧٦	١٣٨
١٣ - إِنَّ رَبِّي لَعَلِيمٌ لِمَا يَشَاءُ ...	يوسف	١٠٠	١٠٢
١٤ - وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءَ ...	الرعد	١١	١٤٦
١٥ - وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ...	الرعد	٣٣	١٤٨
١٦ - وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا ..	الإسراء	١٦	١١٩
١٧ - لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ ...	الأنبياء	٢٣	١٥٠
١٨ - وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ...	الحج	٤١	١٥٠
١٩ - اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ...	الحج	١٨	١٥٤
٢٠ - وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ...	النور	١٩	١٥٦

الآية	اسم السورة	رقم الآية	الصفحة
٢١ - فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا ...	النمل	٥٢	٩٧
٢٢ - ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاءُوا ...	الروم	١٠	١١٥
٢٣ - إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ..	الصافات	٣٥	٧٧
٢٤ - سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ ...	الأحزاب	٦٢	١٢٠
٢٥ - وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ ...	فاطر	٤٣	١٤٨
٢٦ - قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ...	الزمر	٩	١٥٧
٢٧ - وَهُوَ الَّذِي يُنْزِلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا ..	الشورى	٢٨	١١٤
٢٨ - وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ...	الشورى	٣٠	١٤٩
٢٩ - وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُتُّ مِنْ دَابَّةٍ آيَاتٌ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ...	الجاثية	٥ ، ٤	١١٢
٣٠ - وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا ...	النجم	٣١	
٣١ - هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ ..	الصف	٩	١٢٨
٣٢ - قَدْ زُرْنِي وَمَنْ يَكْذِبْ بِهَذَا الْحَدِيثِ ...	القلم	٤٤	٧٧
٣٣ - قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ...	الإخلاص	١	١٢٦

٢ - فهرس الأحاديث النبوية

الحديث	الصف
- من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً ...	١٣
- منعت العراق درهماً وقفيزها ...	١٣٧

٣ - فهرس الأعلام
حرف الألف

العلم	الصفحة
إبراهيم رمزي .	٢٣
إبراهيم بن وصيف شاه .	٨١ ، ٤٠ ، ٣٨
أتريب بن مصرم .	٨٣
ابن الزبير الجزري .	١٣٠ ، ١٠٣
أحمد الأنصاري	٢٤
أحمد عطية الله .	١٢٢ ، ٩٠ ، ٨٤
أحمد بن علي المقرئ = المقرئ .	٢٩ ، ٩ ، ٣
أحمد فارس الشدياق .	٢٥
الأحنف بن قيس	١٢٤
الإخشيدي	٨٦
آدم عليه السلام	١٢٠ ، ٨٤ ، ٣٩
الأذرعى .	١٣
أرفخشذ بن سام .	٨٣
أسامة بن زيد .	٩٠

١٣٥	إسحاق المعتصم .
١٢٥	ماعيل التيمي
١٣	سنوى
٥٧	شرف برسبای
١١٣ ، ٥٧	شرف شعبان
٨٢ ، ٨١ ، ٤٠	روس بن مناوش
١٠١	فضل شاهنشاه بن بدر الجمالى .
١٠٢	فضل بن وحش .
١٠١	مر بأحكام الله .
٢٦	متاس الكرملى
٨٦	يجورين بن الإخشيد
١٠٦	، إياس

حرف الباء

٢٢	ر الدين السباعى
٤٥ ، ١٨	ر الدذين العبنى
٥٠	سباى
١٨	سلطان برقوق
١٣	رهان الآمدى
١١	فان الدين إبراهيم الأموى
١٠٤	ستانى
١٤٣ ، ١٠	، بطوطة
١٢٤	بكر الصديق

١٣

أبو بكر بن العز

١٣

البلقيني

٤٥

بيبرس

حرف التاء

١٢

الترمزي

٢٧، ٢١، ٢٠، ١٢، ١١، ٩

ابن تغرى بردى

، ٨٩، ٨٨، ٨٧، ٥١، ٤٥

١١٣، ١٠٦، ١٠٢، ١٠١

١٤٥، ١٣٩، ١٣٠، ١٢٧

٢٦، ١٩

قيم الدارى

١١

ابن تيمية

حرف الجيم

٢٩، ٢٥، ٢٣، ٩

جرجى زيدان

١٣٢، ٨٥

أبو جعفر المنصور

١٣٤، ٣٣

جعفر بن يحيى اليرمكى

٤٥

جلال الدين السيوطى

١٣٨

ابن جماعة بدر الدين

، ٥٢، ٢٧، ٢٥، ٢٢

جمال الدين الشيال

١٠٣، ٥٣

١٠٨

جمال الدين الطيندى

١٣٤

الجشهارى

١٢٥

ابن الجوزى

جوهر بن عبد الله الرومي

٨٨

حرف الحاء

١٠٢	الحافظ لدين الله
١٣٩، ٩٢، ٨٩، ٦٢	الحاكم بأمر الله
١٣٠، ١٢٧، ١٢٦، ١٢٥	الحجاج بن يوسف الثقفي
١٣٠، ١٢٧، ١٢٥، ٤٥، ٤٠	ابن حجر العسقلاني
١٢	ابن حجر الهيتمي
١٣٠، ١٢٧، ١٢٥	ابن حزم
١٧	السلطان حسن
١٢	حسن حبشي
١٣٤	الحسن بن سهل
٨٨	الحسن بن عبد الله بن طغج
٩٢	الحسن بن علي بن عبد الرحمن اليازوري
٨٩	الحسن بن عمار
٦٩	حسين أغا
١٣٥	الحسين بن علي بن أبي طالب
٨٥	حسين نصار
٢٤	لحميري

حرف الخاء

١٣١	خالد بن عبد الله القسيري
١٢٧، ١٢٦	خالد بن يزيد بن معاوية
١٣٧، ١٣٤	الخطيب البغدادي

١١ ، ١٣ ، ١٤ ، ١٨ ، ٢٩ ،

٣٣ ، ٤٥

٨٨ ، ١٠١ ، ١٠٢

١٣٣ ، ١٣٤ ، ١٣٩

١٢٥ ، ١٢٧ ، ١٣٠ ، ١٣٧

١٢ ، ١٤٥

٩٢ ، ٩٨

٤٦

١٣٠

ابن خلدون = عبد الرحمن بن محمد

ابن خلكان

خليفة بن خياط

الخليفة المتوكل محمد بن المعتضد

الخليفة المنتصر

خليل بن شاهين = ابن شاهين

الخوانساري

حرف الدال

١٢ ، ٤٥

٢٥

ابن دقماق العلاقي

دوساسي الفرنسي

حرف الال

الذهبي

١٠٢ ، ١٢٥ ، ١٢٧ ، ١٣١

١٣٢ ، ١٣٣ ، ١٣٤ ، ١٣٥

حرف الراء

الراضي بالله

رأفت محمد النبراوي

رضوان بن الوحشي

الريان بن الوليد بن درمع

٨٦

٢٦

١٠٢

٨٤

حرف الزاي

الزركلي

١٣٠

زكى محمد حسن

٤٤

زياد بن أبيه

١٢٤

حرف السين

السبكي أبو البقاء

١٣

السخاوي

١٧، ١٤، ١٣، ١٢، ١١، ١٠

٤٠، ٢٧، ٢٦، ٢٥، ٢٣، ٢٠

١٣٩، ٥٢، ٥٠

السراج البلقيني

١٢

أبن سعد

١٢٧

سعد الدين الأسفراييني

١٣

سعيد عبد الفتاح عاشور

١٠٣، ٤٦، ٢٥

سعيد بن المسيب

١٢٧

السلطان العادل الأيوبي

١٠٣

السلطان الكامل محمد الأيوبي

٦٢

سليمان بن عزة

٨٩

سُمير اليهودي

١٢٧، ١٢٦

السندري بن شاهين

١٣٤

سهيل زكار

٥١، ٢٧

سيدة إسماعيل كاشف

٨٦

سيف الدين أبو بلكر الدواداري

٤٥

سيف الدين حسين

١٠٣

السيوطي = عبد الرحمن السيوطي

١١٣، ١٠٢، ٩٣، ١٢، ٩

١٣٤ ، ١٣٣ ، ١٣٢ ، ١٣١

١٤٠ ، ١٣٩ ، ١٣٨ ، ١٣٥

١٣٠

ابن سيرين

حرف الشين

١٠٦

٣٠ ، ٢٩ ، ٢٥ ، ١٢ ، ١١

٥٣ ، ٥٢ ، ٥١

١٠٣

أبو شامة المقدسى

٤٦

ابن شاهين

١٨

شمس الدين البجاسى

١٣

الشمس بن سكر

١١١

الأمير شيخون

حرف الصاد

٨٤

صا بن قبطيم بن مصر

٨٤

صا بن مصرم

١١١ ، ١٠٢

الصالح طلائع بن زُرَيْك

١٥٤

صالح الشيتى

١٣ ، ١١ ، ١٠

ابن الصايغ

١٢

ابن الصلاح

١٨ ، ١٢

ابن الصيرفى

حرف الطاء

١٢٢

طاهر راغب حسين

أبو الطاهر الكحلي ١٤١

الطبرى = أبو جعفر الطبرى ١٣١

حرف الظاء

الظاهر برقوق ١٧ ، ٦٣ ، ١١١ ، ١١٦ ، ١١٨ ،

١٤٥

حرف العين

العادل كتيغا ١٤٤

أبو العباس بن العز ١٣

أبو العباس بن عبد المعطى ١٣

العباس بن الفضل بن الربيع ١٣٤

ابن عبد البر ١٢٥

عبد الرحيم بن الحسين العراقى ١٢

عبد الله البستانى ٩٦

عبد الله بن الزبير ١٢٥ ، ١٢٦

عبد الله بن عامر ١٣٥

عبد الله بن عبد الملك بن مروان ٣١ ، ٨٥

عبد الله بن عبدى الجرجانى ٢٦

عبد الله بن محمد الصايغ = ابن الصايغ ١٠

عبد الله المأمون ١٣٤

عبد المجيد عابدين ٢٣ ، ٥٤

عبد المجيد بن محمد بن المستنصر ١٠٢

عبد الملك بن رقاعة ٩٠

عبد الملك بن مروان

١٢٦ ، ١٢٥ ، ١٢١ ، ٩٠ ، ٣١

١٣٠ ، ١٢٩ ، ١٢٨ ، ١٢٧

١٤٢ ، ١٣١

عبد الوهاب عزام

٤٥

عبيد الله بن زياد

١٣٥

عثمان بن حنيف

١٣٧

عثمان بن عفان

١٣٥ ، ١٢٤ ، ٥١ ، ٢٤

العراقي

١٣

ابن عريشاه شهاب الدين الأنصاري

٢٤

العز بن الكريك

١٣

عز الملك محمد بن عبيد الله

١٣٩

العزیز بن صلاح الدين

١١١

ابن عساكر

١٢٠ ، ٤١ ، ٣٩

على بن الإخشيد = الإخشيد

٨٧

عمر بن بهيرة

١٣١

على بن حسن الهاشمي

٥٣

على بن محمد الماوردي = الماوردي

١٣٨

على بن يوسف الزرندى

١٣

ابن العماد الحنبلي

١٠٢ ، ٨٨ ، ١٢ ، ١٠ ، ٩

١٢٦ ، ١٢٥ ، ١١٤ ، ١١٣

١٣٢ ، ١٣١ ، ١٣٠ ، ١٢٧

١٣٨ ، ١٣٥ ، ١٣٤ ، ١٣٣

١٤٥ ، ١٤٤

١٣٨ ، ١٣٧ ، ١٢٤ ، ١٢٢ ، ٩٠

٨١ ، ٤٦ ، ٣٨

١٣٨ ، ٨٦ ، ١٧

١٠٢

حرف الغين

١٣٣

١٥٤ ، ١٥٣ ، ٩٥

حرف الفاء

١٠٢

١٠١

١٢١

١١١

١١٠

١٤٤

١٩ ، ١٨ ، ١٧

٨٢

٨٥ ، ٣٩

٤٦

١٣٤

١٣

عمر بن الخطاب رضى الله عنه

عمر رضا كحيلة

عمرو بن العاص

عيسى بن الظافر بأمر الله

غطريف بن عطا

غلام حسين صدرى

الفائز بنصر الله

ابن فاتك = المأمون البطائحي

فالع بن غابر بن شالح

فخر الدين بن الخليلي

فخر الدين الطنبغا المساحي

فخر الدين عمر بن عبد العزيز

فرج بن برقوق

فرغان بن مسود

فرعون

ابن فضل الله العمري

الفضل بن الربيع

الفرنسيسي

حرف القاف

أبو القاسم بن أبي زيد

ابن قتيبة

القلقشندی

١٤٢

١٣٠ ، ١٢٧ ، ١٢٥

٨٤ ، ٨٣ ، ٨٢ ، ٨١ ، ٤٦

، ٩٩ ، ٩٥ ، ٩٢ ، ٩١ ، ٩٠

، ١٢١ ، ١١٩ ، ١٠٧ ، ١٠٦

١٤٩ ، ١٤٣ ، ١٤٠ ، ١٢٢

١٥٤

قنصوة الغورى

حرف الكاف

كانز مير الفرنسى

كافور الإخشيدى

الكامل الأيوبى

الكتانى

كتيفا

ابن كثير

كحالة = عمر رضا كحالة

الكندى

٢٥

٨٨ ، ٨٧

١٤١

١٣٠

١٠٦ ، ٥٥

١٣٢ ، ١٣٠ ، ١٢٧

١٣٠

٨٦

حرف اللام

لاذو بن سام بن نوح

٨٣

حرف الميم

مالك بن أنس رضى الله عنه

المأمون بن البطائحي

١٣٠

١٠١ ، ٩٠

٩٤	المأمون العباسي
١٢٧، ١٢٤، ١٢٢	الماوردي
١٣٥	المتروكل
١٤٠	محمد بن أبي بكر بن أيوب = الملك الكامل
٧٧	محمد بن أبي بكر الرازي
٨٦	محمد أحمد الذهبان
٢٦	محمد أحمد عاشور
٤٥	محمد بن إياس
٥٣، ٢٦	محمد بحر العلوم
٥١، ٢٧	محمد البعلادي
٢٢	محمد حلمي أحمد
١٢٨، ١٢٥، ١٢٤، ٧٧	محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم
١٤٢، ٤٠، ٣٩	محمد بن سعيد المغربي
١٣٠	محمد بن سيرين = ابن سيرين
٨٦	محمد بن طفيح الإخشيدى
٤٥، ٩	محمد بن عبد الرحمن السخاوى = السخاوى
١٠٠، ٢٩، ١٧، ١٥	محمد عبد الله عنان
١٣٣	محمد بن عطا الكندى
٥٤، ٥٣، ٥٢، ٥١	محمد عيسى صالحية
١٦١، ٦٩	محمد القطرى
١١	محمد بن محمد بن الصايغ = ابن الصايغ
١٠٦	محمد محيى الدين عبد الحميد

٤٥	محمد محمد محمد عامر
١٠٦، ١٠٣، ٢٥، ٢٢	محمد مصطفى زيادة
٢٥	محمد بن ناهض
١٣٤	محمد بن هارون الرشيد
٨٥	محمد بن يوسف الكندي
٥٣	محمود عرتوس
١٤٥	محمود بن علي الأستاذار
٥١، ٢٣	محمود محمد شاكر
١٣٥	المختار بن أبي عبيد
١٣٢	مروان بن محمد الحمار
١٣٩، ٤١، ٣٩	المسيحي
٥١، ٢٤	المعتصم
٩١	مسعود الصقلي
٨٣	المسعودي
٦٩	مصطفى أغا
١٠٨، ١٠٤، ٩٠، ٨٩، ٨٤	مصطفى عبد الكريم الخطيب
١٢٩، ١٢٤، ١٢٢، ١١٣	
١٤٩، ١٤٤	
١٢٦، ١٢٥	مصعب بن الزبير
١٢٥	المصعب الزبيري
١٣٧، ١٢٥، ١٢٤	معاوية بن أبي سفيان
٨٨	المعز لدين الله الفاطمي

معقل بن يسار

المقدسي

المقريزي = أحمد بن علي المقريزي

١٢٤

١٢٥

١١، ١٠، ٩، ٧، ٥، ٤

١٩، ١٨، ١٧، ١٤، ١٣

٢٤، ٢٣، ٢٢، ٢١، ٢٠

٣٢، ٣١، ٣٠، ٢٧، ٢٥

٣٧، ٣٦، ٣٥، ٣٤، ٣٣

٤٣، ٤١، ٤٠، ٣٩، ٣٨

٥٠، ٤٩، ٤٨، ٤٧، ٤٥

٥٥، ٥٤، ٥٣، ٥٢، ٥١

٦٠، ٥٩، ٥٨، ٥٧، ٥٦

٦٦، ٦٥، ٦٤، ٦٣، ٦١

٧٧، ٧٥، ٧٠، ٦٩، ٦٧

٩٣، ٩٠، ٨٩، ٨٨، ٨٣

١٠٢، ١٠١، ١٠٠، ٩٨، ٩٤

١١٠، ١٠٧، ١٠٦، ١٠٣

١١٨، ١١٦، ١١٢، ١١١

١٢٦، ١٢٢، ١٢١، ١١٩

١٤٣، ١٣٩، ١٣٧، ١٢٧

١٥٢، ١٤٤

١٢

٢٥

ابن الملتن = سراج الدين عمر بن أحمد

الملك المؤيد

١١٩ ، ٩٥	ابن عاتى
١٠٧	أبو المنجا شعبا اليهودى
٨٦ ، ٨٢ ، ٨١ ، ٨٠ ، ٧٨	ابن منظر
٩٥ ، ٩٤ ، ٩٣ ، ٩٢ ، ٩١	
، ١٠٥ ، ١٠٤ ، ٩٩ ، ٩٨	
، ١١٦ ، ١١٣ ، ١١٠ ، ١٠٧	
، ١٣٨ ، ١٢٩ ، ١٢٣ ، ١١٨	
١٥٩ ، ١٥١ ، ١٤٩ ، ١٤٢	
١٣٢	المهدى محمد بن المنصور
٨٥ ، ٣٩	موسى عليه السلام
١٣٢	موسى الهادى
٢٣	موسى بن يوسف بن عبد الرحمن

حرف النون

١٥٢	ناصر الدين بن الشيخى
١٣	ناصر الدين محمد بن محمد بن داود
١١١	الناصر فرج
١١٣ ، ١١ ، ٤١	الناصر محمد بن قلاوون
١٣	النجم المجتد
١٣	النشاورى
١٣٠ ، ١٢٧	أبو نعيم الأصفهانى
٨٤	نهراس بن الوليد
٨٢ ، ٣١	نوح عليه السلام
١٣٠	النوى
٩٦ ، ٤٦ ، ١٣	التويرى أبو الفضل

حرف الهاء

١٣٢	الهادى بن المهدي
١٣٣	هارون الرشيد
٨٢	ابن هرجيب بن شهلون = أفروس بن مناوش
١٣٧	أبو هريرة
١٣١	هشام بن عبد الملك
٨٣	هود عليه السلام
١٣	الهيثمي

حرف الواو

١٣٥	الواثق
١٠٣	ابن واصل الحموي
٩٨ ، ٨٣ ، ٨٥ ، ٨٢	ابن وصيف شاه = إبراهيم بن وصيف شاه
١٠٢ ، ١٠١	
٦٩	ولى الدين أفتدى
١٣٢	الوليد بن يزيد

حرف الياء

١٠٨ ، ١٠٦ ، ٨٨ ، ٧١	ياقوت الحموي
١٣٣ ، ١٣٢ ، ١٣١	
٨٥	يزيد بن حاتم المهلبى
١٣١	يدي بن عبد الملك
١٧	يشبك الدوادار
١٣١	اليعقوبى
٨٩ ، ٨٤ ، ٣٨ ، ٣١	يوسف الصديق عليه السلام
١٠٥ ، ١٠٠	
١٣١	يوسف بن عمر الشقفي

٤ - فهرس الأماكن والبلدان حرف الألف

٨٣	أتريب
٩٠ ، ٥١ ، ٢٤	الأزهر
٦٩ ، ٥١ ، ٢٦ ، ٢٤ ، ٢٣	استامبول
٧٤ ، ٧٣ ، ٧٠	
١٤٣ ، ١٤٠ ، ١٠٦ ، ٩٠ ، ٦٣ ، ٢٥	الإسكندرية
١٥٣ ، ١٥١ ، ١٤٦ ، ١٤٥	
١٣٣	أشروسة
١٣٥	اصطخر
١٠٦ ، ٨٨	أفريقية
١٣٢	الأنبار
٦٩	انجلترا
١٢٠	الأندلس
٢٣	أوكسفورد

حرف الباء

١٠٩ ، ٩٩	باب زويلة
٥٢ ، ٢٥ ، ٢٤ ، ٢٣	باريس
٤٣	البحر الأحمر
٤٣	البحر المتوسط
١٠٦	برقة
٥٢ ، ٢٦	برلين

١٣٥ ، ١٢٤

البصرة

١١٢ ، ١٠ ، ٩

يعلبك

١٣٣ ، ١٣٢ ، ٤٦ ، ٤٣ ، ٣٩ ، ٣

بغداد

١٤٢ ، ١٣٤

١١٢

البقاع

٨٠

بلاد الترك

٨٠

بلاد الروم

١٣٣

بلاد ما وراء النهر

١٣٩

البهنسا

٥٢ ، ١٠

بولاق

٥٣

بون

٢٧ ، ٢٢ ، ١٧ ، ١٢ ، ١٠ ، ٩

بيروت

١٤٣ ، ١٠٣ ، ٨٤ ، ٥٢ ، ٥١

١٩

البيمارستان النورى

حرف التاء

٢٣

تلمسان

٥١ ، ٢٧

تونس

٢٤

تيمور

حرف الجيم

٨٨

الجامع الأزهر

٧٤ ، ٧٣ ، ٦٩

جامع بايزيد

١٨ ، ١٧

جامع الحاكم الفاطمى

جامع راشدة

٩٢

جامع عمرو بن العاص = الجامع العتيق

١٠٢، ٩٠، ٨٧، ٦٨، ١٨، ١٧

جبة عسال

١١٢

جدة

١٦١، ٦٩

الجزيرة

١٣٢، ١٠٤، ٤٣

حرف الحاء

حارة برجوان

٢٠، ١٤، ١٠، ٩

حارة المقارزة

٩

الحبشة

٥٣، ٢٣، ٢١، ٢٠

الحجاز

١٣٢، ١٢٩، ١٠٨، ٤٣، ١٢

حران

١٣٩، ١٣٢

حضر موت

٥٣، ٢٦، ٢٠

حلب

٤٣، ١٢

حرف الخاء

خجندة

١٣٣

خراسان

١٣٥

الخطا = بلاد المغول

١٤٣

الخليل

٢٦

حرف الدال

دار الكتب المصرية

٥١، ٢٥، ٢٤، ٢٣

١٤٥، ١١٣، ٦٩

دمشق

٣٥، ٢٤، ١٩، ١٧، ١٤، ١٢

١١٢، ٩٣، ٨٦، ٤٣، ٤١، ٣٩

١٢٢، ١٢٠

١٢٠

ديار بكر

١٢٠

الديلم

حرف الراء

٨٨

الرملة

١٣٣

الرى

حرف الزاى

٩٨

زقاق القناديل

حرف السين

١٣٣

سمرقند

٣٨

السوس

حرف الشين

١٣٣

الشاش

١٠٨، ١٠٦، ٨٩، ٤٦، ١٣، ١٠

الشام

١٣٩، ١٣٧، ١٢١، ١٢٠، ١١٢

١٤١، ١٤٠

١٠٨

الشريك

٨٤

صا

١٣٣

الصغد

٩٠

صور

١٤٣، ٣٩

الصين

حرف الطاء

١٢٠

طبرستان

١٢١

طبرية

حرف العين

١٢٧، ١٢٦، ١٢٥، ٩٨

العراق

١٣٧، ١٣٦، ١٣١، ١٢٩

عسقلان

٩٠

عين جالوت

٤٣

عين شمس

٨٤

حرف الفاء

١٤١، ١٣٥

فارس

١٣٣

فرغانة

١٠٦، ٩٨، ٩٢، ٨٧، ٥٢، ٢٦

القسطاط

٨٨، ٢٦

فلسطين

٥٣، ٢٦، ٢٤، ٢٣

فيينا

حرف القاف

١٤، ١٣، ١٢، ١١، ١٠، ٩، ٣

القاهرة

٢٧، ٢٦، ٢٣، ٢٢، ٢٠، ١٩، ١٧

٥٢، ٥٠، ٤٧، ٤٦، ٤٥، ٤٤، ٤٣

٩٣، ٩٢، ٩٠، ٨٨، ٨٧، ٨٤، ٥٣

١٠٣، ١٠٢، ١٠٠، ٩٩، ٩٦، ٩٤

١٠٩، ١٠٨، ١٠٦، ١٠٥، ١٠٤

١٣٨، ١٣٧، ١٣٤، ١٢٤، ١١٦

١٥٣، ١٥١، ١٤٥، ١٤٠

١٠٨، ١٠٦، ٥٢، ٢٢

٢٥

٤٥

٩٠

القدس

القسطنطينية

قلعة الجبل

قوص

حرف الكاف

١٠٨

١٣٣

٢٤، ٢٣، ١٩

٦٩، ٥١، ٢٤

الكرك

كشك

الكعبة المشرفة

كمبردج

حرف اللام

٢٦

٥٣، ٢٣

لندن

ليدن

حرف الميم

١٣٣

١٩

١٩

١٧

١٩

١٨، ١٧

١٣٠، ١٢٧، ١٢٤، ١٢

المحمدية

المدرسة الأشرفية

المدرسة الإقبالية

مدرسة السلطان حسن

المدرسة القلاسية

المدرسة المؤيدية

المدينة

مدينة السلام

١٣٣

مصر

٩.٤.٣

٢١. ٢٠. ١٥. ١٤. ١٣. ١٢. ١٠.
 ٣١. ٢٩. ٢٧. ٢٦. ٢٥. ٢٣. ٢٢
 ٤٣. ٤١. ٤٠. ٣٨. ٣٥. ٣٣. ٣٢
 ٦٠. ٥٨. ٥٥. ٥٣. ٥٢. ٥١. ٤٦
 ٨٤. ٨٣. ٨١. ٦٦. ٦٤. ٦٣. ٦٢
 ٩٢. ٩٠. ٨٩. ٨٨. ٨٧. ٨٦. ٨٥
 ١٠٥. ١٠٤. ١٠٢. ٩٩. ٩٨. ٩٦. ٩٣
 . ١١٢. ١١١. ١٠٩. ١٠٨. ١٠٦
 . ١٣٧. ١٣٢. ١٢٠. ١١٥. ١١٣
 . ١٤٣. ١٤١. ١٤٠. ١٣٩. ١٣٨
 ١٦٠. ١٥٤. ١٥١. ١٤٧. ١٤٥

٥٢. ٢٧

المعهد الفرنسي بالقاهرة

المغرب

١٤٢. ١٢٠. ٥٣. ٤٠. ٣٩

مكة

٥٣. ٥٠. ٣٥. ٢٣. ١٩. ١٤. ١٣

١٢٥. ١٢٤. ١٢١. ١٠٨

٨٤

منف

٨٨

المهدية

١٣٩. ١٣٥. ٥٢. ٢٤

الموصل

حرف التون

١١٢

نابلس

٥٣ ، ٢٧

التنجف

١٣٣

نسف

حرف الهاء

٤١ ، ٢٤

الهند

حرف الواو

١٣١

واسط

حرف الياء

١٢٠ ، ١٠٨ ، ٥٢

اليمن

٥ - فهرس الأوزان والمكاييل
حرف الألف

١٠٢ ، ١٠١ ، ٩٨ ، ٨٦ ، ٨٤ ، ٤١

أردب ، الأردب

، ١١٣ ، ١١٠ ، ١٠٨ ، ١٠٧ ، ١٠٥

١٥٢ ، ١١٩ ، ١١٦ ، ١١٥ ، ١١٤

١٥٠ ، ١٢٢ ، ٩١ ، ٨٩ ، ٣٦ ، ٣٥

أوقية ، الأوقية ، أواق

حرف الدال

١٣١ ، ١٢٩ ، ١٢٨ ، ١٢٢ ، ٨٤

الدائق ، دوانق

حرف الراء

، ٩٣ ، ٩١ ، ٨٩ ، ٦٢ ، ٤١ ، ٣٥

رطل ، الرطل ، رطلان ، أرطال

، ١١٣ ، ١٠٨ ، ١٠٧ ، ١٠٠ ، ٩٤

، ١٥٢ ، ١٥١ ، ١٤٥ ، ١٢٩ ، ١٢٢

١٦٠ ، ١٥٩

١٢٩

الرطل الشامي

حرف الصاد

١٢٩

الصاع

حرف القاف

١٢٩ ، ٨٩

قدح ، القدح

١٥٣ ، ١٥٠

قنطار

حرف الميم

١٢١ ، ١٢٢ ، ١٢٤ ، ١٢٥ ، ١٣٠ ،

المثقال ، مثاقيل

١٣٣ ، ١٥٥ ، ١٥٦

١٣٢

المثقال البصرى

١٣٢

المثاقيل الميالة الوازنة

٨٦ ، ١٢٩

المد

حرف النون

١٢٢

النش وهو نصف الأوقية

حرف الواو

٨٦ ، ٨٧ ، ٨٨ ، ٩١

ويبة ، ويتان ، ويات

٦ - فهرس النقود

حرف الدال

٣٥ ، ٣٦ ، ٣٨ ، ٣٩ ، ٤١ ، ٥٥ ،

درهم ، الدرهم ، الدراهم

٦٢ ، ٨٤ ، ٨٩ ، ٩١ ، ٩٣ ، ٩٤ ،

٩٧ ، ١٠٠ ، ١٠٥ ، ١٠٧ ، ١٠٨ ،

١١١ ، ١١٣ ، ١١٤ ، ١١٥ ، ١١٦ ،

١٢٠ ، ١٢١ ، ١٢٢ ، ١٢٣ ، ١٢٤ ،

، ١٢٩ ، ١٢٨ ، ١٢٧ ، ١٢٦ ، ١٢٥
 ، ١٣٥ ، ١٣٤ ، ١٣٣ ، ١٣١ ، ١٣٠
 ، ١٤٠ ، ١٣٩ ، ١٣٨ ، ١٣٧ ، ١٣٦
 ، ١٤٧ ، ١٤٦ ، ١٤٥ ، ١٤٤ ، ١٤١
 ، ١٥٥ ، ١٥٤ ، ١٥٣ ، ١٥٢ ، ١٤٨
 ١٦٠ ، ١٥٩ ، ١٥٨ ، ١٥٦

١٢٣	الدرهم الجواز
١٢٩	الدرهم الشرعى
١٤١	الدرهم الفارسى
١٤٢	الدرهم المثلوم
١٤٢	الدرهم المكرج
١٢٣ ، ١٢٢	الدرهم البغلية
١٢٣ ، ١٢٢	الدرهم البغلى
١٣٠	الدرهم البيض
١٢٢ ، ١٢١	الدرهم الجوارقية
٩١	الدرهم الجدد
١٣٩	الدرهم الجيدة
١٣٢	الدرهم الخالدية
١٣٣	دراهم الرى
١٤٢	الدرهم الزائفة
١٢١	الدرهم السوداء
١٢٨ ، ١٢٣	الدرهم الواقية

١٢٧	الدراهم السميرية
١٣٦	الدراهم الشرعية
١٢٨ ، ١٢٢ ، ١٢١	الدراهم الطبرية
١٤٠	الدراهم العتق
١٣٩	الدراهم الغلة
١٢٣	دراهم فارس
١٢٩	الدراهم الفضة
١٣٣	دراهم فرغانة
١٤٠ ، ١٣٩ ، ٩١ ، ٩٠	الدراهم القطع
١٤٠ ، ١٣٩ ، ٩١ ، ٩٠	الدراهم المزايده
١٤٠ ، ١٢٥	الدراهم المستديرة
١٢١	الدراهم المسودة
١٣٣	الدراهم المصيبة
١٢٧	الدراهم المضروبة
٩٠	الدراهم المعاملة
١٢١	الدراهم النحاسية
١٣٢	الدراهم الهبيرة
١٤٠	الدراهم الورق
١٣٢	الدراهم اليوسفية
٣٨ ، ٣٩ ، ٥٥ ، ٥٦ ، ٦٢ ، ٨٤ ،	دينار ، الدينار ، دنانير
٨٦ ، ٨٧ ، ٨٨ ، ٩٠ ، ٩١ ، ٩٢ ،	
٩٤ ، ٩٥ ، ٩٦ ، ٩٧ ، ٩٨ ، ٩٩ ،	

١٢١، ١٢٠، ١٠٥، ١٠٤، ١٠١
 ١٢٦، ١٢٥، ١٢٤، ١٢٣، ١٢٢
 ١٣٤، ١٣٣، ١٣٢، ١٣٠، ١٢٧
 ١٥٨، ١٥٥، ١٤٣، ١٣٩، ١٣٨

٩٠

الدينار العربى الإسلامى

١٤٢

الدينار المبهرج

١٤٥، ١٢١

الدينار الذهب

١٣٣

دناتير الخريطة

حرف الفاء

١٥٢، ١٤٦، ١٤٥، ١٤٤، ١١١

الفلس

٧- فهرس المحاصيل

حرف الألف

١٥٢، ١٠٧، ٩١

الأرز

حرف الباء

١٥٢

البسلة

١٥٣، ١٤، ١٠٨، ١٠٧

البطيخ، البطيخة

١٤٣، ٤١

البلح

حرف الحاء

١٥٢

الخمص

حرف الزاى

١٥٣

الزيتون

حرف السين

١٠٨

السفرجل

١١٣، ١٠٧

السمسم

حرف الشين

، ١١٤، ١١٣، ١٠٨، ١٠٧، ٩١

الشعير

١٥٣، ١٥٢، ١٣٨، ١٢٣، ١١٥

حرف العين

١٠٨

العدس

١٥٣

العنب

حرف الفاء

١٥٢، ١١٣، ١١٠، ١٠٩، ١٠٨، ١٠٧

الفول

حرف القاف

١٥٨، ١٠٧

قصب السكر

١٥٣

القطم

١٥٤

القطن

١٠٧

القلقاس

، ٩٨، ٩١، ٨٩، ٨٨، ٨٧، ٨٦

القمح

، ١١٣، ١٠٨، ١٠٧، ١٠٥، ١٠١

١٥٢، ١١٩، ١١٦، ١١٥، ١١٤

حرف الكاف

١٥٣

الكتان

١٥٣

الكمثرى

حرف اللام

١٥٣

الليمون

٨ - فهرس الكتب المستخدمة فى الدراسة والتحقيق

- ١ - القرآن الكريم .
- ٢ - اتعاظ الخنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا :
أحمد بن على المقرئى ت ٨٤٥هـ ، تحقيق جمال الدين الشيال ، ومحمد
حلمى محمد طبعة المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، القاهرة ١٩٧٢م .
- ٣ - الأحكام السلطانية والولايات الدينية :
على بن محمد الماوردى ت ٤٥٠ هـ ، طبعة الوطن - القاهرة سنة ١٢٩٨هـ .
- ٤ - الاستيعاب بهامش الإصابة :
ابن عبد البر يوسف بن عبد الله بن محمد القرطبى ت ٤٦٣هـ ، طبعة دار
الغد العربى - القاهرة بدون تاريخ .
- ٥ - أسد الغابة فى معرفة الصحابة :
ابن الأثير على بن محمد بن عبد الكريم ت ٦٣٠هـ ، طبعة دار إحياء
التراث العربى - بيروت بدون تاريخ .
- ٦ - الأعلام :
خير الدين الزركلى ت ١٣٩٧هـ ، الطبعة الثالثة - بيروت - لبنان ١٩٨٩م .
- ٧ - الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ :
محمد بن عبد الرحمن السخاوى ت ٩٠٢هـ ، إشراف صالح أحمد العلى .
دار الكتب العلمية - بيروت بدون تاريخ .
- ٨ - أنبا الهصر فى أبناء العصر :
على بن أدهم بن إبراهيم الصيرفى ت ٩٠٠هـ ، تحقيق حسن حبشى - دار
الفكر العربى - مصر ١٩٧٠م .
- ٩ - بدائع الزهور فى وقائع الدهور :
ابن إياس محمد بن أحمد ت ٩٣٠هـ ، تحقيق محمد مصطفى . طبعة
القاهرة بدون تاريخ .

١٠ - البداية والنهاية :

إسماعيل بن كثير ت ٧٧٤هـ ، تحقيق أحمد أبو ملح وعلی نجيب عطوى
وفؤاد السيد ومهدى ناصر وعلی عبد الستار - طبعة دار الكتب العلمية -
بيروت ١٩٨٥م.

١١ - تاريخ آداب اللغة العربية :

جرى زيدان ، طبعة دار الهلال - القاهرة ١٩٥٨م.

١٢ - تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام :

شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ت ٧٤٨هـ ، طبعة دار الفد
العربى - القاهرة ١٩٩٦م.

١٣ - تاريخ بغداد :

أحمد بن على الخطيب البغدادي ت ٤٦٣هـ طبعة دار الكتب العلمية -
بيروت - لبنان بدون تاريخ .

١٤ - تاريخ الخلفاء :

عبد الرحمن بن أبى بكر السيوطى ت ٩١١ هـ ، طبعة دار التراث - بيروت
١٩٦٩م.

١٥ - التاريخ العربى والمؤرخون :

شاکر مصطفى ، طبعة دار العلم للملايين ، بيروت ١٩٩٠م.

١٦ - تاريخ الطبرى المسمى تاريخ الرسل والملوك :

محمد بن جرير الطبرى ت ٣١٠ هـ ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم .
الطبعة الرابعة - دار المعارف ، القاهرة ١٩٧٧م.

١٧ - التاريخ الكبير :

محمد بن إسماعيل البخارى ت ٢٥٦هـ . طبعة مؤسسة الكتب الثقافية -
بيروت ١٩٨٦م.

١٨ - تاريخ اليعقوبى :

أحمد بن جعفر بن وهب اليعقوبى ت ٢٨٢ هـ ، طبعة دار صادر - بيروت
١٩٦٠م.

١٩ - التبر المسبوك فى ذيل السلوك :

محمد بن عبد الرحمن السخاوى ت ٩٠٢ هـ طبعة مكتبة الكليات الأزهرية
- مصر بدون تاريخ .

٢٠ - تهذيب الأسماء واللغات :

يحيى بن شرف النووى ت ٦٧٦ هـ . طبعة إدارة الطباعة بالمنيرة ، القاهرة
بدون تاريخ .

٢١ - تهذيب التهذيب :

أحمد بن على بن حجر العسقلانى ت ٨٥٢ هـ . طبعة دار صادر بيروت
١٣٢٦ هـ ، وطبعة دار الفكر ١٤٠٤ هـ .

٢٢ - جمهرة أنساب العرب :

على بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسى ت ٤٥٦ هـ ، تحقيق عبد السلام
هارون . الطبعة الخامسة - دار المعارف - القاهرة ١٩٨٢م.

٢٣ - جواهر البحور ووقائع الأمور وعجائب الدهور :

ابن وصيف شاه ، تحقيق محمد زينهم . طبعة الدار الثقافية للنشر - القاهرة
٢٠٠٤م.

٢٤ - حسن المحاضرة فى تاريخ مصر والقاهرة :

جلال الدين عبد الرحمن السيوطى ت ٩١١ هـ ، تحقيق محمد أبو الفضل
إبراهيم ، دار إحياء الكتب العربية ، عيسى البابى الحلبي - مصر ١٩٦٧ /
١٩٦٨م .

٢٥ - حلية الأولياء وطبقات الأصفياء :

أبو نعيم بن عبد الله الأصبهاني ت ٤٣٠ هـ ، طبعة دار الريان - القاهرة ،
الطبعة الخامسة سنة ١٩٨٧م.

٢٦ - الخطط المقرزية :

أحمد بن على المقرزى ت ٨٤٥هـ ، طبعة القاهرة ١٣٢٥هـ ، وطبعة مكتبة
العرفان - بيروت بدون تاريخ .

٢٧ - دول الإسلام :

شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبى ت ٧٤٨هـ ، تحقيق فهد
محمد شلتوت ومحمد مصطفى إبراهيم ، طبعة الهيئة المصرية العامة
للكتاب ١٩٧٤م .

٢٨ - الذيل على الروضتين :

أبو شامة المقدسى عبد الرحمن بن إسماعيل ، الطبعة الثانية ، بيروت
١٩٧٤م .

٢٩ - رحلة ابن بطوطة :

أبو عبد الله اللواتى المعروف بابن بطوطة ، طبعة دار صادر - بيروت بدون
تاريخ .

٣٠ - الرسالة المستطرفة :

محمد بن جعفر الكتانى ت ١٣٤٥هـ ، طبعة مكتبة الكليات الأزهرية -
القاهرة بدون تاريخ .

٣١ - روضات الجنات فى أحوال العلماء والسادات :

محمد باقر الموسوى الخوانسارى ت ١٣١٣هـ ، تحقيق أسد الله إسماعيليان ،
طبعة طهران - إيران ١٣٩٢هـ .

٣٢ - السلوك لمعرفة دول الملوك :

أحمد بن على المقرزى ت ٨٤٥هـ ، تحقيق محمد مصطفى زيادة ، وسعيد
عبدالفتاح عاشور ، طبعة القاهرة ١٩٣٤ ، ١٩٧٠ ، ١٩٧٢م .

٣٣ - سير أعلام النبلاء :

شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبى ت ٧٤٨هـ .

٣٤ - سير السلف الصالحين :

إسماعيل بن محمد التيمي الأصبهاني ت ٥٣٥ هـ ، تحقيق كرم حلمي
فرحات ، طبعة دار الراية - السعودية ١٩٩٩م.

٣٥ - شذرات الذهب :

ابن العماد الحنبلي ت ١٠٨٩ هـ ، طبعة المكتب التجاري ، بيروت بدون
تاريخ .

٣٦ - شذور العقود في ذكر النقود :

أحمد بن علي المقرئ ت ٨٤٥ هـ ، بعناية روستوك - ألمانيا ، طبعة Libratia
Stillermana عام ١٧٩٨م.

٣٧ - صبح الأعشى :

أبو العباس أحمد بن علي القلشندي ت ٨٢١ هـ ، طبعة دار الكتب المصرية
- القاهرة ١٣٢٧ هـ .

٣٨ - صفة الصفة :

أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي ت ٥٩٧ هـ ، تحقيق محمود
فاخوري . طبعة القاهرة ١٣٨٩ هـ .

٣٩ - الضوء اللامع في علماء القرن التاسع :

أبو الخير محمد بن عبد الرحمن السخاوي ت ٩٠٢ هـ . طبعة مصر ١٩٣٦م.

٤٠ - طبقات خليفة بن خياط :

أبو عمر خليفة بن خياط العصفوي ت ٢٤٠ هـ ، تحقيق أكرم ضياء العمرى ،
طبعة دار طيبة - الرياض - السعودية . الطبعة الثانية ١٩٨٢م.

٤١ - الطبقات الكبرى :

محمد بن سعد كاتب الواقدي ت ٢٣٠ هـ ، تحقيق إدوارد ساخا ترجمة
عوني عبد الرؤوف - طبعة دار التحرير - القاهرة ١٩٦٨م.

٤٢ - العبر في خبر من غير :

محمد بن أحمد الذهبي ت ٧٤٨ هـ ، تحقيق محمد السعيد بسيوني . طبعة
دار الكتب العلمية - بيروت . لبنان ١٩٨٥م.

٤٣ - العصر المالكي في مصر والشام :

سعيد عبد الفتاح عاشور ، مكتبة الأنجلو المصرية ، الطبعة الثالثة -
القاهرة ١٩٩٣م.

٤٤ - فنون الإسلام :

زكى محمد حسن ، طبعة القاهرة ١٩٤٨م.

٤٥ - فوات الوفيات :

ابن شاکر الکتبی ت ٧٦٤هـ ، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد ،
طبعة النهضة المصرية - القاهرة ١٩٥١م.

٤٦ - القاموس الإسلامى القويم :

إبراهيم أحمد عبد الفتاح ، طبعة مجمع البحوث الإسلامية - الأزهر -
القاهرة ١٩٨٣م.

٤٧ - قوانين الدواوين :

ابن عثامى ، الأسعد شرف الدين أبو المكارم بن أبى سعيد . طبعة مطبعة
إدارة الوطن - القاهرة ١٢٩٩ هـ .

٤٨ - الكامل فى التاريخ :

ابن الأثير الجزرى على بن أبى الكرم محمد بن محمد الشيبانى ت ٦٣٠ هـ
طبعة بيروت ، مكتبة الكتاب العربى ١٩٦٧م.

٤٩ - كتاب البدء والتاريخ :

المطهر بن طاهر المقدسى ، طبع فى مدينة شالون بمطبعة برطوند سنة
١٨٩٩م.

٥٠ - لسان العرب :

محمد بن مكرم بن منظور ت ٧١١ هـ ، طبعة دار المعارف - القاهرة
١٩٨١م.

٥١ - مجالس السلطان الغورى :

عبد الوهاب عزام ، طبعة القاهرة ١٩٤٨م.

٥٢ - مختار الصحاح :

محمد بن أبى بكر بن عبد القادر الرازى ، عنى بترتيبه محمود خاطر ،
طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٦م.

٥٣ - مروج الذهب ومعادن الجوهر :

على بن الحسين بن على السعوى ت ٣٤٦ هـ شرح وتقديم مفيد محمد
قميحه ، طبعة دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان ١٩٨٦م.

٥٤ - مصر فى عهد الإخشيد :

سيد إسماعيل الكاشف . طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٩م.

٥٥ - المعارف :

عبد الله بن مسلم بن قتيبة ت ٢٧٦ هـ ، تحقيق ثروت عكاشة ، طبعة دار
المعارف ، الطبعة الرابعة - القاهرة ١٩٨١م.

٥٦ - معجم الألفاظ التاريخية :

محمد أحمد دهمان ، طبعة دار الفكر - دمشق ١٩٩٠م.

٥٧ - معجم البلدان :

أبو عبد الله ياقوت الحموى ت ٦٢٦ هـ ، طبعة دار صادر - بيروت بدون
تاريخ .

٥٨ - المعجم الشامل للتراث العربى المطبوع :

محمد عيسى صالحية ، طبعة معهد المخطوطات العربية - القاهرة ١٩٩٥م.

٥٩ - معجم فارهنك فارسى امروز :

غلام حسين صدرى أفسار ، الطبعة الثانية ، إيران ١٣٧٥ هـ .

٦٠ - معجم المؤلفين :

عمر رضا كحالة ، طبعة مؤسسة الرسالة ، بيروت ١٩٩٣م.

٦١ - معجم المصطلحات والألقاب التاريخية :

مصطفى عبد الكريم الخطيب ، طبعة مؤسسة الرسالة - بيروت ١٩٩٦م.

٦٢ - معجم الوافى معجم وسيط للغة العربية :

عبد الله البستانى ، طبعة مكتبة لبنان ، بيروت ١٩٨٠م.

٦٣ - مفرج الكروب فى أخبار بنى أيوب :

ابن واصل الحموى ، تحقيق جمال الدين الشيال - طبعة القاهرة ١٩٥٣م.

٦٤ - الملابس الملوكية :

ل . أ . مايز ، ترجمة صالح الشيتى ، طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب ،
١٩٧٢م.

٦٥ - الممالك المصريون الذين لمعوا فى ميدان الفكر :

محمد محمد محمود ، رسالة دكتوراه - كلية دار العلوم - جامعة القاهرة ،
قسم التاريخ والحضارة للعام ١٩٧٩م.

٦٦ - المنهل الصافى :

ابن تغرى بردى أبو المحاسن جمال الدين يوسف بن الأمير سيف الدين
٨٧٤هـ ، طبعة القاهرة ١٩٥٦م.

٦٧ - مؤرخو مصر الإسلامية :

محمد عبد الله عنان ، طبعة مؤسسة مختار - القاهرة ١٩٩١م.

٦٨ - النجوم الزاهرة :

ابن تغرى بردى أبو المحاسن جمال الدين يوسف بن الأمير سيف الدين
٨٧٤هـ ، طبعة القاهرة ١٩٣٢م.

٦٩ - نزهة النفوس والأبدان فى تواريخ الزمان :

ابن الصيرفى الجوهري على بن داود بن إبراهيم ت ٩٠٠ هـ ، تحقيق حسن
جبشى ، مطبعة دار الكتب - مصر ١٩٧١م.

٧٠ - نسب قریش :

المصعب بن عبد الله بن المصعب الزبيرى ت ٢٣٦ هـ عناية وتصحيح : إ .
ليفى بروفنسال . طبعة دار المعارف - القاهرة ١٩٨٢م.

٧١ - النقود الإسلامية :

طاهر راغب حسين ، طبعة خاصة بكلية دار العلوم - القاهرة ١٩٨٤م.

٧٢ - نهاية الأرب فى فنون الأدب :

أحمد بن عبد الوهاب النويرى ت ٧٢٣ هـ ، طبعة الهيئة المصرية العامة
للكتاب - القاهرة بدون تاريخ .

٧٣ - الوزراء والكتاب :

أبو عبد الله محمد بن عبدوس الجهشبارى ت ٣٣١ هـ ، تحقيق مصطفى
السقا ، وإبراهيم الإيبارى ، وعبد الحفيظ شلبى . الطبعة الثانية ، مطبعة
مصطفى البابى الحلبي - القاهرة ١٩٨٠ م.

٧٤ - وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان :

شمس الدين أحمد بن محمد بن خلكان ت ٦٨١ هـ تحقيق إحسان عباس .
طبعة دار صادر - بيروت ١٩٧٧ م.

٧٥ - ولاية مصر :

محمد بن يوسف الكندى ، تحقيق حسين نصار ، طبعة الهيئة العامة لقصور
الثقافة ٢٠٠١ م.

المراجع الأجنبية :

72 - Hobson (R.L.) :

A guide to The Islamic pottery of the Near East. (London, 1944) .

73 - Ibrahim Salami :

L'Emseignement Islamique en Egypte. (Le Caire, 1939).

74 - Wiet :

L'Egypt Arabe. (Paris, 1920) .

75 - Wiet :

Lampes et Bouteilles en verru emaille catalogue du Musee Arabe du
Cairo. (Le Cairo, 1929).

76 - Wiet :

Objets en Cuivres : Catalogue General du Muree Arabe du Cairo. (Le
Cairo, 1932) .

٩ - فهرس الموضوعات

٣	مقدمة المحقق :
٧	القسم الأول : دراسة المؤلف وكتابه :
٩	المبحث الأول : نشأة المقرئ واشتغاله بالعلم :
٩	- اسمه وكنيته ونسبته ولقبه :
٩	- مولده ونشأته :
١١	- مذهبه الفقهي :
١١	- شيوخه :
١٣	- رحلاته العلمية :
١٤	- زواجه :
١٤	- اشتغاله بالعلم :
١٧	المبحث الثاني : وظائف المقرئ ومناصبه :
١٧	- مكانته عند السلطان :
١٧	- وظائفه عند السلطان :
٢١	المبحث الثالث : تقييم مؤلفات المقرئ :
٢٩	المبحث الرابع : تسمية الكتاب وأهميته :
٢٩	- تسمية الكتاب وصحة نسبته للمؤلف :
٣٠	- الداعي لتأليف الكتاب :
٣١	- أهمية الكتاب :
٣٢	- محتوى الكتاب وتنظيمه :
٣٤	- النسق التعبيري للكتاب :
٣٧	المبحث الخامس : مصادر الكتاب وطرق الإسناد إليها :
٣٧	- أولاً : أنواع المصادر :
٣٧	أ - المشاركة :
٣٨	ب - المؤلفات السابقة :
٤٠	- ثانياً : طرق الإسناد إلى المصادر :

المبحث السادس : منهج التأليف التاريخي عند المقرئى : ٤٣

٤٣ - التأليف التاريخي عند المقرئى :

٤٧ - المقرئى وكتابة التاريخ :

٥١ - الموسوعية والتخصصية عند المقرئى :

٥٥ - المقرئى وتحليل الظواهر الاقتصادية والربط بينها :

المبحث السابع : النقد التاريخي عند الإمام المقرئى : ٥٩

٥٩ - أولاً : الكشف عن العامل الرئيسى والهدف الحقيقى من الكتاب :

٦٠ - ثانياً : وصف الحوادث بالتفرد فيها :

٦٠ - ثالثاً : تفسير الحوادث بالكشف عن العلة :

٦٣ - رابعاً : التهكم من التصرف فى الأحداث :

٦٤ - خامساً : الإقصاد عن عاطفته تجاه بعض الأحداث :

٦٥ - سادساً : مواطن العبر والعظات فى الأحداث :

المبحث الثامن : وصف المخطوطة والعمل فى التحقيق : ٦٩

٦٩ - وصف المخطوطة :

٧٠ - عملى فى التحقيق :

٧٣ - نماذج من المخطوطة :

القسم الثانى : تحقيق كتاب « إغاثة الأمة بكشف الغمة » لتقى الدين

٧٥ أحمد بن على المقرئى :

مقدمة المؤلف : ٧٧

٧٩ مقدمة حكيمية تشتمل على قاعدة كلية :

الفصل الأول : فى إيراد ما حل بمصر من الغلوات وحكايات

٨١ يسيرة من أبناء تلك السنوات :

٨١ - غلاء فى زمن أفروس بن مناوش :

٨٢ - غلاء فى زمن فرعان بن مسور :

٨٣ - غلاء فى زمن أترىب بن مصرى :

٨٤ - غلاء فى زمن نهرأوس .. وقيل اسمه الريان بن الوليد بن درمع العمليقى :

٨٥ - غلاء عند مبعث موسى عليه السلام إلى فرعون :

- ٨٥ - غلاء فى زمن إمارة عبد الله بن عبد الملك بن مروان :
- ٨٦ - غلاء زمن إمارة أنوجورين بن الإخشيد :
- ٨٧ - غلاء فى زمن إمارة على بن الإخشيد :
- ٨٩ - غلاء فى زمن الحكم بأمر الله :
- ٩٢ - غلاء فى زمن الخليفة المستنصر :
- ٩٨ - غلاء ثان فى زمن المستنصر :
- ١٠١ - غلاء فى زمن الخليفة الأمر بأحكام الله :
- ١٠٢ - غلاء فى زمن الحافظ لدين الله :
- ١٠٢ - غلاء فى زمن الفائز بنصر الله :
- ١٠٣ - غلاء فى زمن السلطان العادل الأيوبي :
- ١٠٦ - غلاء فى زمن السلطان العادل « كتبغا » :
- ١١٣ - غلاء فى زمن الملك الناصر محمد بن قلاوون :
- ١١٣ - غلاء فى أيام الأشرف شعبان :
- ١١٥ - **الفصل الثانى : فى بيان الأسباب التى نشأت عنها هذه المحن :**
- ١١٧ - السبب الأول : ولاية الخطط السلطانية والمناصب الدينية بالرشوة :
- ١١٩ - السبب الثانى : غلاء الأتيطان :
- ١٢٠ - السبب الثالث : رواج الفلوس :
- ١٣٧ - **الفصل الثالث : فى أن معاملة مصر مازالت بالذهب فقط :**
- ١٤٧ - **الفصل الرابع : فى ذكر أقسام الناس وأصنافهم وبيان جمل من أحوالهم وأوصافهم :**
- ١٤٧ - القسم الأول : أهل الدولة :
- ١٤٨ - القسم الثانى : ميسير التجار وأولو النعمة والترف :
- ١٤٨ - القسم الثالث : أصحاب البز وأرباب المعاش :
- ١٤٩ - القسم الرابع : أصحاب الفلاحة والحراث :
- ١٤٩ - القسم الخامس : الفقهاء وطلاب العلم :
- ١٥٠ - القسم السادس : أرباب المهن والأجراء والعمالون والخدم والسواس والحاكة والبنائة والفعلة ونحوهم :
- ١٥٠ - القسم السابع : أهل الخصاصة والمسكنة :

الفصل الخامس : فى ذكر نبذ من أسعار هذا الزمن وإيراد طرق

من أخبار هذه المحن : ١٥١

الفصل السادس : فيما يزيل عن العباد هذا الداء ويقوم لمرضى

الزمان مقام الدواء : ١٥٥

الفصل السابع : فى بيان محاسن هذا التدبير العائد نفعه على الجم الغفير : ١٥٧

الفهارس العامة : ١٦٣

١ - فهرس الآيات القرآنية : ١٦٥

٢ - فهرس الأحاديث النبوية : ١٦٧

٣ - فهرس الأعلام : ١٦٧

٤ - فهرس الأماكن والبلدان : ١٨٣

٥ - فهرس الأوزان والمكاييل : ١٩٠

٦ - فهرس النقود : ١٩١

٧ - فهرس المحاصيل : ١٩٤

٨ - الكتب المستخدمة فى الدراسة والتحقيق : ١٩٦

٩ - فهرس الموضوعات : ٢٠٥

رقم الايداع ٢٢٦٥٨ / ٢٠٠٦

الترقيم الدولى 9-203-322-977 L.S.B.N.

مطبعة صحوة

٧ شارع اسماعيل رمضان - الكرم الأخضر - فيصل

تليفون وفاكس / ٣٨٧١٦٩٣ - ٩٦٧٨٠٠٠١٠١٠٠

